

الحملات الصليبية على المشرق الإسلامي في العصور الوسطى



تأليف وتصميم

سامي بن عبد الله بن أحمد المغلوث



فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

المغلوث، سامي عبدالله

أطلس الحملات الصليبية على المشرق الإسلامي في العصور الوسطى./ سامي عبدالله المغلوث. ـ الرياض، ١٤٢٩هـ.

٢٠٠ ص، ٢١× ٢٩ سم.

ردمك: ٦- ٥٦٤ - ٥٤ - ٩٩٦٠ - ٩٧٨

١ـ الحروب الصليبية ٢ـ العصور الوسطى – تاريخ

٣ـ التاريخ الإسلامي أ ـ العنوان

ديوي ٩٥٣,٠٧٣٩٣ ١٤٢٩/٤٨١٧

رقم الإيداع: ١٤٢٩/١٤٨١٧

ردمك: ٦- ٥٦٤ - ٥٤ - ٩٩٦٠ - ٩٧٨

الطبعة الأولى

١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م

الناشر

شركة العبيكان للأبحاث والتطوير

الرياض - شارع العليا العام - جنوب برج المملكة

هاتف ٢٩٣٧٥٧٤ /٢٩٣٧٥٨١ فاكس ٢٩٣٧٥٨٨

ص. ب ٦٧٦٢٢ الرمـز ١١٥١٧

امتياز التوزيع

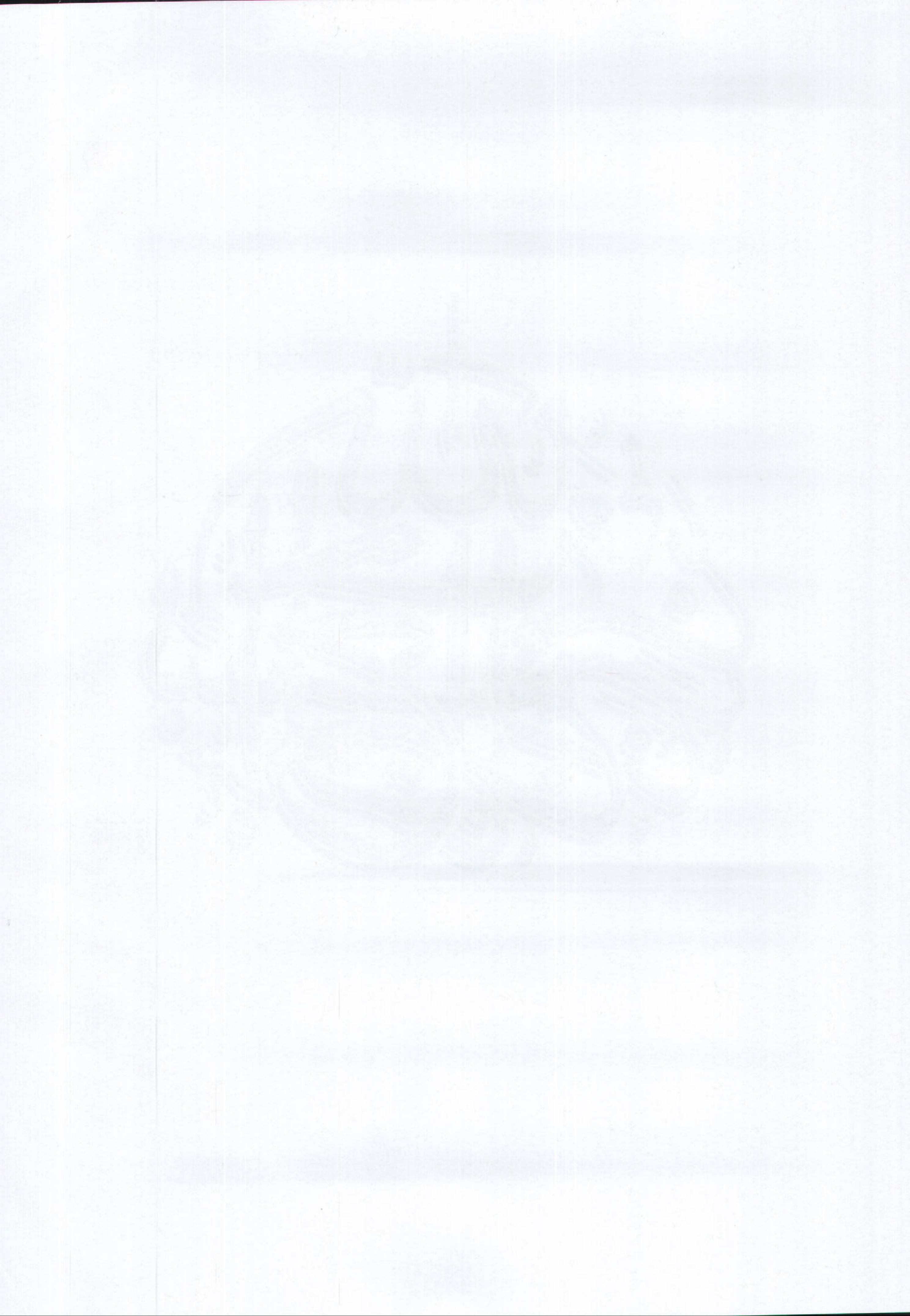
شركة مكتبة العبيكان

الرياض - العليا - تقاطع طريق الملك فهد مع العروبة

هاتف ٤١٦٠٠١٨ /٤٦٥٤٤٢٤ فاكس ٤٦٥٠١٢٩

ص. ب ٦٢٨٠٧ الرمـز ١١٥٩٥


بسم الله الرحمن الرحيم



المقدمة

احتدم الصراع بين المسلمين والنصارى أو بين الشرق و الغرب بشكل جلي؛ إبَّان الحروب الصليبية ، التي أطلق عليها المؤرخون المسلمون اسم الحملات الصليبية، وهو ما أحببت أن أعنون لهذا الكتاب باسم " أطلس الحملات الصليبية على المشرق الإسلامي في العصور الوسطى " ، بينما يدعوها المؤرخون الغربيون (الحركة الصليبية أو الدينية) . وهي في واقع الأمر لا تعدو كونها شكلاً من أشكال الاستعمار البغيض آنذاك؛ اتُّبعت فيه القوة والغزو العسكري، وامتدت زهاء قرنين من الزمان، وأنتجت موجات من الكراهية، والعنف، والعدوان، والخراب، سادت العلاقات الدولية طوال القرنين الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين حيث بدأت الحروب الصليبية في ربيع الثاني من سنة ٤٩١هـ - مارس من سنة ١٠٩٨م، وانتهت في شعبان من سنة ٦٩٠هـ - أغسطس من سنة ١٢٩١م . وتزامن خلال هذه الفترة أيضاً الاجتياح المغولي على العالم الإسلامي الذي أجهز على البقية الباقية وأسقط الخلافة العباسية في بغداد سنة ٦٥٦ هـ ١٢٥٨ م؛ بل ولم تنته تلك الحروب (الحملات الصليبية) بخروج الصليبيين من بلاد الشام أو انحسار المد المغولي عنها، وإنما استمرت على نحو متقطع طيلة قرنين آخرين من الزمان، حتى توقفت نهائياً بسقوط القسطنطينية عاصمة الإمبراطورية البيزنطية على يد القائد التركي المسلم السلطان محمد الفاتح؛ وبوفاة آخر البابوات المتحمسين لهذه الحرب الدينية في الغرب سنة ١٤٦٤ م .

ونظراً لشغفي بدراسة هذه المرحلة، أخرجت عملاً تاريخياً في عام ١٤١٩ هـ باسم الحملات الصليبية على المشرق الإسلامي في العصور الوسطى ، ثم طورته إلى عمل (ملتميديا) على قرص مدمج بالوسائط المتعددة يضم في داخله مشاهد فديوية ، ودروس مصورة، وخرائط متحركة، ولقطات من أرض الحدث، (انظر الصفحة القادمة) ، وبصفتي أحد أعضاء فريق تأليف العلوم الاجتماعية بوزارة التربية والتعليم بمملكتنا الحبيبة والمشرف على التصميم التعليمي وإعداد الخرائط؛ كلفني الأخ الزميل المشرف العام على المشروع، سعادة الأستاذ / حمد بن منصور العمران ؛ مساعد مدير عام التربية والتعليم للشؤون التعليمية بمنطقة الرياض حالياً؛ أن أعرضه على معالي وزير التربية والتعليم آنذاك الدكتور / محمد الأحمد الرشيد، أثناء زيارته لمنطقة القصيم التعليمية، لمتابعة مراحل تنفيذ المشروع الشامل للمناهج (المواد الاجتماعية) والتي حظيت منطقة القصيم التعليمية بإعداده .

ونظراً للخبرة الطيبة التي اكتسبتها في مجال الأطالس التاريخية والجغرافية، رأيت إخراج المادة العلمية على هيئة أطلس تاريخي، يتناول الحملات الصليبية الثمانية بشكل مفصل، ولا سيما إنني رأيت الوقوف عن كثب على تلك القلاع والحصون التي خلفتها الحملات الصليبية في المشرق الإسلامي، حينما شعر



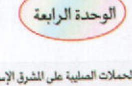
مؤلف ومصمم الأطلس يقدم عرضه لمعالي وزير التربية والتعليم



القرص المدمج

(CD)

صفحتان من العمل التربوي الخاص بالمشروع الشامل للمناهج عن الحملات الصليبية، من إعداد وتصميم المؤلف



الحملات الصليبية على المشرق الإسلامي في العصور الوسطى

أيها الطالب العزيز : تمعن جيداً في الخريطة الموجودة في هذه الصفحة، ثم حاول جاهداً أن تتعرف على بعض المسميات الجغرافية والتاريخية فيها ، لتبدأ بعد ذلك باستيعاب البرنامج الحاسوبي الخاص بالحملات الصليبية والموجود في مركز مصادر التعلم في مدرستك ، والذي سيقوم معلمك مشكوراً بتشغيله بعد أن تدلي ببعض إجاباتك الشفهية إليه .



الأطلس المدرسي / سامي المغلوث

معنى الحملات الصليبية :

أطلق هذا المصطلح على الحملات العسكرية التي شنتها دول غرب أوروبا على المشرق الإسلامي ما بين القرنين الخامس والسابع الهجريين ، حيث تحركت جحافل االصليبيين صوب ديار المسلمين بحجة تخليص بيت المقدس من أيدي المسلمين ، ومن ثم القضاء على شوكة الدولة الإسلامية فيها إثر زعم النصارى الباطل بمضايقة المسلمين للحجاج النصارى أثناء تأدية شعائر حجهم في بلاد الشام وفلسطين ، وقد أطلق نداءها البابا أوربان الثاني في مؤتمر كليرمونت الشهير بالأراضي الفرنسية .متى عقد مؤتمر كليرمونت ؟ .

مصطلحات

البابا - أعلى سلطة دينية في الكنيسة الكاثوليكية .

كليرمونت - مدينة فرنسية عقد فيها الاجتماع الخاص بإعداد حملات لقتال المسلمين عام 488 هـ

العصور الوسطى - مرحلة تاريخية تقع بين نهاية مرحلة التاريخ القديم وأوائل العصور الحديثة .

...ما معنى الحملات الصليبية ؟

٤



خطوات إعداد البرنامج الحاسوبي :

اولا- قم بتحميل البرنامج على جهاز الحاسوب .

ثانيا ... عند تشغيلك البرنامج سوف تظهر لك الشاشة الأولى والتي تحمل أيقونات توضح لك طبيعة هذا البرنامج .

ثالثا... قم باختيار أحد الأيقونات من الشكل رقم (1) ولتكن الأيقونة الأولى والتي من خلالها ستنقلك إلى داخل البرنامج كما هو موضح لك في الصورة رقم (2) حيث ستعرفك على طبيعة الحملات الصليبية وفي ذات الوقت سوف تشاهد بعض اللقطات الفديوية التي تقرب لك مفهوم هذه الحرب بطريقة مشوقة .

رابعا... عد مرة أخرى إلى شاشة البرنامج الرئيسة ثم قم باختيار أحد الحملات الصليبية العشر ، وسوف يظهر لديك الشكل رقم (3) وسوف تتعرف من خلال الأيقونات الداخلية على أسباب ونتائج وتواريخ وقادة كل حملة إضافة إلى خريطة تفصيلية .

خامسا ... هناك معلومات إضافية كإثراء علمي للمادة تستطيع الحصول عليها من خلال الضغط على شاشة البرنامج الرئيس في خانتي معارك حاسمة وشخصيات جهادية ، ومن خلال الضغط على تينك الأيقونتين سوف تظهر أمامك الشاشة التالية (عن المعارك الحاسمة) كما في الشكل رقم (4) وكذلك الأمر في الشكل رقم (5) والخاص بالشخصيات الجهادية .

٥

الصليبيون (الفرنجة) ومنذ الوهلة الأولى عدم قبولهم بين أواسط المجتمع الإسلامي؛ فلجأوا إلى تلك القلاع المحصنة للحفاظ على وجودهم الاستعماري، فحاولت جاهداً تغطية القلاع الرئيسة والتي لعبت دوراً بارزاً في صمود الصليبيين زهاء قرنين من الزمن، فكان بحمد الله تعالى هذا الأطلس التاريخي .

لقد وضعت لهذا الأطلس؛ فلسفة تقوم على استحضار المادة النصية بشكل مختصر مفيد، معززاً المادة العلمية بصور ميدانية قمت بالتقاط السواد الأعظم منها، ومبيناً عبر الخريطة التاريخية والجغرافية مسرح الحدث، واجتهدت بالحصول على مجموعة من المنمنمات التاريخية النادرة لأحداث الحروب الصليبية كما جاءت في الآداب الأوروبية في العصور الوسطى وعصر النهضة الأوروربية؛ فضلاً عن بعض المرتسمات المعاصرة، ومستخدماً تقنية صور الأقمار الصناعية (الاستشعار عن بعد) لبعض المواقع والمواضع المهمة بأحداث تلك المرحلة .

لقد احتك الصليبيون (الفرنجة) بالمسلمين احتكاكاً قوياً طيلة هذه الفترة التاريخية الطويلة وكان يدور خلال هذه الحملات الصليبية الثمانية نقاش جاد وحوار قوي بين علماء المسلمين ورجال الدين النصارى، كانت من نتائجه ظهور مجموعة من المؤلَّفات تناقش حقيقة النصرانية والرد على أتباعها حول طبيعة المسيح عيسى ابن مريم - عليهما السلام - وأسباب عدم إيمانهم بمحمد - صلى الله عليه وسلم - رغم ذكر بعثته في الإنجيل ، وخير ما مثل هؤلاء العلماء خلال هذه الفترة شيخ الإسلام ابن تيمية و تلميذه ابن القيم الجوزية وآخرون .

إن من طبيعة الحياة الإنسانية أن ترتد وتأسن، إذا ابتعد الدعاة والمصلحون، عن منهجهم الدعوي في الدعوة إلى الله تعالى، ويطرأ عليها بمرور الزمن ما يكدر صفاءها ، فلا يكاد الناس يستقيمون على الإيمان والتوحيد حتى تبدأ عوامل الانحراف تتسرب إليهم شيئاً فشيئاً تسرّب الماء الآسن إلى المشرع الروي الزلال :

حارَ الهِلالُ فَما يُحاوِلُ نَهضَةً إلّا رَماهُ مُحَلِّقُ الصُلبانِ

وهذا ما حدث للأمة الإسلامية أثناء الحَملات الصليبية حين اعتراها الضعف والعور نتيّجة بعدها عن الله تعالى؛ ﴿ أَوَ لَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [آل عمران:١٦٥]. وهذا ما تنبه له القادة الربانيون من أمثال شرف الدولة مودود، وعماد الدين زنكي ومن سار في فلكهما ، حينما رأو، أن بداية العلاج الحقيقي يكمن في الرجوع إلى الله، من خلال تأسيس مدارس فكرية لمحاربة البدع والأهواء والعادات المستنكرة في أوساط المسلمين وتبصيرهم بالحق ودليله، ومقاومة المحتل الغاصب للديار والمقدسات والمنتهك للأعراض، حتى جنى ثمار هذا الزرع الطيب جيل نور الدين محمود وصلاح الدين الأيوبي، والظاهر بيبرس، والأشرف قلاوون .

لقـد أثبت الواقع أن الحملات الصليبيـة لم تفلح عسكرياً رغم مكوثها هذه الفترة الطويلة بين ظهراني المسلمـين؛ فهي لم تفلح عقائدياً أيضاً في تشكيك المسلمـين برسالتهم، بل زادتهم تمسُّكاً بدينهم، حينما انتشـر والوعي وقضي على الجهل وأدَّى في النهاية إلى خـروج الصليبيين من أراضي المسلمين دون الفوز بمـا قدمـوا من أجله ومـع هذا فلا يغفـل تأثير الحمـلات الصليبية علـى المجتمع المسلم، فقـد زاد عدد الكنائس، وبالتالي زاد عدد المنصرين .

ثـم جـاءت المرحلة التالية بعد ذلك، وهي مرحلة الحمـلات الصليبية المقنعة بالاستعمار الحديث -كما يسمـى- حيـث قدمت أوروبا علـى العالم الإسلامـي وقطعته، ومزقته إربـاً، وسيطرت عليـه. بعد أن عاد الصليبيون بثوب مغاير عن طريق المستعمر؛ والذي قام بتسخير إمكانات العالم الإسلامي لخدمة أهدافه والـذي سبـق إليه بغزو جيوشه اللغوية في القرن السابع عشر والثامن عشر الميلاديين . حيث تركزت هذه الجيوش فـي المناطق الخصبة لنموها من حيث سعـة الانتشار والأبعاد السياسيـة، أتت جيوش اللغة إلى مصـر والشـام على وجه الخصوص في شكل إرساليات علمية، اتخـذت صوراً كثيرة منها المدارس العلمية والمعاهد الفكرية، ومنها الكنائس والأديرة والمصحات وغيرها.

ونعود لنقول: إننا نشتم رائحة الصليبية الفائحة في هذه **الحملات الجديدة**، فعندما وقف الجنرال القائـد الصليبـي اللنبي الإنجليزي على جبل الزيتون في القدس وقـال: "الآن انتهت الحروب الصليبية". وعندما دخل الجنرال الفرنسي "قورو" إلى دمشق ، وسأل عن **قبر صلاح الدين** ، ثم ذهب إليه وركله بقدمه وقال: "قم يا صلاح الدين ها قد عاد الصليبيون من جديد" وقد كان معه المخططات التي هدفت إلى نشـر الحضارة الغربيـة -كما تسمى- وإبعاد المسلمـين عن دينهم، وإقصائهم عـن حقيقته، وتزويد هذه الأمة الإسلامية بهذه الحضارة الغربية، ولا يخفى على أحد مؤامرات "كرومر ، ودلو" ، وغيرهما ممن لا يخفى ذكرهم، ولا مجال للإطالة والإفاضة فيه.

لقد سعى المستعمر الصليبي جاهداً إلى خلخلة بلاد المسلمين سنوات طويلة، وقد بذل في هذه السنوات مـن الجهـود الجبارة لحرب الإسلام والمسلمـين ، ما يعجز القلم عن تحبيره في مثـل هذه العجالة، ومن يدقـق الطـرف ويجيل النظـر في تاريـخ الاستعمار الحديث لبلادنـا يعلم أن هـدف المستعمرين محاربة الإسلام وتمزيق وحدة الأمة الإسلامية .

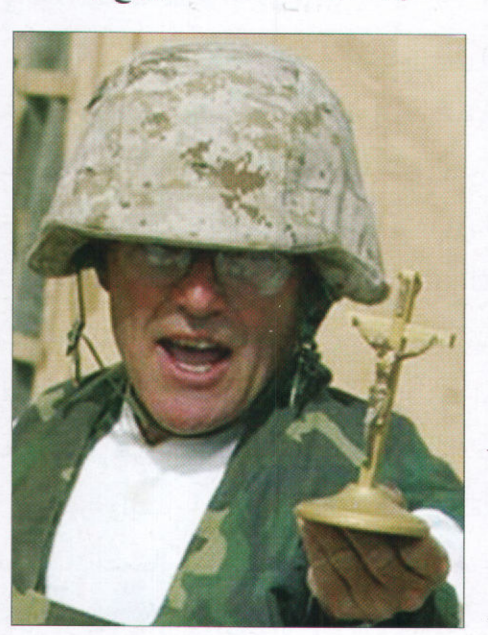
ويسـرف فـي الخطأ من يعتقـد أن عداوة الغرب وسائر أعداء الإسلام ، وحروبهم ضدنا ستتوقف إذا وجدت الأمم المتحدة حلاً لقضية فلسطين أو العراق أوأفغانستان أو الصومال أو غيرها. ﴿ولا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا﴾ [البقرة:٢١٧] إن الحرب المقدسة مع الاستعمـار اليوم تقتضي تخليص ضمائر الشعوب أولاً من الاستعمار الروحي والفكري، وتحطيم الأجهزة التي تقوم بعملية التخدير، والحذر من كل لسان ومن كل قلم، ومن كل جمعية أو جماعة تهادن معسكراً من معسكرات الاستعمار، التي ترتبط

جميعها بمصلحة واحدة، ومبادئ واحدة. مبادئ العالم الغربي القائم على التعالي على الآخر !

لقد لمسنا في تاريخنا المعاصر إن الروح الإسلامية باقية وإن ظنوا أنها قد أخمدت عندما هدمت الخلافة، ومزق الاستعمار أراضينا إلى دول شتى. ومخطط الاستعمار الغربي ينفذ اليوم على أيدي العلمانيين والمجرمين الذين يروجون لفكر المستعمر الصليبي.

واليوم يريد النصارى أن ينسى المسلمون الحروب الصليبية حتى تزول الحواجز النفسية التي يظنون أنها هي التي تحول بينهم وبيننا، ومن أجل ذلك انطلقت من أوروبا. "مسيرة مصالحة" نصرانية للاعتذار للمسلمين عن الحملات الصليبية، وقد بدأت هذه المسيرة عام ١٩٩٦م في فرنسا، ثم تبعها في ألمانيا حوالي ١٠٠٠ شخص عام ١٩٩٧م معظمهم من سلالة الصليبين، وقد زارت هذه المسيرة تركيا ولبنان، والتقت ببعض المسؤولين وببعض المارة وقدم لهم بعض الهدايا مع اعتذار شفهي عن جرائم أجدادهم الصليبيين الذين غزوا المنطقة قبل تسعمائة سنة وارتكبوا فيها المجازر وألحقوا بالبلاد الدمار.

وقد ذكرت لك أخي القارئ الكريم، قصة هذا الاعتذار في صفحتي ٢٤٠ و ٢٤١. لكن أحداث الحادي عشر من سبتمبر والتي لا تزال أسبابها غامضة حتى الساعة؛ أعاد الغرب سياسته الخاطئة وراح يتحالف على الإسلام والمسلمين، ويلصق بهم الإرهاب، ليحتل بعد ذلك بلدين عزيزين هما (أفغانستان والعراق) في خطوة أعلن فيها الرئيس الأمريكي بأنها حرب صليبية ؟!.



جندي أمريكي في العراق يعرض صلب شبيه المسيح؛ كنوع من التحدي

هناك مصادر متعددة تتحدث عن "بوش المتدين"، حتى إن النيوزويك الأمريكية (٢٠٠٣/٣/١١) خصصت عدداً بعنوان "بوش والرب". فبوش يتمتع بالسمات الشخصية التالية، التي تجعل من المقبول الاعتقاد بأن **حملاته "صليبية"**، وهي:

- بوش، كما وصفه ديفيد فرام، "يحكم بعقيدته الدينية، وهو أكثر تقليدية بطريقة تفكيره". ووصف إدارته بـ"نظام عسكري" و"ثقافة التنصير".

- بوش "أعمته معتقداته الدينية عن رؤية العالم المحيط به أو قراءة أحداثه بصورة متوازنة"، وقد قال لمستمعيه مرة: "إن الولايات المتحدة مدعوة إلى إيصال هدية الحرية التي منحها الرب لكل إنسان على وجه المعمورة" (نيوزويك ٢٠٠٣/٣/١١).

- بوش "أخذ بالحمية الدينية" كما وصفه الكاتب النيجيري وول سوينكا (حائز على نوبل الآداب ١٩٨٦م) (الحياة ٢٠٠٣/٣/٢٦).

إضافة إلى ما سبق فإن متحدثاً باسم الفاتيكان (أذاعت نص كلامه الإذاعة الرسمية للكنيسة الكاثوليكية) أكد ذلك الوصف على سبيل الاستنكار، وكذلك فعل الرئيس الألماني يوهانس راو (معروف بتدينه الشديد وعمله في بواكير حياته كاهناً كنسيّاً) فقال: "لم يكن الإنجيل بندقية وحرباً موجهة لغير النصارى، وليس به موضع واحد يتحدث عن الحروب الصليبية التي يتحدث عنها جورج بوش. (إسلام أون لاين.نت)

والمثير في هذا المجال إعلان منظمتين تنصيريتين أمريكيتين (المؤتمر المعمداني الجنوبي، أكبر التجمعات البروتستانتية في أمريكا، الذي يعد أحد المؤيدين السياسيين الموالين لبوش، وفرانكلين جراهام الذي له علاقة قوية ببوش الابن) أنهما تُعدَّان فرق عمل لدخول العراق ونشر الديانة المسيحية بين مواطنيه بعد انتهاء الحرب الدائرة حالياً (إسلام أون لاين.نت)

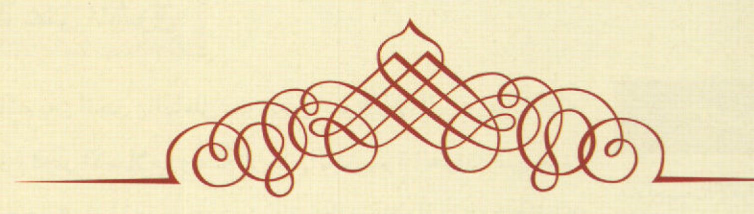
إن هذا التوجه الإمريكي الخطير ينذر بأزمة كبيرة بين الشرق والغرب مصداقاً لقول الحق تبارك وتعالى: ﴿ ٱسْتِكْبَاراً فِي ٱلأَرْضِ وَمَكْرَ ٱلسَّيِّىءِ وَلاَ يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّىءُ إِلاَّ بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ سُنَّتَ ٱلأَوَّلِينَ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلاً وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلاً ﴾[فاطر ٤٢].

ورغم هذه السحابة التشاؤمية من قبل المتعصبين من الغرب الصليبي فإن العقلاء من الفريقين، بدأو يشعرون بخطر وفداحة هذا الأمر إذا استمر هذا التصعيد الغربي بنفسه الصليبي المقيت؛ واليوم تمتد يد الخير والعطاء من قبل خادم الحرمين الشريفين الملك **عبدالله بن عبدالعزيز** - حفظه الله - حينما أعلن تبنيه الدعوة **لحوار الأديان السماوية** باهتمام بالغ من كافة شرائح المجتمعات الدينية في العالم بهدف تجاوز الشدائد والمحن التي تمر بها الإنسانية في الوقت الراهن، وضرورة توفير مناخ مناسب للحوار بعيد عن النعرات الاستعلائية. وكذلك لا يجوز أن تتخذ هذه الحوارات الدينية ذريعة لسب الأديان الأخرى. ولابد في الحوار من احترام متبادل وحفظ كرامة الآخر وانتفاء الأنانية، وقد ذكرت ذلك بالتفصيل في كتابي الموسوم بـ (أطلس الأديان) ولا داعي لإعادته في هذه المقدمة.

وأخيراً وليس آخراً أتوجه إلى العلي القدير أن يجعل هذا الأطلس مع سلسلة الأطالس السابقة في موازين أعمال هذه الأمة ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَابِ لَكَانَ خَيْراً لَّهُمْ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَاسِقُونَ ﴾[آل عمران ١١٠].

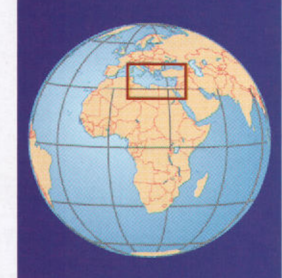
سامي بن عبد الله بن أحمد المغلوث
المملكة العربية السعودية - الأحساء - المبرز
١٠ / ٧ / ١٤٢٩ هـ
جوال ٠٥٠٤٩٣٤٦٩٣
SAMIMAG4@NASEEJ.COM

الباب الأول





دوافع الحملات الصليبية





دوافع الحملات الصليبية على المشرق

منذ فجر التاريخ، والصراع قائم بين الحق والباطل، من لدن آدم عليه السلام إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها. وحينما بزغ فجر الإسلام، وعمّ أرجاء الجزيرة العربية في عهد المصطفى صلوات الله وسلامه عليه؛ بدأ أعداء الدين بالتخطيط للنيل منه ومحاربته بشتى الوسائل والطرق؛ وبما أن الإسلام جاء لتوحيد الله تعالى، وإخراج الشعوب المقهورة والمستعمرة من قبضة مستعمريهم، كما هو الحال في هيمنة الإمبراطورية الرومانية على بلاد الشام ومصر والشمال الإفريقي، وكذلك الأمر بالنسبة للهيمنة المجوسية على العراق، لذلك خرجت طلائع الفتح الإسلامي في عهد الخلفاء الراشدين - رضي الله عنهم - لتخليص هذه الشعوب المقهورة من هذه الحكومات الاستعمارية الجائرة، ولإرساء قواعد العدل الإلهي بين هذه الشعوب جميعاً.

لقد خرج قادة الجيوش الإسلامية يحملون رسالة المحبة والسلام قبل خوضهم أي معركة مع الطرف الآخر، فنجحوا في مهمتهم حتى امتد هذا الفتح الإسلامي المبارك في مشارق الأرض ومغاربها، وتقلصت بلاد النصرانية، حتى حصرت في بعض أوروبا تتربص بالمسلمين وتنتظر منهم غفلة وضعفاً، قال تعالى: « وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ * » وحينما تهيأت الظروف لأوروبا لإعادة تاريخها الاستعماري في العصور الوسطى لبست مسوح الدين وأخذت تتباكى على الأراضي المقدسة في أرض فلسطين، من جراء تصرفات بعض المحسوبين على الإسلام للحجاج النصارى، فاتخذت ذلك ذريعة للقيام بحملاتها الصليبية بكل صلف واستكبار؛ لتقذف بلاد الشام وقدسها الشريف بالجيوش العاتية، فاحتلت البلاد، وأسّست إمارات .

وتحفل كتب التاريخ بذكر الانقسامات التي هيأت النجاح للصليبيين بهذا الاستعمار البغيض في البلاد الإسلامية كنتيجة لعوامل متعددة؛ أهمها: البعد عن الله تعالى وثانيها: انشغال ولاة الأمر بأنفسهم للحفاظ على مكاسبهم الشخصية، والكيد لبعضهم بعضاً، وثالثها: انصراف العلماء عن أداء واجبهم الدعوي من خلال الجهر بالحق والوقوف إلى جانبه ـ إلا من رحم الله ـ ورابعها: استغلال أعداء الدين وعلى رأسهم الشعوبيون والباطنيون لهذه التفرقة والعمل على توسعتها والحصول على مكاسب بسببها. وخامسها: انصراف الخاصة والعامة من المسلمين عن متابعة الجهد العلمي والتفوق فيه إلى مراقبة هذا الصراع المتجدد والمتعدد بين زعماء الأمة الإسلامية وانغماس أكثرهم فيه. وسادسها: حصول الهجمات البربرية التي قوضت أركان المعارف والعلوم مرات عدة كما هو الحال بالاجتياح المغولي للخلافة العباسية.

الحروب الصليبية

واجهت الأمة العربية الإسلامية في أواخر القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي (٤٩١ هـ/ ١٠٩٦ م) أشرس غزو استعماري استهدف احتلال أراضيها وتدمير هويتها الحضارية . ذلك هو الغزو العسكري الغاشم والذي أطلق عليه مؤرخو الغرب **اسم الحروب الصليبية أو الحملات الصليبية** التي امتدت إلى ما يقارب قرنين من الزمن كانت فيها صولات وجولات. حيث تمكنت أولى الحملات من أن تقيم لها في المشرق العربي عدة إمارات صليبية كالرُّها وأنطاكية ومملكة بيت المقدس وطرابلس.

وقد تنبه المسلمون لمخاطر هذه الحملات الصليبية؛ فوحدوا صفوفهم وأوضحوا كلمتهم ولموا شملهم، كما سيتضح لك من خلال هذا الأطلس في الصفحات القادمة إن شاء الله تعالى ، بدءً من شرف الدولة مودود التركي ومروراً بصلاح الدين الكردي ونهاية بالظاهر بيبرس المملوكي ومن بعده .



خريطة أوروبية لحملات الإسكندر المقدوني **الاستعمارية** على أجزاء من بلاد المشرق، تعود إلى سنة ١٧٣٥ م

أيهما بدأ بالاعتداء على الآخر: الغرب أم الشرق؟

كتب بعض الكتّاب النصارى عن الحروب الصليبية أو عن الإسلام **معتبرين الفتوح الإسلامية غزواً دينياً** لا يختلف عن الغزو الصليبي. قلت: وهذا ظلم جائر؛ سيتم إيضاحه.

ومن هؤلاء الكتّاب أشخاص بارزين مثل ولسون كاش Wilson Cash الذي كان سكرتيراً لـ C.M.S. وزويمر S.M.Zwemer أحد زعماء الإرسالية العربية التنصيرية ودنكان ب. ماكدونالد B.Macdonald Duncan وبالمقابل فإن بعض الكتّاب العرب بنوا مواقفهم من النصرانية والعلاقة بين المسلمين والنصارى على ردود فعلهم تجاه الحروب الصليبية.

إن المؤرخ المنصف حينما يكتشف كيف خرج الإغريق من بلادهم اليونان زاحفين نحو الشرق، يجد الإجابة الشافية على سؤاله في تحول حضارة الإغريق الهلينية الاستعمارية إلى الحضارة الهلينستية كنتاج لامتزاجها بالحضارة الشرقية، وحينما ورثت الإمبراطورية الرومانية حضارة الإغريق، قامت هي الأخرى باحتلال سوريا سنة ٦٤ م، وانتهت بضم مصر إليها، ثم غزت شمال إفريقيا بكامله بعد قضائها المبرم والنهائي على مدينة (قرطاجنة) التي صيرتها خراباً إلى يومنا هذا، وذلك بعد حرقها وتدميرها وزرع أرضها بالملح حتى لا تنبت مرة أخرى، وبلغت حدود الإمبراطورية الرومانية من المحيط الأطلسي غرباً إلى الصحراء السورية العربية شرقاً. إذن خضع الشرق الأدنى لاستعمار بغيض، جاء الإسلام فحرر شعوبه، وطمس وثنيته.



42 The Roman Empire about 395. 43

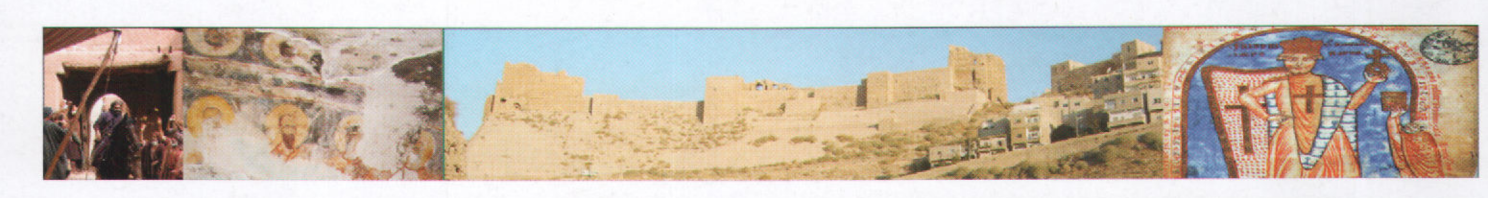
(C) Volkagen & Klafing

خريطة أوروبية من أطلس أوروبي قديم، للتوسع **الإستعماري** للإمبراطورية **الرومانية** على أجزاء من بلاد المشرق والشمال الإفريقي .



أخي القارئ الكريم؛ تقصدت أن أقدم لك خارطتين أوروبيتين، في الصفحة السابقة وفي هذه الصفحة؛ تصوران المد الاستعماري في الماضي.

الأولى: لإمبراطورية الإسكندر المقدوني، **والثانية:** للإمبراطورية الرومانية، لكي تقف على الحقيقة الزائفة التي يدعيها بعض المؤرخين الغربيين بإن المسلمين هم أول من بدأ العداء ضدهم؛ وكما ذكرنا في الصفحة السابقة على أن الفتح الإسلامي جاء مخلصاً لشعوب بلاد الرافدين وسوريا ومصر والشمال الإفريقي من قبضة المستعمر الغاصب المتعالي .



مؤلف ومصمم الأطلس أمام أحد المعبد الرومانية والتي تعود إلى كبير آلهة الرومان (جوبيتر) - سبيطلة - تونس



معبد روماني من القرن الثالث الميلادي - مدينة قنوات - سوريا



معركة ملاذكرت (ملاذكرد) ٤٦٣ هـ ١٠٧١ م

قامت الدولة السلجوقية التركية في القرن الخامس للهجرة لتشمل خراسان وما وراء النهر وإيران والعراق وبلاد الشام وآسيا الصغرى. وأسسها طغرل بك السلجوقي الذي استطاع أن يسقط الدولة البويهية الشيعية التي كانت مسيطرة على الخلافة العباسية ببغداد عام ٤٤٧ هـ، وأن يؤسس بدلاً منها دولته السنية، ثم توفي سنة ٤٥٥ هـ وتولى السلطنة من بعده ابن أخيه **ألب أرسلان** الذي كان قائداً ماهراً وشجاعاً كعمه، فنشر الأمن في سلطنته الواسعة، ثم التفت نحو توحيد العالم الإسلامي تحت راية الخلافة العباسية ونفوذ السلاجقة.

وأغضبت فتوحاته هذه رومانوس (أرمانوس) إمبراطور الروم، فصمم على القيام بمعركة مضادة للدفاع عن إمبراطوريته، ودخلت قواته في مناوشات ومعارك كان أهمها **ملاذكرت عام ٤٦٣ هـ**، وتعد معركة "ملاذكرت" من أيام المسلمين الخالدة، مثلها مثل بدر، واليرموك، والقادسية، وحطين، وعين جالوت، والزلاقة، وغيرها من المعارك الكبرى التي غيّرت وجه التاريخ، وأثّرت في مسيرته، وكان انتصار المسلمين في ملاذكرت نقطة فاصلة؛ حيث قضت على سيطرة دولة الروم البيزنطية على أكثر مناطق آسيا الصغرى وأضعفت قوتها، ولم تعد كما كانت من قبل شوكة في حلق المسلمين، حتى سقطت في النهاية على يد السلطان العثماني المسلم محمد الفاتح.

قال ابن كثير في البداية والنهاية: ثم دخلت سنة ثلاث وستين وأربعمائة وفيها أقبل ملك الروم **أرمانوس** في جحافل أمثال الجبال من **الروم والكرج والفرنج**، وعدد عظيم وعُدد، ومعه خمسة وثلاثون ألفاً من البطارقة، مع كل بطريق مائتا ألف فارس، ومعه من الفرنج خمسة وثلاثون ألفاً، ومن الغزاة الذين يسكنون **القسطنطينية**، خمسة عشر ألفاً، ومعه مائة ألف نقاب وحفار، وألف روزجاري، ومعه أربعمائة عجلة تحمل النعال والمسامير، وألفاً عجلة تحمل السلاح والسروج والغرادات والمناجيق، منها منجنيق عدة ألف ومائتا رحل، ومن عزمه قبحه الله أن يبيد الإسلام وأهله، وقد أقطع بطارقته البلاد حتى بغداد، واستوصى نائبها بالخليفة خيراً، فقال له: أرفق بذلك الشيخ فإنه صاحبنا، ثم إذا استوثقت ممالك العراق وخراسان لهم مالوا على الشام وأهله ميلة واحدة، فاستعادوه من أيدي المسلمين، والقدر يقول: ﴿لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون﴾ الحجر: ٧٢
فالتقاه السلطان **ألب أرسلان** في جيشه وهم قريب من عشرين ألفاً، بمكان يقال

الإمبراطورية البيزنطية

هي إمبراطورية تاريخية، عاصمتها القسطنطينية (بيزنطة). وكان يطلق عليها الإمبراطورية الرومانية الشرقية وكلمة بيزنطي وضعها مؤرخ ألماني (هيرونيموس ولف) سنة ١٥٥٧م، ونشرها الفرنسيون في القرن ١٨م، للإشارة للإمبراطورية الرومانية الشرقية.

بينما كان رعايا الإمبراطورية يستخدمون كلمة روماني وكان إمبراطورهم يدعى الإمبراطور الروماني. عاشت الإمبراطورية البيزنطية ما يزيد عن ١١ قرناً تقريباً وظلت قائمة حتي عام ١٤٥٣ م.

كانت الإمبراطورية معبراً للقوافل التجارية بين الشرق والغرب. وكانت الإمبراطورية البيزنطية تضم هضبة الأناضول بآسيا وأجزاء من اليونان وجزر بحر إيجه وأرمينية وآسيا الصغرى والشام والجزيرة الفراتية السورية ومصر وليبيا وتونس والجزائر .

كانت هذه الإمبراطورية تأخذ طابعاً إغريقياً في الثقافة والعلوم حيث حافظت على التراث الإغريقي والروماني. كما تأثرت بحضارات وفنون الشام ومصر وبلاد الإغريق ومابين النهرين. لكن البيزنطيين إستحدثوا لهم ثقافاتهم وطرزهم المعمارية الخاصة بهم ولاسيما في بناء الكنائس والقصور والحمامات والمكتبات والمستشفيات والخانات والأسواق المغطاة وبيوت الضيافة على طرق القوافل . واشتهروا بالأيقونات الملونة. واشتهرت مخطوطاتهم بالتزيين والخط البديع وتهميش الصفحات ووضع العناوين. كما إشتهروا بصناعة أبواب القصور والقلاع المصفحة ونسج الحرير الملون وصناعة الأختام من الرصاص والسيراميك (الفسيفساء) والزجاج الملون وسك الدنانير البيزنطية الذهبية و التي كانت متداولة في أيام الإمبراطورية .



الدافع الديني :



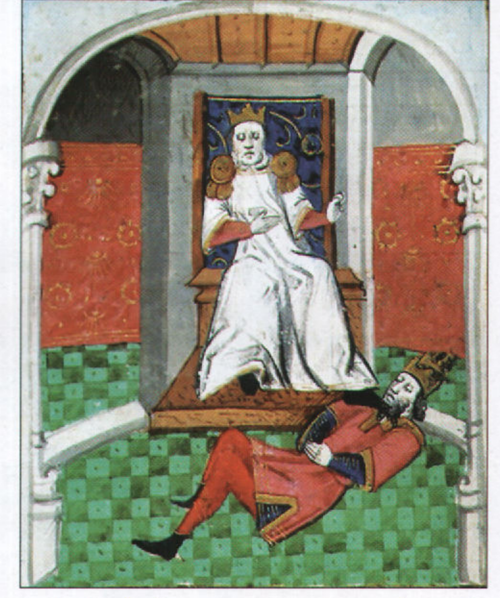
مرتسم أوروبي لمؤتمر كليرمونت، ويظهر فيه البابا أوربان الثاني وهو يخطب في الحشود للدعوة لحرب صليبية

كانت هزيمة **ملاذكرت** هزيمة قاسية للإمبراطورية البيزنطية الأمر الذي دعا بالإمبراطور البيزنطي بالاتصال بالبابوية في روما على رغم الخلاف الحاد بينهما من أجل الوقوف صفاً واحداً أمام تنامي قوة السلاجقة الأتراك المسلمين؛ إضافة إلى ما أثاره (بطرس الناسك) الراهب الفرنسي الأصل، الذي جاء لزيارة "بيت المقدس"، وزعم أنه أسيئت معاملته مع غيره من الزوّار، وفور عودته إلى بلاده، مر **بروما** وقابل البابا (أوربان الثاني) ودعاه الى إنقاذ الأماكن المقدسة. ثم أخذ يجوب ألمانيا وفرنسا وبلجيكا محرضاً الجماهير في خطبه على الزحف لإنقاذ **"قبر المسيح"**، **قال تعالى :**

﴿ فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا * وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا * وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا * بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا * وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴾ النساء ١٥٥ - ١٥٨ . فكان لتلك الخطب الحماسية، وتشجيع البابا لهذه الحركة؛ أثر كبير في قلوب الناس؛ لتهييج مشاعرها، وإثارة عواطفها.

وكانت أولى ثمار هذا التحرك انعقاد مؤتمر كليرمونت في تشرين الثاني ١٠٩٥م برئاسة البابا، وكان له تأثير كبير في الدعوة للحروب الصليبية ورعايتها، فعمل على المقاربة وإزالة الخلاف بين الكنيستين الشرقية (البيزنطية) والغربية (اللاتينية)، إذ رفع قرار الحرمان الذي كان موقعاً من الإمبراطور البيزنطي. كما أعطى هذا البابا توجيهاته للأمراء ورجال الدين **وكبار التجار الإيطاليين** المشاركين في "مجمع كليرمونت"، بأن يحيك كل محارب صليباً من القماش الأحمر على ردائه الخارجي من ناحية الكتف، رمزاً للفكرة التي خرج ليحارب من أجلها، وقد تم تحديد سنة ١٠٩٧ م موعداً للحملة الصليبية الأولى. وقد أخرج البابا علامة الفداء المقدسة وهي (صليب الخلاص) عندهم وقال: (احملوه على عواتقكم، أو على صدوركم، وليشرف فوق أسلحتكم وفي رؤوس سناجقكم)، ولم يكتف البابا عند هذا الحد بل أخذ بالتنقل بين المدن والبلدان داعياً لهذه الحروب .

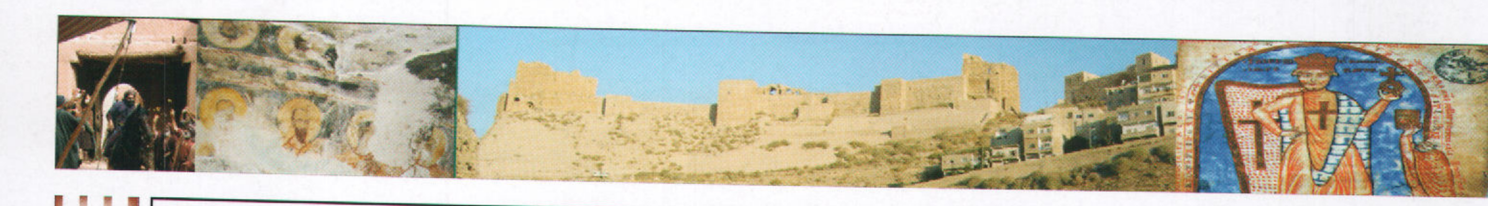



مرتسم أوروبي مبالغ فيه لسقوط رومانوس أسيراً عند ألب أرسلان

له الزهوة، في يوم الأربعاء لخمس بقين من ذي القعدة، وخاف السلطان من كثرة جند ملك الروم ، فأشار عليه الفقيه أبو نصر محمد ابن عبد الملك البخاري **بأن يكون وقت الوقعة يوم الجمعة بعد الزوال** حين يكون الخطباء يدعون للمجاهدين، فلما كان ذلك الوقت وتواقف الفريقان وتواجه الفتيان، نزل السلطان عن فرسه وسجد لله عزوجل، ومرغ وجهه في التراب ودعا الله واستنصره، فأنزل نصره على المسلمين، ومنحهم أكتافهم فقتلوا منهم خلقاً كثيراً، **وأسر ملكهم أرمانوس**، أسره غلام رومي، فلما أوقف بين يدي الملك ألب أرسلان ضربه بيده ثلاث مقارع وقال: لو كنت أنا الأسير بين يديك ما كنت تفعل ؟ قال: كل قبيح، قال: فما ظنك بي ؟ فقال: إما أن تقتل وتشهرني في بلادك، وإما أن تعفو وتأخذ الفداء وتعيدني. قال: ما عزمت على غير العفو والفداء. فافتدى نفسه منه بألف ألف دينار وخمسمائة ألف دينار. فقام بين يدي الملك وسقاه شربة من ماء وقبَّل الأرض بين يديه، وقبَّل الأرض إلى جهة الخليفة إجلالاً وإكراماً، وأطلق له الملك عشرة آلاف دينار ليتجهز بها، وأطلق معه جماعة من البطارقة وشيعه فرسخاً، وأرسل معه جيشاً يحفظونه إلى بلاده، ومعهم راية مكتوب عليها **لا إله إلا الله محمد رسول الله**، فلما انتهى إلى بلاده وجد الروم قد ملكوا عليهم غيره، فأرسل إلى السلطان يعتذر إليه، وبعث من الذهب والجواهر ما يقارب ثلاثمائة ألف دينار وتزهد ولبس الصوف ثم استغاث بملك الأرمن فأخذه وكحله وأرسله إلى السلطان يتقرب إليه بذلك.



وهذه المعركة هي التي مهدت **للحروب الصليبية** بعد ازدياد قوة السلاجقة المسلمين وعجز دولة الروم عن الوقوف في وجه الدولة الفتية، وترتب على ذلك الحملة الصليبية الأولى. كما سيرد تفصيلها في الصفحات القادمة من هذا الأطلس إن شاء الله تعالى .



رأي حول قيام الحروب الصليبية

الدولة العبيدية وهدم كنيسة القيامة بقلم: الكاتب المسيحي الشرقي البابلي (تم نقل النص حرفياً)

كثيراً ما يثير المسلمون قضية **الحروب الصليبية** كلما دار النقاش حول العنف في **القرآن** و **الإرهاب الإسلامي** قديماً وحديثاً. وهي محاولة يائسة منهم لإيهام القراء بأن المسيحية تجيز العنف والاعتداء بينما الحروب الصليبية تخالف روح الإنجيل مخالفة شديدة وتناقض تعاليم المسيح .. إلا إننا في هذا الموضوع لن نطيل في سرد أسباب رفضنا للحروب الصليبية إنما سنخوض في أسبابها تلك الأسباب التي يحاول أن **يخفيها المسلمون** في مواضيعهم ومشاركاتهم **لأسباب لا تخفى على اللبيب فأما ذاك مرجعه إلى الجهل أو التدليس والكذب (وهذان لهما مرجعية شرعية)** ولمعرفتنا بالأسباب فائدة عظيمة إذ من خلال كشفنا للسبب سنتمكن من صد وتحطيم هذه الأسطوانة المشروخة التي طالما لعبوا بها ومتى عرف السبب بطل العجب ..!

أسباب الحروب الصليبية : إن السبب الرئيس لقيام الحملات الصليبية .. هم : المسلمون أنفسهم !!! فبسبب معاملتهم الظالمة للمسيحيين وانتهاكهم لمقدساتهم والاعتداء على إنسانيتهم قامت تلك الحروب .. وإن كان هناك دوافع أخرى سياسية و لكننا لن نتفرع إليها في هذا المقالة. فالموضوع هنا: رد على المسلمين الذي يصورون أنفسهم للعالم **بأنهم حملان و إن المسيحيين هم الذئاب وهم الصليبيين** الذين اقترفوا الفواجع ضدهم رافعين الصليب دون سبب !! لنبدأ بسرد أهم سبب لقيام الحروب الصليبية وهو : **هدم المسلمين لكنيسة القيامة أقدس بقاع المسيحية!!!**

الدولة الفاطمية : قامت الدولة الفاطمية في إفريقية سنة ٢٩٨هـ بزعامة عبيد الله المهدي مدعياً أنه صاحب الحق في الخلافة وأنه حفيد محمد بن إسماعيل ابن جعفر الصادق وقد مهد لقيامها داعية إسماعيلي يدعى أبو عبد الله الشيعي وحشد لنصرتها قبيلة (كتامة)، وعرفت بالدولة العبيدية.

ولما رسخت قواعدها قضت على دولة الأغالبة في القيروان ثم قضت على دولة الإخشيد في مصر، وبنت فيها مدينة القاهرة ثم انتقلت إليها في عهد المعز لدين الله ودعيت بالدولة الفاطمية. ولم يستطع الخليفة العباسي المقتدر بالله أن يدفع قيامها وكل ما فعله أنه أصدر منشوراً بالطعن في نسب المهدي، وقعه وجهاء الهاشميين بما فيهم البيت العلوي، ومهما قيل في نسب الفاطميين فقد استطاعوا أن يحيوا مجداً وأن يبنوا نهضة وأن يرفعوا مناراً. غير أن الأمل الذي تفتح بقيامها لم يلبث غير زمن قصير، ثم حدثت بها أحداث سياسية واقتصادية واجتماعية تراخت فيها قوتها وانتهت إلى الزوال. وقد بدأ هذا التراخي في عهد الحاكم بأمر الله لسوء تصرفاته، ومنها إقدامه على هدم كنيسة القيامة في القدس وكان هدمها من أسباب قيام الحروب الصليبية. منقول من أحد المواقع المسيحية على الشبكة العنكبوتية، وحاولت جاهداً أن انقل الصورة المتشنجة التي كتب بها هذا الكاتب المسيحي عن أسباب الحروب الصليبية .

الرد على الرأي السابق من خلال استقراء التاريخ المعاصر للحدث

من المتعارف عليه أن بداية الحروب الصليبية جاءت في فترة كانت فيها **أوروبا قد تنصرت** بالكامل تقريباً بعد اعتناق الفايكينغ والسلاف والمجر للنصرانية. فكانت طبقة المحاربين الأوروبيين قد أصبحوا بلا عدو لقتاله، فأصبحوا ينشرون الرعب بين السكان، وتحولوا إلى السرقة وقطع الطرق والقتال في ما بينهم، فما كان من **الكنيسة** إلا أن حاولت التخفيف بمنع ذلك ضد جماعات معينة في فترات معينة من أجل السيطرة على حالة الفوضى القائمة. وفي ذات الوقت أفسح المجال للأوروبيين للاهتمام بموضوع **الأرض المقدسة** التي سيطر عليها المسلمون منذ عدة قرون ولم يتسن للأوروبيين الالتفات لها لانشغالهم بالحروب ضد غير النصارى من الفايكنج والمجريين الذين كانوا يشكلون المشكلة الأقرب جغرافياً سابقاً، وكذلك بدأت الكنيسة تلعب دوراً في **الحرب الاستردادية في إسبانيا**، حيث **قام البابا الكسندر الثاني** عام ١٠٦٣م بمباركة **المحاربين الذاهبين إلى الأندلس**، الأمر الذي لعب دوراً كبيراً في تكوين فكرة الحرب المقدسة.

إذن فكرة الحرب المقدسة: ليست وليدة **لمضايقات بعض المسلمين** لزوّار بيت المقدس، كما يزعمون، - وإن كنا لا نقرها نحن المسلمين - بل هي تؤكد على طبيعة الحقد الأوروبي البغيض على الإسلام والمسلمين. **فهل إعلان الحرب على المسلمين في الأندلس نتيجة لمضايقتهم لزوّار بيت المقدس أيضاً ؟!**



أوربان الثاني

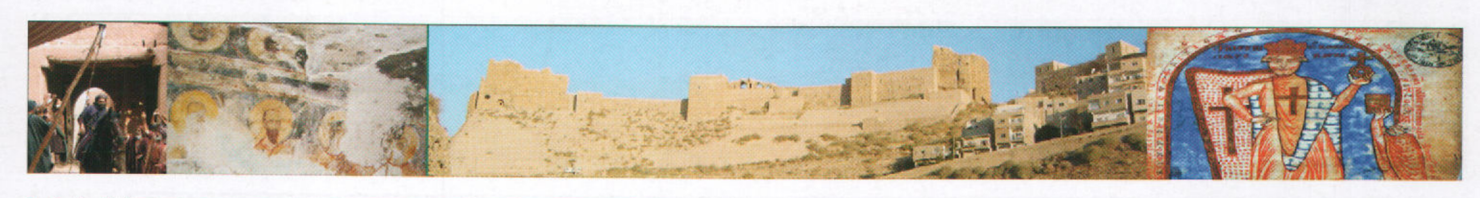
معظم المدونات التاريخية النصرانية المعاصرة **للحروب الصليبية** تنطق بالعداء السافر، وحسبنا أن مؤرخي هذه الحقبة نعتوا المسلمين بأنهم من « الجنس الشرير، وأعداء الله، والبرابرة الوثنيّين، والقتلة وسفاكي الدماء، وأتباع الشياطين، والأمم النجسة » والعبارة الأخيرة، وردت في خطبة **أوربان الثاني** في مؤتمر كليرمونت، انظر نص الرسالة عند: أ. محمد ماهر حمادة، وثائق الحروب الصليبية والغزو المغولي للعالم الإسلامي، دراسة ونصوص، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٣، ١٩٨٦، ص. ١٠٠.



الدافع السياسي :

كان الملوك والأمراء الذين أسهموا في الحركة الصليبية يسعون وراء أطماع سياسية لم يستطيعوا إخفاءها سواء قبل وصولهم الشام وفلسطين أو بعد استقرارهم فيهما والمعروف أن النظام الإقطاعي ارتبط دائماً بالأرض وبقدر ما يكون الإقطاع كبيراً والأرض واسعة بقدر ما تكون مكانة الأمير سامية في المجتمع وفي ظل هذا النظام كانت المشكلة الكبرى التي يمكن أن تواجه الأمير والفارس هي عدم وجود إقطاع أو أرض له، مما يجعله عديم الأهمية مسلوب النفوذ وأدى هذا إلى بقاء عدد كبير من الفرسان والأمراء بدون أرض، لأن من القواعد الأساسية في هذا النظام أن الابن الأكبر وحده هو الذي يرث الإقطاع فإذا مات صاحب الإقطاع انتقل الإقطاع بأكمله إلى أكبر أبنائه، وهذا يعني لفناء بقية الأبناء دون أرض، وهو وضع ممقوت في المجتمع الإقطاعي، **الأمر الذي جعل الفرسان والأمراء المحرومين من الأرض يتحايلون للتغلب على هذه العقبة** عن طريق الزواج من وريثة إقطاع، أو الالتجاء إلى العدوان والحرب للحصول على إقطاع وكان إن ظهرت الحركة الصليبية لتفتح باباً جديداً أمام ذلك النفر من الأمراء والفرسان، فلبوا نداء البابوية، وأسرعوا إلى الإسهام في تلك الحركة لعلهم ينجحون في تأسيس إمارات لأنفسهم في الشرق، تعوضهم ما فاتهم في الغرب. **أما الأمراء والفرسان** الذين كانوا يمتلكون إقطاعات فقد وجدوا في المشاركة في الحركة الصليبية فرصة طيبة لتحقيق مجد أكبر والحصول على جاه أعظم .

قال الصلابي: وبدارستنا لمراجع الحروب الصليبية نرى أن أطماع أمراء الحملة الأولى تجلت في عدة مظاهر سياسية، فقد أخذوا يقسمون الغنيمة وهم في الطريق أي قبل أن يستولوا على الغنيمة فعلاً، وسوف نرى بإذن الله تعالى كيف استحكم النزاع فيما بينهم أمام أنطاكية لرغبة كل واحد منهم في الفوز بها وكيف من استطاع منهم أن يحقق لنفسه كسباً في الطريق قنع به وتخلى عن مشاركة بقية الصليبيين في الزحف على بيت المقدس، وهو الهدف الأساسي للحملة وكثيراً مادب الخلاف بينهم - بعد استقرارهم - حول إمارة أو الفوز بمدينة، وعبثاً حاولت البابوية أن تتدخل لفض المنازعات بين الأمراء وتحذرهم بأن المسلمين يحيطون بهم، وأن الواجب الصليبي يستدعي تضامنهم لدفع الخطر عن أنفسهم ولكن تلك الصيحات ذهبت أدراج الرياح، لأن هدف الأمراء كان ذاتياً سياسياً، ولم يكن يهمهم كثيراً أرضاء البابا أو سخطه، بل إن بعض الأمراء لم يحجموا عن مخالطة القوى الإسلامية المجاورة ضد إخوانهم الصليبيين مما يدل على أن الوازع الديني كثيراً ما ضعف عند أولئك الأمراء أمام مصالحهم السياسية، أما بالنسبة للإمبراطور البيزنطي (الكسيوس) فإنه لم يعترض على أهداف أمراء الحملة، لأنه إذا تسنى للدولة البيزنطية استرداد ما كان لها من أملاك قبل غارات الأتراك عليها، جاز أن تقوم في تخومها إمارات مسيحية حاجزة، لها حق السيادة عليها، ولضمان الحصول على ذلك حرص الإمبراطور على الحصول على يمين الولاء من أمراء الغرب، وبذلك توافقت مصالح كلا الجانبين المسيحيين في القيام بالحرب والعدوان على الأرض الإسلامية والواقع أنه من العسير الفصل بين العوامل المادية والعوامل المعنوية التي دفعت المسيحيين إلى الحروب الصليبية، فالفقر





والرغبة في الكسب، وروح المغامرة كانت عوامل هيأت الجو المناسب للحروب، غير أن هذه العوامل لم تظهر إلا بما نجم عن فكرة للحرب "المقدسة" وتخليص الأرض، من حماس ديني، والواضح أن فكرة الحرب نبعت من السياسة البابوية، وسياسة الدولة البيزنطية والحروب الأسبانية الإسلامية، فمما سهل أمر إعلان الحرب على المشرق الإسلامي، ما درج عليه الأسبان والفرنسيون في قتال المسلمين في بلاد الأندلس، حيث أتخذ هذا القتال صفة الحرب المقدسة، سواء من جهة المسلمين، حيث أثار "المرابطون" في المغرب الإسلامي الجهاد الديني، أو من جهة المسيحيين في الحالة النفسية التي اقترنت بتوجيه الحرب الصليبية إلى الشرق، حتى أن المؤرخ الكبير (ابن الأثير) نظر إلى الخطر الخارجي نظرة شمولية، واعتبر أي عدوان على طرف من أطراف العالم الإسلامي – سواء في الشرق والغرب – رافد يصب في النهر الأكبر، وهو الغزو الأجنبي المنظم على أكبر قوة حضارية في العصور الوسطى، وهو الدولة الإسلامية. الأندلس، صقلية، الشام – فلسطين" والتي تكمن في الفرقة، والأطماع الذاتية، وفقدان الروح الوثابة التي تميز بها الحكام والمسلمون الأوائل بناة الدولة الإسلامية هذا وقد كان واضح للعيان أن **الكنيسة الغربية كانت محمومة لتوسيع رقعتها الإقطاعية، والسيطرة على الكنائس الشرقية، إضافة إلى رغبتها في حرب المسلمين**، ومن حقائق التعصب الديني، وجود الجماعات الدينية التي كانت ترتبط بالكنيسة مباشرة وكانت ذات أثر فعال في تلك الحروب، منها فرسان **الاسبتارية** الذين كانوا ملتزمين بالدفاع عن ممتلكات الصليبيين في المشرق، وحماية الأماكن المقدسة وكانوا يرتبطون بالبابا مباشرة، وكانت كنائس بيت المقدس قد خصصت عشر دخلها لمساعدتهم في أداء رسالتهم الدينية المزعومة، وهناك هيئة الفرسان الداوية التي أتخذت مقرها في جزء من هيكل سليمان عليه السلام في المسجد الأقصى، وسميت باسم: فرسان المعبد، ثم حرفت إلى اسم **الداوية** هذا وقد كانت للبابوية ورجال الكنيسة القدرة على التأثير والضغط والتهديد بالنسبة لمن لا ينفذ رغبة الكنيسة بإصدار قرارات الحرمان التي تقضي بالحرمان من النعيم في الآخرة ونبذ طاعته في الدنيا على حد زعمهم. دولة السلاجقة وبروز مشروع إسلامي لمقاومة التغلغل الباطني والغزو الصليبي، النسخة الرقمية.



الدافع الاجتماعي :

يتألّف المجتمع الأوروبي في العصور الوسطى من **ثلاث طبقات :**

طبقة رجال الدين (من الكنيسة والديريين) .

طبقة المحاربين (من النبلاء والفرسان) .

طبقة الفلاحين (من الأقنان ورقيق الأرض) .

لذلك ساد المجتمع الأوروبي في العصور الوسطى، تمايز طبقي كبير، فقد سادت فيه طبقة رجال الدين وطبقة المحاربين من النبلاء والفرسان، وكانت طبقة الفلاحين تمثل الطبقة الأكبر المغلوبة على أمرها، والتي كان أفرادها يكدحون، ليسدوا حاجة الطبقتين الأوليتين.

وكانت الطبقتان الأوليتان تشكلان أقلية تمثل في مجموعها الهيئة الحاكمة من وجهة النظر السياسية والارستقراطية السائدة، في حين ظلّت طبقة الفلاحين تمثل الغالبية المغلوبة على أمرها والتي كان على أفرادها أن يعملوا ويشقوا ليسدوا حاجة الطبقتين الأوليتين.

وكان معظم أولئك الفلاحين من العبيد والأقنان الذين ارتبطوا ارتباطاً وراثياً بالأرض التي يعملون عليها وقضوا حياتهم محرومين من أبسط مبادئ الحرية الشخصية. فكل ما يجمعه القن يعتبر ملكاً خاصاً **للسيد الإقطاعي** لأن القن محروم حتى من الملكية الشخصية.

بيد أن أولئك الفلاحين عاشوا مثقلين بمجموعة ضخمة من الالتزامات والخدمات فكان عليهم أن يقدّموا خدمات معينة للسيد الإقطاعي مثل فلاحة أرضه الخاصة فضلاً عن تسخيرهم في أعمال شاقة مثل إنشاء طريق أو حفر خندق أو إصلاح جسر.

كذلك كان على الفلاحين دفع مقرّرات معينة مثل ضريبة الرأس التي يتعين على كل قن دفعها سنوياً رمزاً لعبوديته، هذا عدا عن الضرائب الأخرى، وهكذا ظلت الغالبية العظمى من الناس في غرب أوروبا يحيون حياة شاقة مليئة بالذلّ والهوان. وكان ذلك في الوقت الذي علت فيه الدعوة **للحروب الصليبية** فوجدت تلك الألوف من البؤساء في الغرب الأوروبي فرصتها قد حانت للتخلص مما كانت تعيش فيه من الذّل ونكد الدنيا. فالموت كان أحبّ إليهم من حياة الجوع والذّل والعبودية .

التدرج الهرمي للنظام الاقطاعي في أوروبا في العصور الوسطى



أباحت الكنيسة استرقاق المسلمين والأوروبيين الذين لم يعتنقوا الدين النصراني، وكان آلاف من الأسرى الصقالبة أو المسلمين يوزعون عبيداً على الأديرة، وكان القانون الكنسي يقدر ثروة أراضي الكنيسة في بعض الأحيان بعدد من فيها من العبيد لا بقدر ما تساوي من المال، فقد كان **العبد** يعد سلعة من السلع كما يعده القانون الزمني سواء بسواء، وحرم على عبيد الكنائس أن يوصوا لأحد بأملاكهم، وحرَّم البابا جريجوري الأول على العبيد أن يكونوا قساوسة، أو أن يتزوجوا من النصرانيات الحرائر.

السيد والفارس والقن



استذلال الطبقة الكادحة في النظام الاقطاعي



الدافع الاقتصادي :

يعتبر التطلع إلى خيرات المشرق الإسلامي، من أقوى دوافع الحروب الصليبية بعد الدوافع الدينية وقد عبر البابا (أوربان) نفسه في خطابه عن **أهمية العامل الاقتصادي** بالنسبة لواقع أوروبا آنذاك فقال : لا تدعوا شيئاً يقعد بكم .. ذلك أن الأرض التي تسكنونها الآن، والتي تحيط بها البحار وقلل الجبال ضيقة على سكانها الكثيرين، وتكاد تعجز عن كفايتهم من الطعام، ومن أجل هذا يذبح بعضكم بعضاً، ويلتهم بعضكم بعضاً .. إن أورشليم أرض لا نظير لها في ثمارها بل هي فردوس المباهج وإن جميع الوثائق تشير إلى سوء الأحوال الاقتصادية في غربي أوروبا في أواخر القرن الحادي عشر، وكانت فرنسا بالذات تعاني من مجاعة شاملة قبيل الحملة الصليبية الأولى، ولذلك كانت نسبة المشاركين منها تفوق نسبة الآخرين، فقد كانت الأزمة طاحنة حيث ألجأت الناس إلى أكل الحشائش والأعشاب، وبذلك جاءت هذه الحرب لتفتح أمام أولئك الجائعين باباً جديداً للخلاص من أوضاعهم الصعبة وهذا ما يفسر أعمال السلب والنهب للحملة الأولى ضد الشعوب النصرانية التي مروا في أراضيها، كذلك اشتراك عدد كبير من تجار المدن الإيطالية والفرنسية والإسبانية في الحروب الصليبية بغرض استغلالي بحث من أجل السيطرة على الطرق التجارية للسلع الشرقية التي أصبحت مصدر ثراء للمشتغلين بها، لذلك قامت أساطيلهم بدور فاعل في الاستيلاء على المراكز الرئيسة في الشام، فساعد الجنوية الفرنج في الاستيلاء على أنطاكية سنة ٤٩٠هـ - ١٠٩٧م، وأسهم البندقة بعد ذلك بعامين في استيلاء اللاتين على بيت المقدس، وكان هدف هذه الجاليات الأول والأخير هو بعينها الربح والكسب المادي ولم يكن الباعث الديني إلا بالقدر الذي يحقق مصالحها، ويكفي أن نعرف أن شعار البنادقة الذين عرفوا به وقتذاك كان : لنكن أولاً بنادقة ثم لنكن بعد ذلك مسيحيين ، ولذلك قامت جمهوريات إيطاليا (جنوا - بيزا - البندقية) بعقد معاهدات مع أمراء الصليبيين بالمشرق حصلت بمقتضاها على امتيازات اقتصادية كبيرة ، حققت من خلالها ما تريد، وسط ظروف عارمة كادت تعصف بتجارتها .

> اتسم كلام الزعيم الديني البابا (أوربان الثاني) في موعظته لأتباعه على محاربة المسلمين، وتخليص ما يزعم بقبر المسيح عليه السلام المقدس منهم، وتحرير بيت المقدس والمقدسات المسيحية في بلاد الشام من أيدي المسلمين. وقد وعد المحاربين بأن تكون رحلتهم إلى الشرق الإسلامي بمثابة غفران كامل لذنوبهم. لقد أدرك المستمعون لخطاب البابا ما يعنيه وما يرمي إليه، فصاحوا في حماس جنوني:
>
> "هذه هي إرادة الله... إن الله يريدها" وحملوا من ساعتها شارة الصليب وقد توجهوا نحو الشرق الإسلامي كما طلب منهم.
>
> ... ومما جاء في خطاب البابا أوربان : "بأمر الله تتوقف العمليات الحربية بين المسيحيين في أوروبا، ويتجه هؤلاء بأسلحتهم إلى هزيمة الكفرة -يقصد المسلمين- الآن اذهبوا وأزعجوا البرابرة، وخلصوا البلاد المقدسة من أيدي الكفار وامتلكوها لأنفسكم فإنها كما تقول التوراة: تفيض **لبناً وعسلاً**".



الموانئ الإيطالية الشهيرة ودورها الاقتصادي في الحملات الصليبية على المشرق الإسلامي

كانت سفن البنادقة والجنويين والبيازة تنقل المتاجر من مصر والشام إلى أوروبا في العصور الوسطى، وكانت سفن البنادقة بصفة خاصة تحمل الجزء الأكبر من تجارة الشرق إلى ميناء البندقية، حيث تعرض في سوق ريالتو (Rialto) هناك، لتباع في المزاد العلني للتجار الألمان والإنجليز وغيرهم. وكان سوق "ريالتو" الكبير في البندقية من أشهر الأسواق التجارية في حوض البحر المتوسط، حيث كانت المتاجر الشرقية توضع في عربات وتزحف بها من هذا السوق متجهة إلى أنحاء أوروبا عن طريق سهل لومبارديا وممرات جبال الألب، وطريق الراين، لتصل أخيراً إلى تجار التجزئة في شتى البلاد الأوربية ليتلقفها المستهلكون هناك .



مدينة بيزا الإيطالية والتي شكلت مع جنوا والبندقية موانئ رئيسة لنقل الصليبيين والتجارة مع المشرق

أهم مصادر ومراجع الباب الأول

١ - القرآن الكريم .

٢ - أ. محمد العروسي المطوي، الحروب الصليبية في المشرق والمغرب.

٣ - أ . سعيد أحمد برجاوي، (رئيس فخري لدى محكمة التمييز في لبنان) الحروب الصليبية في المشرق .

٤ - د . علي عبد الحليم محمود، الغزو الصليبي والعالم الإسلامي ، دار عكاظ للطباعة والنشر .

٥ - د . علي بن محمد الصّلاّبي، دولة السلاجقة وبروز مشروع إسلامي لمقاومة التغلغل الباطني والغزو الصليبي، نسخة رقمية .

٦ - ابن كثير الدمشقي، تاريخ البداية والنهاية . طبعات مختلفة .

٧ - مجلة التاريخ العربي ، أعداد مختلفة .

٨ - مجلة البيان الإسلامية ، أعداد مختلفة.

٩ - أمين معلوف، "الحروب الصليبية كما رآها العرب" ، نقلها إلى العربية د. عفيف دمشقية، دار الفارابي، دمشق، ١٩٨٩.

١٠ - الشيخ / محمود شاكر، التاريخ الإسلامي ، الدولة العباسية .

١١ - سيد علي الحريري، "الحروب الصليبية . أسبابها، حملاتها، نتائجها" ، تحقيق وتقديم عصام محمد شبارو، دار التضامن دمشق ط١. ١٩٨٨.

١٢ - أمينة بيطار، "تاريخ العصر الأيوبي" ، دمشق، ١٩٨٢.

١٣ - عبد المنعم ماجد، "الناصر صلاح الدين يوسف الأيوبي" .

١٤ - ياقوت الحموي، معجم البلدان .

١٥ - معين أحمد محمود، "تاريخ مدينة القدس".

١٦ - مواقع إلكترونية عن النصارى .

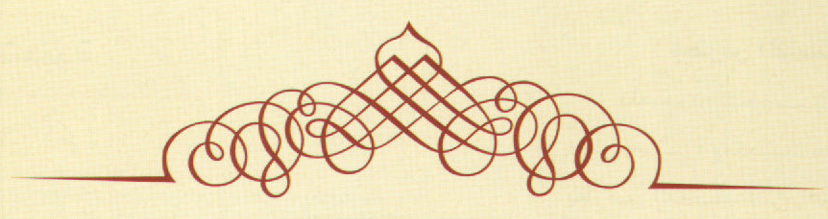
١٧ - موسوعة ويكبيديا على الشبكة العنكبوتية .

١٨ - سامي بن عبد الله المغلوث، الحملات الصليبية على المشرق الإسلامي في العصور الوسطى . دار الوراق، طبع ونشر ١٤١٩ هـ .

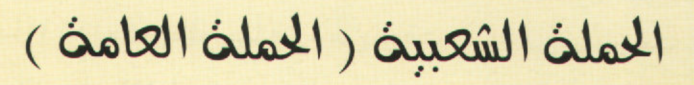
١٩ - محمد ماهر حمادة، وثائق الحروب الصليبية والغزو المغولي للعالم الإسلامي، دراسة ونصوص، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٣، ١٩٨٦م .



الباب الثاني







الحملة الشعبية (الحملة العامة)

 حملة بطرس الناسك

 معركة سيفيتوت





الحملة الصليبية الشعبية

سـنة ٤٨٩ هـ ـ ١٠٩٦م

قادة الحملة : بطرس الناسك ـ والترالمفلس .

سـبب الحملة :

هي حملة سبقت الحملة الصليبية العسكرية الأولى وتعتبر جزءاً منهـا، دامت حوالي ستة أشهر مـن إبريل سنة ١٠٩٦ م، إلى شهر أكتوبر من العام نفسه.

وعرفـت أيضاً بإسم **حملة الشعب أو حملة الأقنان**. حيث قام بها عدد من الأساقفة الذين شاركوا في مجمع **كليرمونت** سنة ١٠٩٥م "الداعـي إلى قيـام حـرب صليبيـة ضد المشـرق" بإلهاب مشاعـر الجماهيـر النصرانيـة للمشاركة فيهـا فاستجابت لهم أعداد كبيرة من فرنسا وألمانيا؛ لاستعادة كنيسة القيامة، وما يزعم بقبر المسيح عليه السلام.

لم تصـبر هـذه الجموع الغوغاء حتى موعـد الرحيل الذي حدده البابـا للحملة، ولم تفلح محاولات البابا في ثنيهم عن الرحيل، ولم تجـد دعوته استجابة من هـؤلاء الغوغاء، ولم تستطـع اللوائح التي وضعهـا "أوربان" علاج الموقف. حيث تحركت جحافل هذه الجموع تحمـل محاصيلها فوق عربات ثقيلة تجرها الثيران، وفي صحبتهم الزوجـات والأطفـال، حتـى وصلـوا "كولونيا" فـي (١٥ من ربيع الآخـر ٤٨٩هـ= ١٢ من إبريـل ١٠٩٦م)، وظلوا بها فترة من الوقت يتـزودون بالمـؤن، ويتقـوون بانضمام الألمـان إليهم حتـى تضاعف عددهم. ورأت هذه الفئة أن تتجه شرقاً لتحقيق هدفها الأكبر !!؟

كان الراهب بطرس الناسك حينما زار بيت المقدس، عـزّ عليه أن يراه تحت سلطة المسلمين، وهو المكان الذي يقدسه أصحاب الديانات السماوية؛ فما كان منه إلا أن افترى وروّج لتلك الإشاعات الزائفة. بمضايقة المسلمين للنصارى، وهي في واقع الحال مضايقات لا تعدوا أن تكون فردية، فالدين الإسلامي يرفض مثل هذه التصرفات الرعناء.

بطرس الناسك

راهـب ذو شخصـيـة مؤثـرة (كارازماتـي) ومتحـدث مفـوه إسمـه بطرس الناسـك مـن **أمينس**، كان القائـد الروحي لهـذه الحركـة. عرف أيضـاً بركوبـه لحمـار ولبسـه لبسيط اللباس. كان قـد وعـظ بنشـاط لأجل الحملـة فـي شمـالي فرنسـا وبـلاد الفلانديـرز. وادعـى إنه عـيّن من قبل المسيح ذاته (وأنه كان لديه رسالة إلهية لإثبـات ذلك)، ومـن الجائـز أن يكون بعض مـن أتباعه إعتقـدوا أنه هو! ، لا البابـا أوروبـان، هو الداعـي الحقيقي للحملـة إلى الأرض المقدسة. ومن شائع الإعتقـاد إن جيش بطرس كان فرقـة الرهبان الجهلة والغير جديرين والذين لم يكـن لديهـم أدنـى فكـرة إلى أيـن سيذهبـون؟، والذيـن إعتقـدوا أن كل مدينة صغيرة أو كبيـرة سيطروا عليها في طريقهم أثناء الحملة هي القدس ، وقد يكون هذا الإعتقاد صحيحاً إلى حد مـا، ولكن التقليد الطويـل بالزيارة إلى الديار المقدسـة والقدس جعل من موقع وبعـد المدينـة المقدسـة معروفـاً جيداً. وبالرغـم مـن أن الإغلبيـة كانـوا مـن المقاتلين الغير متمرسين. كان هناك قلة من فرسان جيـدي التدريب يقودونهم. مثل الفارسFulcher of Chartres الذي سيصبـح لاحقـاً مؤرخـاً، وWalter Sans-Avoir المعـروف أيضـاً بوالـتر المفلس، والـذي ، كما يـدل إسمه، كان فارساً فقيراً بـلا أطيان أو أتباع، ولكنه كان متمرساً في القتال.





مقاطعات الجمهورية الفرنسية اليوم

PARIS AND ENVIRONS
Bobigny
Nanterre
PARIS
Créteil
1 HAUTS-DE-SEINE
2 SEINE-SAINT-DENIS
3 PARIS
4 VAL-DE-MARNE

المملكة المتحدة — بحر الشمال — هولندا — بلجيكا — ألمانيا — أمينس — ليون — باريس — سويسرا — كليرمونت — إيطاليا — المحيط الأطلسي — البحر الأبيض المتوسط — أسبانيا — ش

مقاطعة أمينس الفرنسية

أمينس

تعود أصول قائد الحملة الشعبية (بطرس الناسك) إلى من مدينة أمينس الفرنسية



ألمانيا

كولونيا

مدينة كولونيا (كولون) الألمانية والتي تطل على نهر الراين

جمع **بطرس الناسك** جيشه في **كولونيا** في ١٢ ابريل ١٠٩٦م، وكان يخطط التوقف هناك والوعظ في **الألمان** وجمع المزيد من الصليبيين. ولكن **الفرنسيين** لم يكونوا مستعدين لإنتظار بطرس والألمان، وتحت قيادة **والتر سانس أفور (المفلس)**، غادر بضعة آلاف من الصليبيين قبل بطرس، ووصلوا إلى هنغاريا (المجر) في ٨ مايو، فعبروا المجر (هنغاريا) دون حوادث ووصلوا نهر ساف على الحدود البيزنطية عند **بلغراد**، تفاجأ آمر بلغراد بالجموع ، وكونه ليس لديه تعليمات بما عليه أن يفعل، رفض فتح دخولهم المدينة. مما أجبر الصليبيين على نهب الريف من أجل أن يعتاشوا. أدى ذلك إلى مناوشات مع حامية بلغراد، ومما زاد الأمر سوءاً، قيام ١٦ من **زبانية والتر** نهب سوق في سيملين، على الناحية الأخرى من النهر في هنغاريا ، فتم تجريدهم من دروعهم وثيابهم وعلقت على جدران القلعة. أخيراً تم السماح للصليبيين بإستكمال طريقهم إلى **نيش** (انظر الصفحة السابقة) ، حيث تم إمدادهم بالطعام وظلوا ينتظرون أخباراً من القسطنطينية تسمح بمرورهم. وبنهاية يوليو، وصلت الجيوش إلى القسطنطينية بمرافقة بيزنطية. بينما بقي بطرس وبقية الصليبيين في **كولونيا** حتى ٢٠ أبريل، فخرج معه حوالي ٢٠،٠٠٠ ، وتبعتهم مجموعة أخرى بعدها بفترة قصيرة. ولما وصلوا **الدانوب**، قرر البعض إستكمال الطريق بالقوارب نزولاً مع الدانوب، بينما قرر السواد الأعظم إستكمال الرحلة على ضفاف الدانوب ودخلوا هنغاريا عند دينبورغ المعروفة اليوم بإسم **سوبورون**. وهناك إستكملوا الرحلة عبر المجر وعادوا لينضموا إلى من سلكوا الدانوب عند سملين على الحدود البيزنطية. في سيملين، أصبح الصليبيون متشككين، لما رأوا البذات الستة عشر معلقة على أسوار القلعة. وبعدها، أدى خلاف على سعر زوج من الأحذية في السوق إلى الإضطرابات. والتي تحولت إلى هجوم كامل على المدينة من قبل **الصليبيين** (الأمر الذي كان ضد رغبات بطرس على الأغلب) ، حيث قتل ٤،٠٠٠ هنغاري. هرب بعدها **الصليبييون** عبر نهر ساف إلى بلغاريا، ولكن ليس قبل مناوشات مع القوات البلغارية. وهرب سكان بلغراد، **ونهب الصليبييون المدينة وأحرقوها**. وأستكملوا بعدها المسير لسبعة أيام وصولاً إلى **نيش** في ٣ يوليو. هناك وعد الآمر بتوفير مرافقة لجيش بطرس إلى القسطنطينية كما وعد بتوفير الطعام، بشرط أن ترحل الجموع فوراً. وافق بطرس، وأنطلق في اليوم التالي.



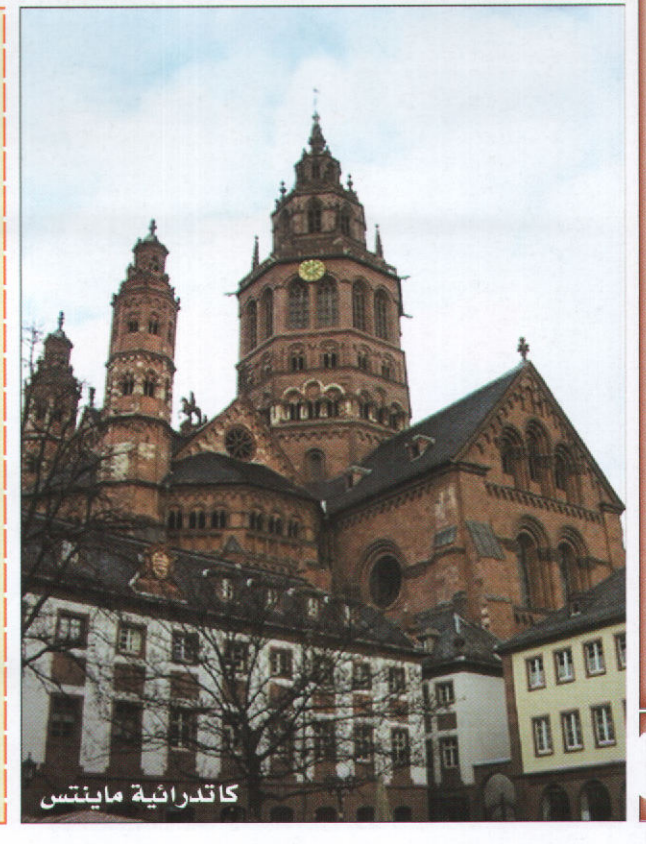
خارطة أوروبا في العصر الحديث ليسهل من خلالها توضيح بعض المسميات التاريخية عن انطلاق الحملات الصليبية في العصور الوسطى



مباينتس زودت الحملة الشعبية بالعدة والعتاد

متحف ماينتس التاريخي

ماينتس وتسمى ماينز (بالألمانية: Mainz) هي عاصمة و أكبر مدن ولاية راينلاند بالاتينات في جنوب غربي ألمانيا. يبلغ عدد سكانها ١٩١،٠٠٠ نسمة (٢٠٠٥). تشتهر بكونها المدينة التي طبع فيها العالم الألماني غوتنبيرغ أول كتاب في التاريخ. يوجد بها مقر القناة الثانية الألمانية زي.دي.إف و جامعة يوهانس غوتنبيرغ. توجد بماينتس مدينة داخلية قديمة جميلة. وتشمل معالمها العديدة على جامعة جوهانس جوتنبرج التي تأسست عام ١٤٧٧م. وتضم مباني المدينة نماذج من فن العمارة الرومانسكي، والقوطي، والطراز المعماري لعصر النهضة، والطراز الباروكي. وتنتج ماينتس الإسمنت والآلات والسيارات، والمطبوعات، وصناعات أخرى متطورة.

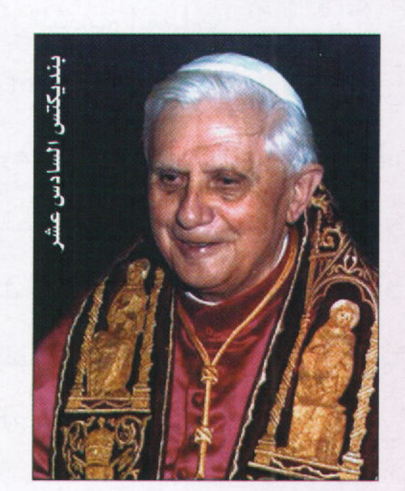


كاتدرائية ماينتس



ريجنسبرج

فـي هـذه المدينة الألمانيـة **ريجنسبرج** توقف الصليبيون في حملتهم الشعبية للتزود بالعدد والعدة، وبعد قرون مضـت عـاد "البابا **بنديكتس السادس عشر**" بابا الفاتيكان أثناء محاضرة له بجامعة ريجنسبرج الألمانية يوم ٢٠٠٦/٩/١٢ م ليطلـق تعليقـات ساخنـة حـول الإسلام ورسوله محمد صلـى الله عليه وسلم ممـا كان لها ردود فعـل غاضبـة، امتـدت باتساع العـالم الإسلامي مـن إندونيسيا شرقـاً حتى المغـرب غربـاً وذلك فـي تطور جديد للمواجهـة المفتعلة بـين الغرب والإسلام والمسلمين بصـورة تنذر بتداعيات سلبية خطيرة تمتـد في مفعولها لتلقي بظلالهـا القاتمـة علـى مستقبل العلاقـة والتفاعل بـين الأديان وبطريقـة يتدعم ويترسـخ معها الاعتقـاد أن ثمة صراعـاً حضارياً مـن الممكن أن يتطور ليتحول إلى مواجهـة حقيقية بين الغرب والإسلام من الممكن أن تهدد مستقبل العالم وأمنه واستقراره.



بنديكتس السادس عشر

لقد جاءت تعليقات "البابا" حول الإسلام ورسوله الكريم لتؤكد من جديد أن الغـرب مازال مصـراً على أن ينكأ جرحـاً لا يريد له أن يندمـل بسعيه المستمر لاستفـزاز العالم الإسلامي من خلال إثارة قضايـا وأمور تمس الإسلام ورموزه فـي مجملهـا محاولة الربط بينـه وبين "العنـف" والادعاء الـكاذب بأنه "دين يحض على العنف وعدم تقبل الآخر"، وهذه الادعاءات إن دلت على شيء فإنما تـدل على جهل وعدم وعي بحقيقة الإسلام الناصعة والواضحة كوضوح الشمس للجميع إلا من كان في نفسه غرض.



الساحة الرئيسة في فيينا

فِيينَا هي عاصمة النمسا و أكبر مدنها. وسميت بهذا تطويراً عن اسمها اللاتيني القديم (فيندوبونا) ومعناه الهواء الجميل أو النسيم العليل.

وتنقسم فيينا إلى ٢٣ منطقة إدارية إلا أن فيينا هي الأهم سياحياً باعتبارها قلب البلد وأكثرها عراقة، وإن كنا نجد أن كل منطقة لها مميزاتها. ومن أشهر معالم فيينا: قصر الشانبرون بالاس(Schonbrunn Palace) ، ساحة ستيفنز وشارع المشاة، شارع ماريا هلفر Mariahilfer Strasse ، القصر الإمبراطوري HOFBURG



كاتدرائية فينا

صربيا

الشمال

هنغاريا (المجر)

كرواتيا

رومانيا

نهر الدانوب

بلغراد

هروب سكان بلغراد بعد مجيء الصليبيين، حيث قاموا بنهب المدينة وحرقها. واستكملوا بعدها المسير لسبعة أيام وصولاً إلى نيش في ٣ يوليو.

البوسنة والهرسك

سراييفو

نيش

صربيا

بلغاريا

البحر الأدرياتيكي

البانيا

سكوبجي

مقدونيا

إيطاليا

٠ ١٠٠ ٢٠٠ ٣٠٠ ٤٠٠ ٥٠٠ كم

بلغراد (بالصربية:Beograd) هي عاصمة صربيا و أكبر مدنها. تعد واحدة من أقدم مدن أوروبا على الإطلاق إذ يعود تاريخ تأسيسها؛ إلى القرن الثالث قبل الميلاد، على يد قبائل كلتية قبل أن تصبح مستعمرة رومانية تدعى باسم سينجيدنم. كانت عاصمة لصربيا منذ عام ١٤٠٤ م وعاصمة ليوغسلافيا بين عامي ١٩١٨ و ٢٠٠٣ م. كانت بلغراد آخر بقعة نصرانية دانت للمسلمين العثمانيين في البلقان و ذلك في القرن الخامس عشر الميلادي.



مدينة بلغراد القديمة



نتيجة الحملة الشعبية

لما وصلت جموع المتطوعين الصليبيين **القسطنطينية**، رأى الإمبراطور إلكسس كومين، أن يتقي شرهم فساعدهم على السير إلى آسيا الصغرى، وحققوا بعض انتصارات محلية على **السلاجقة**، مما جعلهم يغترون بقوتهم ويتمادون في الإغارة على أراضي السلاجقة، وانتهز **الصليبيون** - وكانت عدتهم ٢٥٠٠٠ (فارس) عدا الأعداد الضخمة من المشاة المعدمين - فرصة ذهاب بطرس الناسك إلى القسطنطينية لمقابلة الإمبراطور وقرروا الزحف على **نيقية**، حيث قابلهم المسلمون السلاجقة سنة (٤٨٩هـ / ١٠٩٦م) وأفنوهم عن بكرة أبيهم باستثناء أعداد قليلة بلغ تعدادهم نحو ثلاثة آلاف شخص. وهكذا أخفقت حملة العامة التي قادها **بطرس الناسك** و**والتر المفلس**. كما أخفقت حملات مماثلة أخرى. وكانت هذه الحملات بمثابة الطلائع للحملات الصليبية المنظمة التي قادها الملوك والأمراء الأوروبيون فيما بعد.



الجيش السلجوقي التركي المسلم الذي أحبط آمال قادة الحملة الشعبية عند نيقية



خريطة قديمة للإمبراطورية البيزنطية

II The Byzantine Empire and the Ottoman Turks in 1355.

- Byzantine Empire
- Greek Empire of Trebizond
- Kingdom of Armenia
- Ottoman (Osmanli) Turks
- Other Turks
- Kingdom of Servia at its greatest extent
- Kingdom of Bulgaria
- States under Latin rule
- Venetian possessions
- Genoese possessions
- Dominion of the Mamelukes

Byz.Prov.-Byzantine Province D.-Duchy
P.-Principality, Rep.-Republic
Scale 1: 15000000
Miles

Longitude East 30 of Greenwich

لقد كان لموقف الإمبراطور البيزنطي إلكسس كومين من الزحف الصليبي نتائج خطيرة، جاءت معبرة عن طبيعة العلاقات التي سادت بين شطري أوروبا شرقاً وغرباً، قبل قيام أحداث الحملة الصليبية الشعبية و الأولى.

كما سيطرت نتائج هذا الموقف فيما بعد على طبيعة العلاقات بين الشطرين، حتى آل الأمر بسقوط القسطنطينية بأيدي اللاتين واحتلالها عام ١٢٠٤ م / ٦٠٠ هـ.

والثابت تاريخياً؛ أنه ظلت آثار هذا الموقف مسيطرة في مسيرة العلاقات بين الجانبين حتى سقوط القسطنطينية عاصمة الإمبراطورية البيزنطية النهائي في أيدي الأتراك العثمانيين سنة ١٤٥٣ م/٨٥٧ هـ.



كنيسة أيا صوفيا بإسطنبول التركية اليوم، والتي حولها العثمانيون إلى مسجد ثم أصبحت في العهد الجمهوري متحفاً



صورة لمرتسم تقريبي للقسطنطينية عاصمة بيزنطة، أيام الحروب الصليبية اللاتينية (الغربية)



معركة سيفيتوت

كان من ضمن قتلى معركة **سيفيتوت** **والتر المفلس**؛ أما البقية التي خلصت من القتل، فقد نقلت بعناية البيزنطيين إلى القسطنطينية، وهكذا فشلت الحملة في أهدافها فشلاً ذريعاً .

تحت أسوار القسطنطينيـة، اجتمع **بطرس الناسك** مع **والتر المفلس** وعصابات أخرى شعبية انضمت إليهما بعد ذلـك . وكان اجتمـاع تلـك العصابـات المختلفة، مشجعـة لأفرادها، على القيـام بالأعمال التـي اعتادوها، فأرخوا العنـان لغرائزهـم الضعيفة، وأخذوا ينهبون ضواحي المدينـة الكبـيرة، والقرى المجاورة، والكنائس نفسها، مما دعا بالإمبراطـور البيزنطي تشجيعهم للانتقال إلى آسـيا الصغرى، حيث استطاع رئيس إحدى عصـابات الصليـبيين (رينالد اللومباردي)، من تمكن قسم من رجاله الألمان والطليان، من احتلال أحد الحصون، في ضواحي **نيقية**، وهو حصـن: كزاريغـوردون حيـث وضع يده علـى كثيرمن الماشيـة والمؤن . والظاهـر أن هذه العصابة آثـرت البقاء في الحصـن، فأرسـل رئيسهـا، يستحـث الباقين في قلعة **سيفتيـوت**، للحاق بهـم. إلا أن الأتـراك لم يمهلوهـم، فأقبلوا يحاصـرون رينالـد ورجاله قبـل وصول رفاقهم إليهم، وقد لقـي المحاصرون، عنتاً كبيراً، من جـراء نفاذ الماء والمؤن لديهم أثناء الحصار، وقد مات منهم عدداً كبيراً، وفي تلك الأثناء، كان **بطرس الناسك** قد عاد إلى **القسطنطينية** لمقابلـة الإمبراطور **إلكسس كومين**، فانتهز رجاله الفرصة، بغيابه لمهاجمة مدينـة **نيقية** نفسها، فغادروا **سيفتيوت**، بعـد أن تركـوا فيهـا النسـاء والأولاد واتجهـوا نحـو عاصمـة **قلج أرسلان**، فعلم بذلـك، قائـد الأتراك(**الخان**)، بواسطـة عيونـه، ونصب لهـم كميناً في وادي **دراكون**، وقـد اغتنم القائد التركي هذه الفرصـة، فزحف على قلعة **سيفتيوت**، ودخلها وقتل من كان فيها، وعندما علم **بطرس الناسك** من أحد الناجين بذلك، أسرع يخبر الإمبراطور، لكن السلاجقة أخلوا القلعة عائدين إلى **نيقية** ووراءهم أسراهم في ٢٤ تشرين الأول سنة ١٠٩٦ م .



صورة لمرتسم تخيلي من العصور الوسطى لهزيمة الجيش الصليبي (الحملة الشعبية) على ايدي السلاجقة المسلمين



ممر تاريخي في إزنيق (نيقية)، يعود إلى العهد السلجوقي.

في سنة ١٠٩٢ م وبسبب كثرة المتسابقين على عرش السلطنة بين أفراد العائلة، أصبحت المملكة السلجوقية ممالك عدة. تمكن محمود (١١٠٥-١١١٨ م) بتوحيدها من جديد إلا أن أمر التقسيم كان محتوماً. ثم قامت مملكة سلجوقية في العراق وإيران ودامت إلى حدود سنة ١١٩٤ م. وأخرى في الشرق أقامها السلطان سنجار (١١١٨-١١٥٧ م) والتي لم تعمر طويلاً بعده. حيث قضى عليهم شاهات خوارزم (خوارزمشاهات) سنة ١١٩٤ م.ثم قامت ممالك أخرى للسلاجقة:

- في كرمان (١٠٤١-١١٨٧ م): المقر: بردشير، سلاجقة كرمان
- في الشام (١٠٩٤-١١١٧ م): المقر دمشق ثم حلب، سلاجقة الشام
- في الأناضول (١٠٧٧-١٣٠٨ م): المقر **إزنيق (نيقية)** ثم قونية، سلاجقة الروم والذي نحن بصددها .

السلاجقة أو بنو سلجوق: في البدء ذكرنا في صفحة سابقة شيئاً سريعاً عن السلاجقة ويطيب لنا في هذه الصفحة أن نعرف بهم كسلالة تركية حكمت في أفغانستان وإيران وأجزاء من الأناضول وسورية و العراق والجزيرة العربية مابين ١٠٣٨-١١٥٧م ، حتى ١١٩٤ م ، وينتمي السلاجقة إلى إحدى العشائر المتزعمة لقبائل الغز التركية. دخلت هذه العشيرة في الإسلام أثناء عهد زعيمها سلجوق سنة ٩٦٠ م. دخلوا بعدها في خدمة القراخانات (قره خانات) في بلاد ماوراء النهر. قام أحفاد سلجوق، طغرل (١٠٣٨-١٠٦٣ م) وجغري (١٠٣٨-١٠٦٠ م) بتقسيم المملكة إلى نصفين. النصف الغربي وقاعدته أصفهان، والنصف الشرقي وقاعدته مرو.

بعد انتصار السلاجقة على الغزنويين سنة ١٠٤٠ م بالقرب من دنكان توسعت مملكة طغرل بك إلى الغرب أكثر. ثم ضمت فارس إليها سنة ١٠٤٢ م، وبعض الأجزاء من الأناضول، ثم العراق أخيراً سنة ١٠٥٥ م، بعد القضاء على النفوذ البويهي في العراق، دخل طغرل بك بغداد في ٢٥ رمضان ٤٤٧هـ/٢٣ ديسمبر ١٠٥٥ م. حيث أطلق المؤرخون على الفترة التي دخل فيها السلاجقة العراق (النفوذ السلجوقي) ، حيث كانت بيدهم مقاليد الأمور ولم يبق للخليفة العباسي سوى بعض المظاهر والرسوم والدعاء له على المنابر. أعلن طغرل بك نفسه كحام للخلافة العباسية وخلع عليه الخليفة لقب السلطان، بعد وفاة طغرل بك شب صراع على الحكم ولكن لم تلبث الأمور أن هدأت بعد قيام ألب أرسلان بتولي الحكم والقضاء على الثورات. بلغت الدولة أوجها في عهد السلطان ألب أرسلان (١٠٦٠/٦٣-١٠٧٢ م) ثم ملك شاه (١٠٧٢-١٠٩٢ م) من بعده، كما قام وزيره نظام الملك (١٠٦٠/٦٥-١٠٩٢ م) بإنشاء العديد من المدارس لتثبيت مذهب أهل السنة والجماعة في المنطقة. استولى السلاجقة على أرمينيا سنة ١٠٦٤ م، ثم بسطوا سيطرتهم على الحجاز والأماكن المقدسة منذ ١٠٧٠ م. كما حققوا انتصاراً حاسماً على البيزنطيين في **ملاذكرت** سنة ١٠٧١ م. كما تقدم ذكره أكملوا بعدها سيطرتهم لتشكل كامل الجزيرة العربية تقريباً.



صورة بانورامية لمدينة إزنيق (نيقية) بالجمهورية التركية

سلاجقة الروم، سلاجقة الأناضول (أنادولو):

سلالة تركية حكمت في بلاد الأناضول مابين ١٠٧٧-١٣٠٨ م.

المقر: إزنيق (نيقية) ثم قونية ابتداءً من ١١١٦ م.

تفرعت هذه الأسرة عن السلاجقة الكبار. بعد معركة ملاذكرت ١٠٧١ م. وهزيمة الروم، بسط السلاجقة سيطرتهم على الأناضول. كان مؤسس الدولة قتلمش بن أرسلان من أقرباء الحاكم السلجوقي طغرل بك. استولى ابنه سليمان الأول (١٠٧٧-١٠٨٠ م.) على إزنيق عام ١٠٧٨ م. بدأ حكم الأسرة تحت وصاية السلاجقة الكبار أولاً ثم أتمت استقلالها مع ظهور الدويلات الصليبية في المنطقة.

تصريف مائي قديم في نيقية



أهم مصادر ومراجع الباب الثاني

١ - رنيه كروسيه؛ الحروب الصليبية صراع الشرق والغرب، ترجمه عن الفرنسية وعلق عليه أ . أحمد ايبش .

٢ - أ. محمد العروسي المطوي، الحروب الصليبية في المشرق والمغرب.

٣ - مواقع إلكترونية عن الحروب الصليبية .

٤ - د . علي عبد الحليم محمود، الغزو الصليبي والعالم الإسلامي، دار عكاظ للطباعة والنشر.

٥ - د . سهيل زكار، مدخل إلى تاريخ الحروب الصليبية، دار الفكر، ط . الرابعة.

٦ - انتوني بردج، تاريخ الحروب الصليبية، نقلها إلى العربية ، أ . أحمد غسان سبانو ، و أ . نبيل الجيرودي .

٧ - د. سعيد عبد الفتاح عاشور، أوروبا العصور الوسطى، مكتبة الأنجلو ، الطبعة الثامنة، سنة ١٩٨١م .

٨ - الموسوعة العربية العالمية، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع.

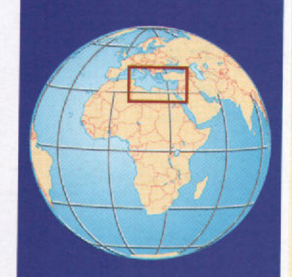
٩ - سامي بن عبد الله المغلوث، الحملات الصليبية على المشرق الإسلامي في العصور الوسطى . دار الوراق، طبع ونشر ١٤١٩ هـ .

الباب الثالث



الحملة الصليبية الأولى

- حصار أنطاكية واحتلالها
- سقوط الرُّها
- حصار طرابلس وسقوطها
- احتلال بيت المقدس وقيام مملكة صليبية (لاتينية) فيها





الحملة الصليبية الأولى

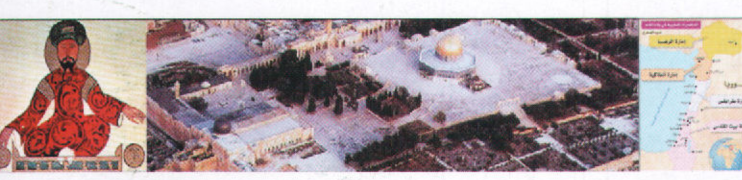
سـنة ٤٨٩ هـ - ١٠٩٦ م - ١٠٩٩ م.

قادة الحملة : ريموند دي صنجيل ، روبارت كورت هوز، وغود فري بويون، و بوهيموند .

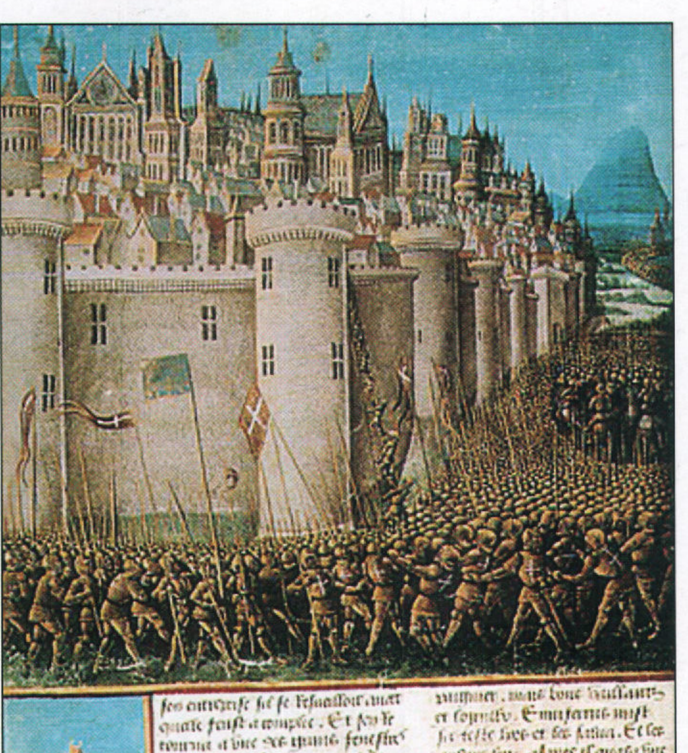
سـبب الحملة :

وصلت هذه الحملة الصليبية إلى أبواب **القسطنطينية** وخاف إمبراطورها منهم فاتفق مع بعض القادة على أن يمدهم بالمؤن والذخيرة على أن لا يدخلوا المدينة وأن يردّوا عليه ما يستولون عليه من أملاكه، فاجتازوا البوسفور، ووصلوا إلى نيقية فحاصروها، ونقل أميرها قليج أرسلان مقره إلى **قونية**، واتفق مع الإمبراطور أن يدخل جنده **نيقية** دون القادمين من أوروبا وبهذا غضب الصليبيون لأن الإمبراطور بهذا التصرف لم يسمح لهم بنهب المدينة، وبهذا يكون الإمبراطور البيزنطي قد دعم الصليبيين بكل قوته وسار معهم نحو **نيقية**، وحصل خلاف بين الصليبيين القادمين من أوروبا والبيزنطيين إذ وجد الإمبراطور أنه لا يستطيع التفاهم مع هؤلاء القادمين فانصرف لاسترداد **آسيا الصغرى من السلاجقة** فاتجه نحو الغرب ودخل **إزمير وأفسوس** وأخذهما من أمراء السلاجقة فيهما لانقطاعهم عن دولة السلاجقة، ولم يعد يدعم الصليبيين بل حرص أن يضم له ما أخذوه هم، فكان دعمه بقتال المسلمين بجهات ثانية ثم بعد مدة عادة لتقديم الدعم.

اختلف القادة الصليبيون بعضهم مع بعض، فاتجه بعضهم إلى **الرُّها** تلبية لدعوة أميرها فدخلها وأسس بها **إمارة نصرانية لاتينية** وكان يطمع بتأسيس دولة صليبية في أرمينيا وقد دعمه في الأمر الأرمن. وسار باقي القادة إلى **أنطاكية** فألقوا الحصار عليها ودخلوها عنوة عام ٤٩١ هـ بعد حصار دام سبعة أشهر وقتلوا من أهلها أكثر من عشرة آلاف، ومثلوا بالقتلى وبالناس، وفعلوا أبشع الجرائم، وولوا عليها أحدهم وقد استقبل النصارى من أهلها والأرمن الصليبيين بكل ترحاب، ثم اتجهوا بعدها نحو **بيت المقدس**، فسار لقتالهم **"كربوقا"** صاحب الموصل، وصاحب دمشق **"دقاق"**، وصاحب حمص **"جناح الدولة"** غير أن الصليبيين قد انتصروا عليهم ودخلوا **معرّة النعمان**، ووصلوا إلى **بيت المقدس** ودخلوها عام ٤٩٢ هـ فقتلوا من أهلها أكثر من **سبعين ألفاً** وخاضت خيولهم ببحر من الدماء، وانتخب **غودفري ملكاً على بيت المقدس**، وأخذ لقب حامي قبر المسيح. وكان العبيديون قد استغلوا تقدم الصليبيين من الشمال فتقدموا هم من الجنوب ودخلوا القدس وطردوا السلاجقة منها (قبل وصول الصليبيين إليها) وجرت مفاوضات بين الأفضل بن بدر الجمالي الوزير العبيدي وبين الصليبيين على أن يكون شمال بلاد الشام للصليبيين وجنوبها للعبيديين ثم نقض الصليبيون العهد عندما شعروا بالنصر. الشيخ، محمود شاكر، التاريخ الإسلامي، جزء ٦، ص ٢٥٢-٢٥٤




حصار أنطاكية واحتلالها



حصار الصليبيين لأنطاكية

بعد أربعة أشهر من السير المتواصل المنهك، وبالتحديد في ٢١ من أكتوبر ٤٩١ هـ - ١٠٩٧ م، حيث وصلت طلائع الجيش الصليبي الرئيس إلى أنطاكية، وكان بوهيموند، على رأس قوة من ٤٠٠٠ مقاتل أول من وصل إليها، فتمركز، تجاه بابها الشرقي، أو باب القديس بولس، ثم تتابعت القوات الصليبية، وضربوا حصاراً قوياً على المدينة، وقاموا ببناء المعاقل الخشبية والأبراج العالية، فقام واليها السلجوقي المسلم (ياغيسيان) بأخذ الاحتياطات اللازمة للدفاع عنها.

استمات المسلمون بالدفاع عن مدينتهم ولاقى الصليبيون أثناء حصارهم كل هول وتعب؛ لإن الحصار استمر من أكتوبر سنة ١٠٩٧ م، إلى يونيو ١٠٩٨ م، وفتكت بهم الكثير من الأمراض أثناء حصارهم، وضعفت عزائمهم. وحاول المسلمون نجدة أنطاكية، وفك حصارها. ولكن دون نتيجة: حاول الأمير رضوان صاحب حلب، كما حاول قبله دقاق أمير دمشق. وجاءت نجدة من سلطان إيران السلجوقي ولكن بعد فوات الأوان. أما **الدولة العبيدية** فكان موقفها مخزياً، فقد جعلوا من هذا الحصار، واشتغال أمراء السلاجقة به، فرصة ينتهزونها لافتكاك بيت المقدس من أيدي السلاجقة. وبعث الحاكم العبيدي - المستعلي بالله - وفداً إلى الصليبيين يعرض عليهم الصلح والمسالمة، وتأمين أماكنهم المقدسة، وحماية الزوار النصارى إلى بيت المقدس. ولكن الصليبيين لم يجيبوه إلى ذلك !، واستمروا في محاصرتهم لأنطاكية بدون أن يتمكنوا من احتلالها، إلى أن وقعت خيانة من أحد حراس الأبراج الإسلامية (فيروز الأرمني)، حينما تفاوض سرياً مع بوهيموند وسلم إليه البرج؛ فدخل الصليبيون أنطاكية وعاثوا فيها فساداً وأباحوها أياماً. ثم جاء عماد الدين كربوغا صاحب الموصل إلى أنطاكية بعد احتلالها وحاصر الصليبيين. واجتمع معه عدد من أمراء السلاجقة. واشتد الضيق على المحصورين وكادوا يستسلمون إلا أن سوء سيرة كربوغا مع بقية قواد السلاجقة وعدم تبادل الثقة بينهم جعل النجدة تبوء بالفشل؛ فتقهقرت القوات الإسلامية وفك الحصار عن أنطاكية وبذلك استقرت أنطاكية للصليبيين. وانتصب بوهيموند النورماندي أميراً عليها.

أما بقية الصليبيين فإنهم اتجهوا نحو بيت المقدس بعد أن استراحوا واستجمعوا قواهم.







غود فري بويون



ريموند دي صنجيل



روبارت كورت هوز

روبارت كورت هوز



بوهيـــومند





نهر العاصي وهو يخترق أنطاكية



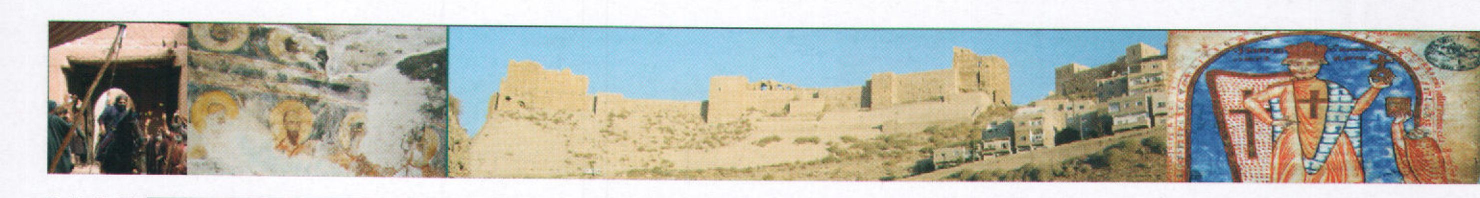
أَنْطاكِيَة :



نقش لشبيهة (العذراء) على أحد جبال أنطاكية . يعود إلى عهود النصارى الأوائل في القرن الأول الميلادي، والذين لجأوا إليها فراراً من اضطهاد الدولة الرومانية. بينما يرى آخرون بأنه يعود إلى أيام الاحتل الصليبي؟! ويرى المؤلف بالقرب من مغارة بطرس في أنطاكية .

بالفتح ثم السكون، والياء مخففة، ... قال الهيثم بن عدي: أول من بَنَى أنطاكية انطيخس وهو الملك الثالث بعد الإسكندر؛ وذكر يحيى بن جرير المتطبب التكريتي: أن أول من بَنَى أنطاكية انطيغونيا في السنة السادسة من موت الإسكندر ولم يُتمها فأتمها بعده سَلُوقُوس، وهو الذي بَنَى اللاذقية وحلب والرُّها وأفامية؛ وقال في موضع آخر من كتابه: بنى الملك أنطيغونيا على نهر أُوْرَنْطَس مدينة وسماها أنطيوخيا وهي التي كَمَّلَ سلوقوس بناءها وزخرفها وسماها على اسم ولده انطيُوخُوس وهي أنطاكية؛... ولم تزل أنطاكية قصبة العواصم من الثغور الشامية، وهي من أعيان البلاد وأمهاتها، موصوفة بالنزاهة والحسن وطيب الهواء وعذوبة الماء وكثرة الفواكه وسعة الخير.

وأما فتحها فإن أبا عبيدة بن الجراح سار إليها من حلب وقد تحصن بها خلق كثير من أهل جُند قِنَّسْرين فلما صار بِمَهْرُوِيَّةَ على فرسخين من مدينة أنطاكية لقيه جمع من العدوّ فَفَضَّهم وأَلْجَأَهم إلى المدينة وحاصر أهلها من جميع نواحيها، وكان مُعْظَم الجيش على باب فارس والباب الذي يُدْعى باب البحر؛ ثم إنهم صالحوه على الجزية أو الجلاء فَجَلا بعضُهم وأقام بعض منهم فأمنهم ووضع على كل حالم ديناراً وجريباً، ثم نقضوا العهد فوجه إليهم أبو عبيدة عياضَ بن غنم وحبيبَ بن مَسْلَمة ففتحاها على الصلح الأول؛ ويقال: بل نقضوا بعد رجوع أبي عبيدة إلى فلسطين

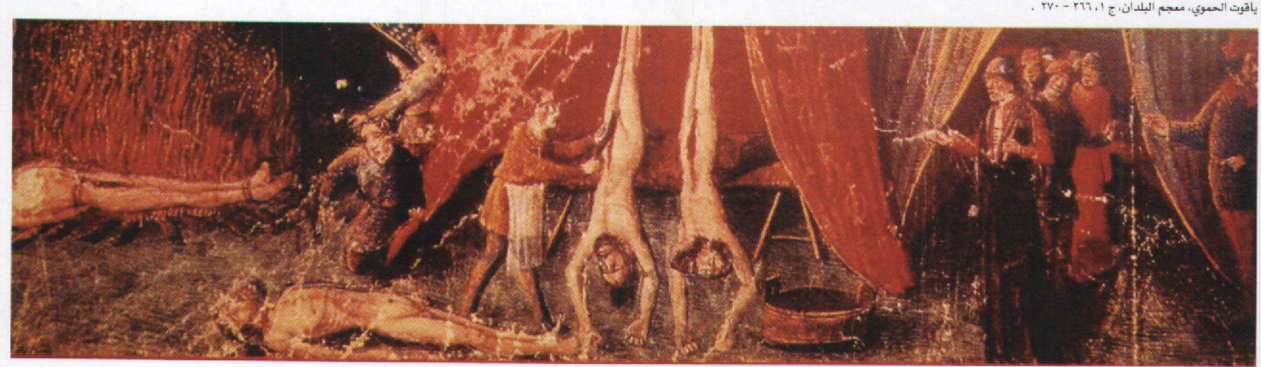


فوجّه عمرو بن العاص من إيلياء ففتحها ورجع ومكث بسيراف حتى طلب أهل إيلياء الأمان والصلح، ثم انتقل إليها قوم من أهل حمص وبعلبك مرابطة، منهم: مُسْلم بن عبد الله جدُّ عبد الله بن حبيب بن النعمان بن مُسْلم الأنطاكي، وكان مُسْلم قُتِلَ على باب من أبوابها فهو يُعرف بباب مُسلم إلى الآن، وذلك أن الروم خرجت من البحر فأناخَتْ على أنطاكية وكان مُسْلم على السور فرَماه عِلْجٌ بحجر فقتله؛ ثم أن الوليد ابن عبد الملك بن مروان أقطَعَ جند أنطاكية أرض سَلُوقيَة عند الساحل وصيَّر إليهم الفِلَثْر بدينار ومُدَّيْ قَمْح فعَمَّروها، وجرى ذلك لهم وبنى حصن سَلُوقِيَة؛ والفِلَثْر: مقدار من الأرض معلوم كما يقول غيرهم الفَدَّان والجريب؛ ثم لم تزل بعد ذلك أنطاكية في أيدي المسلمين وثغراً من ثغورهم إلى أن ملكها الروم في سنة ٣٥٣ بعد أن ملكوا الثغور المَصّيصة وطرسوس وأذنة واستمرت في أيديهم إلى أن استنقذها منهم سليمان بن قُتُلمِش السَّلْجُوقي جدُّ ملك آل سلجوق اليوم في سنة ٤٧٧؛ وسار شرف الدولة مُسْلم ابن قُرَيش من حلب إلى سليمان ليدفَعَه عنها فقتله فاستقام أمرُها وبقيت في أيدي المسلمين إلى أن مَلكتها الأفرنج من واليها بَغيسغَان التُّركي بحيلة تَمَّتْ عليه وخرج منها فنَدِمَ ومات من الغَبْن قبل أنْ يصل إلى حلب، وذلك في سنة ٤٩١، وهي في أيديهم إلى الآن؛ وبأنطاكية قَبْرُ حبيب النَّجَّار يُقْصَد من المواضع البعيدة وقبره يزار؛ ويقال إنه نزلَتْ فيه: ﴿ وجاءَ من أقصى المدينة رجل يسعى، قال يا قوم اتبعوا المرسَلين ﴾، وقد نسب إليها جماعة كثيرة من أهل العلم وغيرهم ... .



مرتسم أوروبي قديم ؛ يصور حصار الصليبيين لأنطاكيا، واستعدادهم لدخولها

ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ١، ٢٦٦ - ٢٧٠ .



مرتسم أوروبي قديم ؛ يصور وحشية الصليبيين لبعض المسلمين عند استيلائهم على أنطاكية



سقوط الرُّها ٤٩١ هـ - ١٠٩٨ م

أراد أهالي الرُّها من الأرمن؛ استغلال تواجد الصليبيين على مشارف بلاد الشام، فأخذوا يراسلون قادة الصليبيين؛ للتخلص من الحكم السلجوقي الإسلامي، فلبى أحد القادة ذلك، فوصل إليهم غود فري بويون وشقيقه (بودوين) ؛ منتهزاً هذه الفرصة السانحة، ودخل المدينة، ثم غدر بحاكمها الأرمني طوروس، حيث تعمد غود فري بويون تركه وحيداً ليهلك، ثم ليصفوا له الجو ويحل محله في حكم الرُّها في التاسع من مارس آذار ١٠٩٨م وكوَّن بذلك إمارة فيها وعلى ما حولها (كونتية فرنجية ذات حكم ذاتي في الرها)، وطرد المسلمين منها واستمرت هذه الإمارة إلى أن أزالها آل زنكي سنة ٥٣٩ هـ - ١١٤٤ م.



عملة صليبية سكت في الرُّها في عهد بودوين الصليبي

الرُّها (أورفا): مدينة يعود تأسيسها إلى العهد الآرامي (٤٠٠) قبل الميلاد، في منطقة ما بين النهرين الغربية الشمالية وبالتفاعل الطبيعي مع المناطق الشرقية وتأسيس مجتمع أورهوي - إديسا - الرها - وقد تحولت أورفا إلى منارة " آرامية عالمية " وخاصة مع اعتناقها النصرانية في الفترة الأولى المبكرة من انتشار النصرانية. حيث كانت من مدن المراكز النصرانية الكبرى، بها أكثر من ٢٠٠ كنيسة، اكتسبت اللغة فيها هيمنة على هذه الحياة المستقرة المدنية.. من قبل الآراميين المستقرين على ضفاف الفرات التاريخي العظيم والتسمية الأولى للمدينة بالآرامية (السريانية) : " أورهوي- أورهويه " Urhoy ولا حقاً في العصور الكلاسيكية عرفت بـ (Edessa) آديسا و بالعربية الرها.

فتحت صلحاً على يد عياض بن غنم سنة ١٧هـ ، غزاها الصليبيون؛ فاسترجعها منهم عماد الدين زنكي سنة ٥٣٩هـ.

زحف القوات الصليبية نحو الرُّها





حينما دخل غود فري بويون إلى مدينة الرُها، أقطع شقيقه بودوين دي بولونيا، مدينتي تل باشر وراوندم (أوائل آب ١٠٩٨م).

دخول غود فري بويون الصليبي (بودوين) وشقيقه، إلى الرُها منتصراً على حكامها السلاجقة الأتراك، وترحيب النصارى الأرمن به



الرُّهاء:



قطعة تاريخية من الموزاييك (الرُّها)

بضم أوّله، والمدّ والقصر: مدينة بالجزيرة بين الموصل والشام بينهما ستة فراسخ سميت باسم الذي استحدثها، وهو الرهاء ابن البلَنْدَى بن مالك ابن دُعر، وقال الكلبي في كتاب أنساب البلاد بخط حَجْحج: الرهاء بن سبند بن مالك بن دُعر ابن حُجر ابن جزيلة بن لخم، وقال قوم: إنّها سمّيت بالرّها ابن الروم بن لبطي بن سام بن نوح، عليه السلام، قال بطليموس: مدينة الرها طولها اثنتان وسبعون درجة وثلاثون دقيقة، وعرضها سبع وثلاثون درجة وثلاثون دقيقة، طالعها سعد الذابح لها شركة في النسر الطائر تحت ثلاث عشرة درجة من السرطان، بيت ملكها مثلها من الحمل في الإقليم الرابع، وقال يحَيى ابن جرير النصراني: الرها اسمها بالرومية أذاسا، بُنيت في السنة السادسة من موت الإسكندر، بناها الملك سلوقس كما ذكرنا في أذاسا، والنسبة إليها رُهاوِيّ، وكذلك النسبة إلى رُهاء قبيلة من مَذْحج، وقد نسب إليها جماعة من المتقدمين والمتأخرين، • ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٣، ١٠٦.



جامع في مرحلة الترميم بمدينة الرُّها بالجمهورية التركية، أثناء زيارة المؤلف.



لقطات متنوعة من الرُها اليوم





تتوافق أورفا (الرُّها) مع أنطاكية (منطلق النصارى الأول) عبر كنيسة أنطاكية السريانية الأرثوذكسية " الكنيسة الأم " .. وهذا التوافق بين أورفا (الرُّها) مع أنطاكية؛ يتركز في أساسيات الفكر الآرامي القديم، لذلك سعى الصليبيون جاهدين، أن تكون الرُّها إمارة مستقلة (كونتية أفرنجية)مع احتفاظها بعمقها الآرامي السرياني لبلاد الشام جنوباً، ولاسيما أنها كانت تشكل مع مدن الجنوب؛ ممالك آرامية لها حضورها الحضاري قبل انتشار النصرانية. فهي تمثل الثغر الآرامي الشامي للانطلاق مع الثقافات الأخرى . للمزيد انظر كتابنا الموسوم (أطلس الأديان).



الزحف الصليبي نحو بيت المقدس

ثـم **عـاد غـود فري بويـون**، إلى أنطاكيـة من الرُّهـا، ومضى ريمونـد دي صنجيل نحو البـارة (شرقي العاصـي)، واستولى عليها. بعد أن سفك دمـاء المسلمين فيها، كباراً وصغاراً، من رجال ونساء. وجرى اجتماع للقادة الصليبيين: **بوهيومند وريموند دي صنجيل**، و**غود فري بويون**، و**روبارت كورت هوز**، والكونت دي فلاندر، وأويستاسن كونت دي بولونيا، وتباحثوا بشأن بعض الأمور المستجدة،وانتهى اجتماعهم إلى الإتفاق علـى إرسال رسائل إلى البابا؛ بغية إعلامه بما وصلـت إليه أحوالهم، ودعوته إلى الحضور إليهم في أنطاكية، لقيادة الحملة الصليبية شخصياً، والسير بها إلى بيت المقدس، طالما أن مندوبه أديمار دي مونتيل، قد مات .

ويظهـر أن البابـا أوربان الثاني لم يكن وقتذاك، في وضع يمكنه من ترك أوروبا للانضمام إلى الصليبيين، فلم يجب على الكتاب المرسل إليه منهم، ولم يستجيب لطلبهم، كما كان الحال مع الإمبراطور البيزنطي .

ولقد استمر الخلاف على أشده بين بوهيومند وريموند دي صنجيل، بشأن تملك أنطاكية. الا أن الصليبيين توجهوا نحو **معرة النعمان**، ويقول ابن القلانسي، بصدد احتلال معرة النعمان :

فـي المحـرم منهـا زحف الإفرنج (الصليبيـون) إلى سور معـرَّة النعمان من الناحيـة الشرقية والشمالية وأسندوا البرج إلى سورها وهو أعلى منه فكشفوا المسلمين عن السور ولم يزل الحرب عليه إلى وقت المغرب من اليـوم الرابـع عشر مـن محرم، وصعدوا السـور وانكشف أهل البلد عنـه وانهزموا بعد أن تـرددت إليهم رسل الإفـرنج في التماس التقرير والتسليم وإعطاء الأمـان على نفوسهم وأموالهم ودخول الشحنة إليهم؛ فمنع من ذلـك الخلف بـين أهلها وما قضاه الله تعالى وحكم به وملكوا البلد بعد صـلاة المغرب، وقتل فيه خلق كثير من الفريقين وانهزم الناس إلى دور المعرة للاحتماء بها، فأمنهم الإفرنج، وغدروا بهم، ورفعوا الصلبان فوق البلد، وقطعـوا على أهل البلد القطائع ولم يفوا بشـيء مما قرروه ونهبوا ما وجدوه وطالبوا الناس بما لا طاقة لهم به ورحلوا يوم الخميس السابع عشر من صفر إلى كفر طاب. ثم قصدوا بعد ذلك ناحية **بيت المقدس** آخر رجب مـن السنـة وأجفل الناس منهم من أماكنهـم، ونزلوا أولاً على **الرملة** فملكوها عنـد إدراك الغلة وانتقلوا إلى **بيـت المقدس** فقاتلوا أهلـه وضيقوا عليهـم ونصبوا عليه الـبرج وأسنـدوا إلى السور. وانتهـى إليهم خروج **الأفضل** مـن **مصر في العساكر الدثرة لجهادهم والإيقاع بهم** وإنجاد البلد عليهـم وحمايته منهم فشدوا في قتاله ولازموا حربه إلى آخر نهار ذلك اليوم، وانصرفوا عنه وواعدهم الزحف إليهم من الغد ونزل النـاس عـن السور وقت المغرب فعاود الإفرنج الزحف إليه، وطلعوا الـبرج وركبوا سور البلد فانهزم الناس عنه وهجمـوا على البلـد فملكوه؛ وانهزم بعض أهله إلى المحراب وقتـل خلق كثير **وجمع اليهـود في الكنيسة وأحرقوها عليهم** وتسلموا المحراب بالأمان في الثاني والعشرين من شعبان من السنة وهدموا المشاهد وقبر الخليل عليه السلام. ووصل الأفضل في العساكر المصرية وقد فات الأمر فانضاف إليه عساكر الساحل ونزل بظاهر



عسقلان في رابع عشر من شهر رمضان منتظراً لوصول الأسطول في البحر والعرب، فنهض عسكر الإفرنج إليه وهجموا عليه في خلق عظيم **فانهزم العسكر المصري** إلى ناحية **عسقلان** ودخل الأفضل إليها وتمكنت سيوف الإفرنج من المسلمين؛ فأتى القتل على الراجل والمطوعة وأهل البلد، وكانوا زهاء عشرة آلاف نفس ونهب العسكر وتوجه الأفضل في خواصه إلى مصر وضايقوا عسقلان إلى أن قرروا عليها بعده الإفرنج عشرين ألف دينـار تحمل إليهم وشرعوا في جبايتها من أهل البلـد، فاتفق حدوث الخلف بين المقدمين فرحلوا ولم يقبضوا مـن المـال شيئاً، وحكي أن الذين قتلوا في هذه الوقعة من أهل عسقلان من شهودها وتنائها وتجارها وأحداثها سوى أجنادها ألفان وسبعمائة نفس أ . هـ .

وإذ طالت المدة، وتأخر الزحف على **بيت المقدس** ، بسبب هذه الحوادث ، بدأ التململ بين الصليبيين، من أولئـك الحجاج الذين كان لا يزالـون يتشوقون للوصول إلى المدينة المقدسة، هدفهم الأول، وسادت روح التذمر والتأفـف بينهـم، وقام القسم الذي كان بقـي في **معرة النعمان، يهدم أسـوار هذه المدينة، ومسـاكنها ومسـاجدها**، كمـا يقول كمال الدين، لكي يرغموا البارونات، على متابعـة السير إلى القدس (٥ كانون الثاني ١٠٩٩م).

أن الحجاج والجنود الصليبيين، لم يكونوا ليأبهوا لنصائح الأسقف، بيار دي نربون، ولا لقادتهم ، بل كانوا يصرخون عالياً بأنهم لم يأتوا إلى الشرق، لافتتاح المدن، إنما أرادوا تكبد المشقات في سبيل خدمة الصليب ، وأن فـي استطاعتهـم، إرغـام البارونات بالقوة على مجاراتهم فيمـا يهدفـون إليـه). وما كان في وسـع الرؤسـاء الصليبيين، التنكـر لهؤلاء الحجـاج وإهمال الـرأي العـام الصليبـي ، فاستجابـوا مكـرهين، لمطالبيهـم، ولرغبـات الجنـود أيضاً الذيـن ، جاروهم بذلك، وكان أول من أحنى رأسه لهذه الزوبعة، هو الكونت ريموند دي صنجيل، الذي لم يعـد يفكـر بأنطاكيـة ولابتملكها. فخرج من **معرّة النعمان**، حافي القدمين، لابساً المسوح مثل كل حاج ، **وحاملاً الصـليب بيده** (١٣ كانون الثاني ١٠٩٩م)، يتبعه الآخرون .



قلعة معرّة النعمان



وقبـل وصـول ريموند دي صنجيل على رأس جيشه، إلى مدينة شيزر ، على العاصي، لحق به تنكرد (تانكرد) مـع فرسانـه الأربعين؛ واستولى الجميع على مدينة كفر طاب. ثم وافاهـم إليها، روبارت كورت هوز مع فرقته، وتابعوا سيرهم إلى شيزر. ولم أصبحوا على مقربة منها لم يسع أميرها: عز الدين ابو العساكر سلطان ، وهو من بني منقذ من قبيلة (بني كنانة العربية) ، إلى المبادرة بتقديم عروضه إليهم، من حيث تأمين المئونة لهم، وإفساح المجال لجيشهم للمرور بأرضه، وإهدائهم مالاً وخيولاً !؟، أملاً منهم بإبعادهم عن إمارته.

علـى أن الصليبيـين لم يراعوا جانب هذا الأمير، مع كل ما أصابهم منـه من خيرات، فضربوا خيامهم على أبـواب مدينته، بهدف الضغط عليه، مما أثار حفيظته وحنقه، فقابلهم بتهديدهم بقطع المئونة عنهم، فخشوا عاقبة الأمر، وأقلعوا من مكانهم، وبرفقتهم دليلان عربيان، يهديانهم إلى الطريق، التي يجب عليهم المضي بهـا، وخلال سيرهم، توفقوا بالاستيلاء على إحدى القلاع فـي وادي سروج ، واحتجزوا بعض قطعان الماشية، وكميات من الحبوب وافرة.

ثـم تابـع الصليبيون زحفهم لجهة الغـرب، فأتوا حصن مصياف، حيث خرج لهم صاحبه، وعقد مع الكونت دي تولـوز اتفاقـاً حبيـاً (٢٢ كانـون الثـاني ١٠٩٩م) وفي اليـوم التالي، توجهـوا نحـو حصـن رفنيـة الـذي أخلاه صاحبه قبل وصول الصليبيين اليـه، فدخله هؤلاء ومكثوا فيه ثلاثة أيـام للراحة، وبعدهـا اجتازوا بعض الجبـال الشاهقـة ونزلـوا، مـا بـين مريامـين وحصن الأكراد ، فـي سهل البقيعـة (boquee)، المـروي بنهر العريضـة، المتفرع مـن النهر الكبير (٢٧كانون الثاني ١٠٩٩م) ، فالتجأ أهالي المنطقة من العرب عند ذلك، إلى حصن الأكراد (أو قلعة الحصن). فهاجمهـم الصليبيـون فيـه. وبعد عدة هجمات قويـة تمكنوا من دخولـه (٢ شبـاط ١٠٩٩م) ، فأخـلاه الأهالي .



حصن مصياف

وهنـاك استقبـل الصليبيون مبعوثـي أمير حمص: جناح الدولة بن ملاعب، الذي قدمـوا للكونت دي تولوز بعض الهدايا، من الخيول العربية، والذهب، وعقدوا معه معاهدة، تعهد فيها جناح الدولة بمعاملة النصارى، معاملة حسنة [١] .

١ - بتصرف عن سعيد أحمد برجاوي، الحروب الصليبية في المشرق، ص ١٥١ - ١٥٦ .



المؤلف أمام قاعة الفرسان بقلعة الحصن (حصن الأكراد) .

بعد أن ترك الصليبيون حصن الأكراد، ونزلوا في وادي النهر الكبير، واصلوا سيرهم إلى سهل عكار الساحلي، حتى وصلوا إلى قرب مدينة عَرقة المحصنة، والتابعة لإمارة طرابلس، فأرسل صحابها مندوباً من قبله، أرفقه بهدية مؤلفة من عشرة جياد وأربعة بغال، وعدد من الدنانير الذهبية، ليطلب من الكونت ريموند دي صنجيل، عقد معاهدة صداقة معه. فأبى الكونت التفاوض مصمماً على أخذ المدينة عنوة. ولهذا ألقى الحصار عليها، بناء لرأي مستشاريه. الذين أشاروا عليه بهذا التدبير!؟.



حصار طرابلس

ومـن **حصـن الأكراد** اتجه **الصـليبيون** إلى عرقة شمالي طرابلس وهي تابعـة لها، وكانت طرابلس كلها تابعة لبني عمار، ومؤسس هذه الأسرة ، هو أبو طالب أمين الدولة الحسن. وكان قاضياً لطرابلس على المذهب الاثنى عشري، وتابعاً للحاكم العبيدي في مصر ، فاستقل عنه، واستفاد من الخلاف بين السلاجقة والعبيديين لمصلحتـه، وبعـد مـوت جلال الملك، خلفه أخوه أبو علـي فخر الملك ابن عمار . وهكذا لم يـر صـاحب طرابلس، غضاضـة في التفاهم مع الصليبيين الغزاة، ما داموا يمثلون قـوة ثالثة، تضعف القوتين السابقتين، وتحقق له مكاسبه الشخصية !.

قـال ابـن الأثـير: (كان صنجيل الفرنجي، لعنه الله، قـد لقي قلج أرسلان بن سليمـان بن قتلمش، صاحب قونية، وكان صنجيل في مائة ألف مقاتل، وكان قلج أرسلان في عدد قليل، فاقتتلوا، فانهزم الفرنج وقتل منهم كثـير، وأسر كثير، وعاد قلج أرسلان بالغنائم، والظفر الذي لم يحسبه. ومضى صنجيل مهزوماً في ثلاثمائة، فوصـل إلى الشـام، فأرسل فخر الملك بن عمـار، صاحب طرابلس، إلى الأمير ياخـز، خليفة جناح الدولة على حمص، فـإلى الملك دقاق بن تتش، يقول: من الصواب أن يعاجل صنجيل إذ هو في هذه العدة القريبة، فخرج الأمـير ياخـز بنفسه، وسير دقاق ألفي مقاتـل، وأتتهم الأمداد من طرابلس، فاجتمعـوا على **باب طرابلس**، وصافـوا صنجيـل هناك، فأخـرج مائة من عسكره إلى أهـل طرابلس، ومائة إلى عسكـر دمشق، وخمسين إلى عسكـر حمـص، وبقي هو فــي خمسين. فأما عسكـر حمص فإنهم انكسـروا عند المشاهـدة، وولوا منهزمين، وتبعهم عسكر دمشق !!.

وأما أهل **طرابلس** فإنهم قاتلوا المائة الذين قاتلوهم، فلما شاهد ذلك صنجيل حمل في المائتين الباقيتين، فكسـروا أهـل طرابلس، وقتلوا منهـم سبعة آلاف رجل، ونـازل صنجيل طرابلس وحصرهـا. وأتاه أهل الجبل فأعانـوه علـى حصارها، وكذلك أهل السـواد، وأكثرهم نصـارى، فقاتل من بها أشد قتـال، فقتل من الفرنج ثلاثمائـة، ثـم إنـه هادنهم على مـال وخيل، فرحل عنهـم إلى مدينـة أنطرسوس، وهي من أعمـال طرابلس، فحصرهـا، وفتحها، وقتل من بها من المسلمين، ورحل إلى حصن الطوبان، وهو يقارب رفنية، ومقدمه يقال له ابـن العريض، فقاتلهم، فنصـر عليه أهل الحصن، وأسر ابـن العريض منه فارساً مـن أكابر فرسانه، فبذل صنجيل في فدائه عشرة آلاف دينار وألف أسير، فلم يجبه ابن العريض إلى ذلك)[١] .

لقـد وافـق صاحب طرابلـس على طلب الصليبيين بالدخول إلى مدينتـه (طرابلس) ، وباطلاق سراح ٣٠٠ أسير نصراني. وبعد رفع الحصار عن مدينة عرقة، دخل الجيش الصليبي مدينة طرابلس، ومكث فيها ٣ أيام، فعومـل الجيـش الصليبي أحسن معاملة . ثم تركها حسـب الاتفاق مع صاحبها - ابن عمار - الذي حافظ على تعهده[٢] .

١ - الكامل في التاريخ - ج ٤ / ص ٣٨٣

٢- أ . سعيد أحمد برجاوي، الحروب الصليبية في المشرق، ص ١٦٠ - ١٦١ .



أما وضع القلعة الحاضر، فيعود إلى الترميمات والإصلاحات الجذرية التي قام بها متسلم طرابلس "مصطفى آغا بربر" في بدايات القرن التاسع عشر م .

قلعة طرابلس الأثرية بلبنان

تشرف قلعة **طرابلس** المعروفة باسم "**قلعة صنجيل**" على جميع أنحاء المدينة، وقد تعرضت هذه القلعة منذ إنشائها في **أيام الصليبيين** إلى أعمال توسيع وترميم كثيرة. ومن الممكن اليوم مشاهدة بنية مثمنة الأضلاع تعود إلى العصر **العبيدي**، كانت في ما مضى مشهداً شيعياً يقوم في وسط جبانة عظيمة كانت تغطي التلة، وقد حوله "ريمون دي صنجيل" مؤسس **كونتية طرابلس الصليبية** إلى كنيسة على اسم "كنيسة القبر المقدس التي على تلة الحجاج" وهو الاسم الذي كانت تعرف به "تلة أبي سمرا" في تلك الأيام. وفي القلعة أيضاً **بعض البُنى التي تعود إلى أيام الصليبيين**، ومنها أساسات الجبهة الشرقية وبعض أجزاء الكنيسة التي تعود إلى القرنين الثاني عشر والثالث عشر، بالإضافة إلى البرج الكبير القائم في وسط القلعة. أما التعديلات التي طرأت على القلعة في أيام المماليك، فقد تناولت بشكل رئيسي جبهتيها الشمالية والجنوبية. وهناك أيضاً بعض التعديلات الطفيفة التي تعود إلى العهد العثماني، في بدايات القرن السادس عشر م، والتي تتمثل بالبوابة الرئيسة التي أدخلت على البنية المملوكية.



مؤلف ومصمم الأطلس أمام بوابة قلعة طرابلس



الجيوش الصليبية تواصل زحفها نحو بيت المقدس وتغتصب المدن والقرى



أعمدة رومانية مقابل متحف بيروت - لبنان - عدسة المؤلف

وترك الصليبيون ضاحية طرابلس، ميمّمين شطر بيروت، يرافقهم الأدلاء (١٦ أيار ١٠٩٩ م) فاجتازوا الساحل الطرابلسي، مروراً بأنفه، فرأس شكا، الذي تشرف عليه قلعة المسيلحة المحصنة، فالبترون، فجبيل. ومن هناك، اتجهوا نحو نهر الكلب، نهاية حدود إمارة طرابلس.

وفي التاسع عشر من شهر أيار ١٠٩٩ م، مساء، كان الجيش الصليبي يرابط أمام مدينة بيروت، دون أن يتعرض له أحد بسوء، بالرغم من أن المنطقة الممتدة من نهر الكلب، إلى بيروت، كانت قد أصبحت تابعة **للعبيديين**، بعد أن تمكنوا من ضم فلسطين، بما فيها بيت المقدس، إلى ممتلكاتهم، في آب ١٠٩٨ م – ٤٩٢ هـ، بحيث امتدت حدود الدولة العبيدية إلى نهر الكلب شمالاً، ومجرى الأردن شرقاً. وما أن وصلت القوات الصليبية إلى ضواحي مدينة بيروت، حتى تقدم أهاليها يعرضون على قادة تلك القوات، تقديم كل ما يحتاجون إليه من مؤن وأقوات، متعهدين لهم بأن يكونوا من أتباعهم، فيما لو حالفهم الحظ باحتلال بيت المقدس. فوافق هؤلاء الأخيرون، على ذلك، وتابعوا سيرهم إلى صيدا، ومنها إلى صور، حيث عسكروا هناك (٢٣ أيار ١٠٩٩ م) فأرسوف، ثم انعكف من طريق الساحل قبل يافا، متخذاً القدس، وجهته نحو الداخل، فاجتاز نهر العوجة، وعسكر قرب **الرملة** التي أخلاها أهاليها، عند وصوله إليها. (٢ – ٣ حزيران ١٠٩٩ م) فدخلها وأبقى فيها حامية صغيرة، بعد أن نصّب القادة الصليبيون عليها أسقفاً يدعى : **روبير دي روان**.

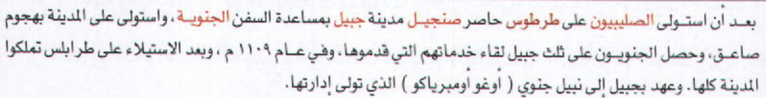
ومن ثم تابع الجيش سيره نحو القبيبة، ومنها أرسلت فرقة كشافة من الفرسان، بقيادة تنكرد وبودوان دي بورج إلى بيت لحم، فبلغتها مع الفجر، وعندما رآها مسيحيو البلدة، خرجوا للقائها، وهم يرتلون الأناشيد الدينية. ثم رفعوا راية تنكرد، وركزوها عالية على كنيسة العذراء.

وفي السابع من حزيران ١٠٩٩ – ٤٩٢ هـ وهو يوم الثلاثاء، كانت الجيوش الصليبية مجتمعة، تعسكر تحت أسوار مدينة القدس، هدف تلك الجيوش الأسمى [١].

١- أ. سعيد أحمد برجاوي، الحروب الصليبية في المشرق، ص ١٦١ – ١٦٢.



مؤلف ومصمم الأطلس عند مدخل قلعة جبيل الصليبية



بعـد أن استـولى الصليبيون على طرطوس حاصر صنجيـل مدينة جبيل بمساعدة السفن الجنويـة، واستولى على المدينة بهجوم صاعـق، وحصل الجنويـون على ثلث جبيل لقاء خدماتهم التي قدموها، وفي عـام ١١٠٩ م ، وبعد الاستيلاء على طرابلس تملكوا المدينة كلها. وعهد بجبيل إلى نبيل جنوي (أوغو أومبرياكو) الذي تولى إدارتها.

بيبلوس الفينيقية (جبيل)

عُرِفت جبيل في العصور القديمة باسم (جبلا) و (جبل) فيما كان يطلق على المنطقة الساحلية التي تقوم فيها اسم (كنعـان) ، غير أن الإغريق في الألـف الأول قبـل الميلاد ، ومـن بعدهم الرومـان أطلقوا علـى الساحل اسم (فينيقيا) كما أطلقوا على المدينة اسم (بيبلوس) . وخلال العصر الروماني وتحديداً فـي أواسط القرن الاول قبـل الميلاد ، اشتهرت بالآثـار التاريخية ، أخـذت أهميتهـا تتضاءل حتى بداية القـرن الـ١٢ عندما سقطـت في أيدي الصليبيين اذ احتلها هؤلاء عام ١١٠٤م .



القلعة الصليبية بجبيل اللبنانية



احتلال بيت المقدس وقيام مملكة صليبية (لاتينية) فيها

تحركت باقي جموع الصليبيين نحو بيت المقدس بعد أن مكثوا نحو خمسة عشر شهراً في شمالي بلاد الشام، نجحوا خلالها في احتلال كثير من المدن والقرى، وفي الطريق إلى بيت المقدس كان بعض الحكام المسلمين يدخلون في طاعة الصليبيين، مؤثرين السلامة على المواجهة، ولم يكتفوا بذلك بل نزلوا على شروط الصليبيين بتقديم العون والمساعدة لهم، وتوالى سقوط المدن الساحلية وغيرها - كما أسلفنا في الصفحات السابقة - في أيدي الصليبيين حتى بلغوا أسوار بيت المقدس في (١٥ من رجب ٤٩٢هـ= ٧ من يونيو ١٠٩٩م)

وكان **"افتخار الدولة"** حاكم بيت المقدس من قبل الدولة العبيدية قد اتخذ استعداده لمواجهة الصليبيين، فسمم آبار المياه وقطع موارد المياه، وطرد جميع من بالمدينة من النصارى لشعوره بخطورة وجودهم أثناء الهجوم الصليبي، وتعاطفهم معهم، وقوى استحكامات المدينة.

كانت قوات الصليبيين التي تحاصر المدينة المقدسة تقدر بأربعين ألفًا، وظلت ما يقرب من نحو خمسة أيام قبل أن تشن هجومها المرتقب على أسوار المدينة الحصينة، وكان الجند في غاية الشوق والحماسة لإسقاط المدينة، فشنوا هجوماً كاسحاً في يوم الإثنين الموافق (٢٠ رجب ٤٩٢هـ= ١٢ من يونيو ١٠٩٩ م) انهارت على إثره التحصينات الخارجية لأسوار المدينة الشمالية، لكن ثبات رجال الحامية العبيدية وشجاعتهم أفشلت الهجوم الضاري، وقتلت الحماس المشتعل في نفوس الصليبيين، فتراجعت القوات الصليبية بعد ساعات من القتال.

كان موقف الصليبيين سيئاً، فهم يعانون العطش وقلة المؤن، وكان يمكن للحامية العبيدية أن تشن هجوماً مضاداً على الصليبيين وهم في هذه الحالة من الإنهاك، فتستأصل شأفتهم وتقضي عليهم، لكنها لم تفعل ثقة منها في مناعة أسوارها، وعدم قدرة الصليبيين على الاستمرار وهم في هذه الحالة، ثم قدر الله - تعالى - أن تصل سفن حربية من جنوه الإيطالية إلى يافا لتستولي عليها، وتمد الصليبيين بالمؤن والإمدادات والأسلحة والمواد اللازمة لصناعة آلات وأبراج الحصار، وكان لهذه النجدة أبلغ الأثر في نفوس الصليبيين فقويت عزائمهم وثبتت أركانهم، وطمعوا في الفوز المرتقب.

استطاع النصارى بواسطة البرج الثاني وتحت رماية مكثفة من المنجنيق والرماح من الصعود إلى أسوار الحصن، وبدأ القتال على أسوار القدس، وسقطت أخيراً الحامية العبيدية، واستسلمت القدس للنصارى، **والواقع أن الذي سلم القدس للنصارى هم العبيديون**، فهم لم يرسلوا جيشاً لمساعدة المسلمين، ولم يقدموا يد العون لحاميتهم في القدس، وتعد هذه خيانة عظمى في تاريخهم، بتصرف عن د. طارق السويدان، فلسطين التاريخ المصور، ص ١١٤ .

تأمل:

فحق ضائع وحمى مباح
وسيف قاطع ودم صبيب
وكم من مسجد جعلوه ديراً
على محرابه نصب الصليب
أمور لو تأملهن طفل
لطفل في عوارضه المشيب



المستعمرات الصليبية في بلاد المشرق الإسلامي

الشمال

سلاجقة الروم
سلطنة السلاجقة العظمى
إمارة
كركر
بهسنا
مرعش
سميساط
سيس
مملكة الأرمن (كليكيا)
أضنة
طرسوس
مارسين
الإمبراطورية البيزنطية
الرُّها
رانكولا
عينتاب
سروج
راوندم
الرُّها
عزاز
حلب
اسكندرون
أنطاكية
إمارة أنطاكية
ميناء سمعان
كفر طاب
إدلب
البارة
معرة النعمان
الدولة السلجوقية
ن. الفرات
ن. الخابور
اللاذقية
جبلة
فالانيا
مرقلية (المرقب)
مصياف
طرطوس
كفرنان
حمص
نيقوسيا
قبرص
ليماسول
طرابلس
إمارة طرابلس
بترون
جبيل
بعلبك
بيروت
سوريا
صيدا
دمشق
صور
عكا
حيفا
طبرية
قيسارية
نابلس
أرسوف
يافا
مملكة بيت المقدس
الأردن
السلط
بيت المقدس
عسقلان
غزة
الخليل
داروم
الكرك
سيجور
الشوبك
إيلة
الدولة العبيدية
بحر الروم (البحر الأبيض المتوسط)
المساعدات الجنوية الإيطالية
٠ ٢٥ ٥٠ كم

مسار الحملة الصليبية الأولى
معركة حاسمة
مناطق سيطر عليها الصليبيون عام .
مناطق كسبها الصليبيون منذ ١١٠٠ - ١١٤٤ م .

تألفت الجيوش الأساسية التي أرسلها **البابا** من الفرنسيين المدربين جيداً والفرسان النورمنديين. وشارك فيها غودفري البولوني، وريموند كونت تولوز، وروبرت الفلاندري، وبوهيموند من تارنتو. وانضمت إليهم القوات البيزنطية في القسطنطينية وتمكن الجيش الموحد من الاستيلاء على **نيقية** عام ٤٩١هـ، ١٠٩٧م.

وبعد ذلك، انقسم الجيش وسار الأوروبيون الغربيون نحو **القدس**، وخاضوا العديد من المعارك الدموية على طول الطريق، وكان أكثرها صعوبة **حصار أنطاكية** (مدينة تركية الآن)، حيث هلك الكثيرون بسبب الهزيمة التي ألحقها بهم الأتراك، ورحل الآخرون. ووصل الأوروبيون القدس في صيف ٤٩٣هـ، ١٠٩٩م، واستولوا على المدينة المقدسة **(بيت المقدس)** بعد ستة أسابيع من القتال، ثم عاد معظمهم لأوطانهم. وقسّم القادة الأراضي التي احتلوها إلى أربع دول سمّوها دول الصليبيين اللاتينية، وتضم مقاطعة إديسا (الرُّها) وإمارة أنطاكية، ومقاطعة طرابلس، ومملكة القدس.



تأهب الصليبيون بعد هذه النجدة؛ لمهاجمة أسوار المدينة بعد أن نجحوا في صناعة أبراج خشبية ومعها آلات دك الأسوار، وكانت تلك الأبراج تتكون من ثلاثة طوابق: الأول لفرق تدفع البرج من أسفل على عجلات، والثاني مخصص للفرسان، والثالث لرماة السهام.. وعجّل من الإسراع بالهجوم ما وصل إلى الصليبيين من أن الوزير العبيدي الأفضل الجمالي في طريقه من مصر على رأس جيش ضخم لإنقاذ مدينة بيت المقدس.

اختار الصليبيون أضعف الأماكن دفاعاً عن المدينة لمهاجمتها بأبراجهم الجديدة، ولم يكن هناك أضعف من الجزء الشرقي المحصور بين جبل صهيون إلى القطاع الشرقي من السور الشمالي وكان منخفضاً يسهل ارتقاؤه، وحرك الصليبيون أبراجهم إلى السور الشمالي للمدينة.

وفي مساء الأربعاء الموافق (٢١ من شعبان ٤٩٢ هـ= ١٣ من يوليو ١٠٩٩م) شن الصليبيون هجوماً كاسحاً، ونجح "افتخار الدولة" في حرق البرج الذي اقترب من السور الواقع عند باب صهيون، ولم يملك الصليبيون إزاء هذا الدفاع المستميت والخسائر التي تكبدوها سوى الانسحاب بعد يوم من القتال الشديد.

لكن هذا الفشل، زاد (**الصليبيين**) إصراراً، وأوقد الحماسة في نفوسهم لاقتحام المدينة، والاستيلاء عليها مهما كان الثمن، فشنوا هجوماً ضارياً فجر يوم الجمعة الموافق (٢٣ من شعبان ٤٩٢ هـ= ١٥ من يوليو ١٠٩٩م)، واستمر القتال متكافئاً حتى تمكن البرج المتبقي لهم من الالتصاق بالسور، وإنزال الجسر المتحرك الذي يصل بين قمة البرج وأعلى السور، فعبر خلاله الجنود واستولوا على جزء من السور الشمالي للمدينة، ونجح عدد كبير من المهاجمين في الاندفاع إلى المدينة، وفرت الحامية العبيدية الأدبار نحو داخل المسجد الشريف حيث توجد قبة الصخرة والمسجد الأقصى، واحتموا بهما، و**بذلك سقطت المدينة في أيدي الصليبيين !؟**.

جرائم الصليبيين في بيت المقدس

بعد أن دخل الصليبيون المدينة المقدسة تملكتهم روح البطش والرغبة في سفك دماء العزل الأبرياء، فانطلقوا في شوارع المدينة يذبحون كل من يقابلهم من رجال ونساء وأطفال، ولم تسلم المنازل الآمنة من اعتداءاتهم الوحشية، واستمر ذلك طيلة اليوم الذي دخلوا فيه المدينة.

وفي صباح اليوم التالي استكمل الصليبيون الحاقدون مذابحهم فقتلوا المسلمين الذين احتموا داخل المسجد الأقصى، وكان أحد قادة الحملة قد أمنهم على حياتهم، فلم يراعوا عهده معهم، فذبحوهم وكانوا سبعين ألفاً، منهم جماعة كبيرة من أئمة المسلمين وعلمائهم وعبادهم وزهادهم ممن فارقوا الأوطان وأقاموا في هذا الموضع الشريف.

ويعترف **مؤرخو الحملات الصليبية** ببشاعة السلوك البربري الذي أقدم عليه الصليبيون، فيذكر مؤرخ صليبي ممن شهد هذه المذابح وهو "ريموند أوف أجيل"، **أنه عندما توجه لزيارة ساحة المعبد غداة تلك المذبحة لم يستطع أن يشق طريقه وسط أشلاء القتلى إلا بصعوبة بالغة، وأن دماء القتلى بلغت ركبتيه**. وكتبوا إلى البابا يفتخرون بما فعلوا دون وازع من خلق أو رادع من دين، فما لامهم ولا استنكر فعلتهم!

واختار الصليبيون **غودفري** حاكماً على المدينة المقدسة، وراحوا يتطلعون إلى المزيد من الصليبيين الجدد من أوروبا، وأقاموا بطريركية رومانية، وصبغوا البلد بالصبغة الكاثوليكية. أحمد تمام .



اقتحام الصليبيين لبيت المقدس

يـروي المـؤرخ الفرنسي (جوستاف لوبون) هذه القصة عن الكاهن (ريمون دوجلوس) الذي حضر المشهد، ويقول: (لقد أفـرط قومنا في سفك الدماء في هيكل سليمان حتـى صارت الجثث تعوم على الدماء، وصارت الأيادي والرجل تسبح، وما عاد الجنود يطيقون رائحة البخار الذي يخرج من الجثث !!) . ويروي أيضاً في قصة أخرى عن (دوهمن): اقتيد الأسرى الباقـون فجمعـوا في برج القصر، وأكثرهم من الأطفال والنساء والعجائـز والشيوخ، فأمر الحاكم الصليبي بذبح الأطفال والنساء والعجائز والشيوخ، وإبقاء الشباب على قيد الحياة، ثم تم أخذهم عبيداً وبيعوا في أنطاكية .



هذه الخريطة: خريطة فسيفسائية بيزنطية رائعة تظهر **القدس** والأماكن التاريخية الأخرى. وتوجد هذه الخريطة داخل كنيسة القديس جورج التي تعود للكنيسة الأرثوذكسية اليونانية بالأردن.

تعتبر **الخريطة** التي يأتي السائحون لرؤيتها بمدينة مأدبا الأردنية، أقدم خريطة فسيفسائية في العالم، وربما الأهم لأنها **أقدم خريطة لأرض فلسطين**. وقد اكتسبت هذه الخريطة الفسيفسائية شهرة عالمية، منذ اكتشفاها قبل أكثر من قرن. وهي تثير اهتمام طلبة العلم، وأرباب المعرفة، وقاصدي الثقافة، ويعود تاريخ الخريطة إلى عام ٥٥٠م، وترتبط بشكل وثيق بفترة من تاريخ مأدبا الأردنية التي يوجد فيها جبل نبّو المطل على أرض فلسطين الحبيبة. وتمتد هذه الخريطة على جزء من أرضية كنيسة القديس جورج، ولقد وقفت عليها وشاهدتها، والتقطت لها صورة في هذا الشأن، ويقدر حجمها بنحو ١٥,٧٣ في ٥,٦٢م عرضاً وطولاً، وتشكل **مدينة القدس مركزاً لها**. وتظهر فيها مواقع في فلسطين والأردن وسوريا ولبنان ومصر، ويمكن تتبع مواقع صور وصيدا وبعلبك، إلى الجليل الفلسطيني، ووادي الأردن، والشاطئ الشرقي للبحر الميت وغور الأردن، ونابلس، وبيت لحم، ومواقع على البحر الأبيض المتوسط، وأخرى في دلتا النيل مثل دمنهور، وكذلك سيناء والإسكندرية وغيرها.



مؤلف ومصمم الأطلس بجانب الخريطة الفسيفسائية



خريطة تاريخية تصور حصار الصليبيين لبيت المقدس من أرض فلسطين



موقع بيت المقدس على أرض فلسطين

لبنان
سوريا
الناصرة
البحر الأبيض المتوسط
فلسطين
القدس
مأدبا
بيت لحم
فلسطين
الأردن
مصر
المملكة العربية السعودية
القدس
بيت لحم
حدود سياسية
٠ ٢٥ ٥٠ كم

بيت المقدس: هي المدينة المشهورة التي كانت محل الأنبياء وقبلة الشرايط ومهبط الوحي. بناها داود وفرغ منها سليمان، عليه السلام؛ وعن أبي بن كعب: ان الله تعالى أوحى إلى داود: ابن لي بيتاً. فقال: يا رب أين ؟ قال: حيث ترى الملك شاهراً سيفه ! فرأى داود ملكاً على الصخرة بيده سيف، فبنى هناك، ولما فرغ سليمان من بنائها أوحى الله تعالى إليه: سلني أعطك ! فقال: يا رب أسألك أن تغفر لي ذنبي ! فقال: لك ذلك ! قال: وأسألك أن تغفر لمن جاء هذا البيت يريد الصلاة فيه، وأن تخرجه من ذنوبه كيوم ولد ! فقال: لك ذلك ! قال: وأسألك لمن جاءه فقيراً أن تغنيه ! قال: ولك ذلك ! قال: وأسألك إن جاءه سقيماً أن تشفيه ! قال: ولك ذلك. وعن ابن عباس: البيت المقدس بنته الأنبياء وسكنته الأنبياء، وما فيه موضع شبر إلا وصلى فيه نبي أو قام فيه ملك. واتخذ سليمان فيها أشياء عجيبة: منها قبة، وهي قبة كانت فيها سلسلة معلقة ينالها المحق ولا ينالها المبطل حتى اضمحلت بالحيلة المعروفة، ومنها أنه بنى فيها بيتاً وأحكمه وصقله، فإذا دخله الورع والفاجر كان خيال الورع في الحائط أبيض، وخيال الفاجر أسود. ومنها أنه نصب في زاوية عصا آبنوس، من زعم صادقاً أنه من أولاد الأنبياء ومسها لم يضره، وإن لم يكن من أولاد الأنبياء إذا مسها احترقت يده. ثم ضرب الدهر ضربانه واستولت عليها الجبابرة وخربوها، فاجتاز بها عزير، عليه السلام، فرآها خاوية على عروشها، فقال: أنى يحيي هذه الله بعد موتها ؟ فأماته الله مائة عام ثم بعثه، وقد عمرها ملك من ملوك الفرس اسمه كوشك، فصارت أعمر مما كانت وأكثر أهلاً، والتي عليها الآن أرضها وضياعها جبال شاهقة، وليس بقربها أرض وطئة، وزروعها على أطراف الجبال بالفؤوس لأن الدواب لا عمل لها هناك. وأما نفس المدينة ففي فضاء في وسط ذلك، وأرضها كلها حجر، وفيها عمارات كثيرة حسنة، وشرب أهلها من ماء المطر. ليس فيها دار إلا وفيها صهريج. مياهها تجتمع من الدروب، ودروبها حجرية ليست كثيرة الدنس، لكن مياهها رديئة. وفيها ثلاث برك: بركة بني إسرائيل، وبركة سليمان، وبركة عياض. قال محمد بن أحمد البشاري المقدسي، وله كتاب في أخبار بلدان الإسلام: إنها متوسطة الحر والبرد، وقلما يقع بها ثلج، ولا ترى أحسن من بنيانها ولا أنظف ولا أنزه من مساجدها ! قد جمع الله فيها فواكه الغور والسهل والجبل والأشياء المتضادة: كالأترج واللوز والرطب والجوز والتين والموز، إلا أن بها عيوباً منها ما ذكر في التوراة: انها طست ذهب مملوء عقارب، ثم لا يرى أقذر من حماماتها ولا أثقل مونة منها ! وهي مع ذلك قليلة العلماء كثيرة النصارى، وفيهم جفاء على الرحبة والفنادق والضرائب ثقال على ما يباع فيها، وليس لمظلوم ناصر وليس بها أمكن من الماء والأذان. بها **المسجد الأقصى** الذي شرفه الله تعالى وعظمه وقال: إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله. وقال، صلى الله عليه وسلم: لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، والمسجد الأقصى، ومسجدي هذا. وهو في طرف الشرق من المدينة، أساسه من عمل داود، عليه السلام. طول كل حجر عشرة أذرع، وفي قبلته حجر أبيض عليه مكتوب: محمد رسول الله، خلقة لم يكتبه أحد. وصحن المسجد طويل عريض طوله أكثر من عرضه، وهو في غاية الحسن والإحكام، مبني على أعمدة الرخام الملونة، والفسيفساء الذي ليس في شيء من البلاد أحسن منه. وفي صحن المسجد مصطبة كبيرة في ارتفاع خمسة أذرع، يصعد إليه من عدة مواضع بالدرج، وفي وسط هذه المصطبة قبة عظيمة مثمنة على أعمدة رخام مسقفة برصاص، منمقة من داخل وخارج بالفسيفساء، مطبقة بالرخام الملون. وفي وسطها الصخرة التي تزار، وعلى طرفها أثر قدم النبي، عليه السلام، وتحتها مغارة ينزل إليها بعدة درج يصلى فيها. ولهذه القبة أربعة أبواب، وفي شرقيها خارج القبة قبة أخرى على أعمدة حسنة يقولون: انها قبة السلسلة. وقبة المعراج أيضاً على المصطبة، وكذلك قبة النبي، عليه السلام. كل ذلك على أعمدة مطبقة أعلاها بالرصاص، وذكر أن طول قبة الصخرة كان اثني عشر ميلاً في السماء، وكان على رأسها ياقوتة حمراء كان في ضوئها تغزل نساء أهل بلقاء. وبها مربط البراق الذي ركبه النبي، عليه السلام، تحت ركن المسجد. القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، ج ١، ص ٦٣



كيف سقطت الوردة الندية (القدس) في كف العفريت الإفرنجي (الصليبيين) ؟

تقدم معنا سرد المرحلة الأولى لتثبيت الصليبيين أقدامهم في السواحل الشمالية الشرقية من بلاد الشام وما والاها من بلاد الروم، وكيف أنهم استولوا في تلك المرحلة على أنطاكية والرُّها والمعرّة وغيرهم، ثم توجهوا في جحافلهم الجرارة صوب بيت المقدس.

- محاولات يائسة لإيقاف الخطر:

يقول ابن تغري: لما كان يوم الجمعة ثالث عشرين من شعبان سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة سار الفرنجة من أنطاكية ومقدمهم (أميرهم) كندهري في ألف ألف: منهم خمسمائة ألف مقاتل فارس، والباقون رجالة وفَعَلة وأرباب آلات من مجانيق وغيرها، وجعلوا طريقهم على الساحل.

ويبدو أن بعض **عساكر السلجوقيين** كان قد اعترض طريقهم بعد احتلال المعرّة، لكنه لم يُغنِ شيئاً، فانهزم واستشهد ممن معه ألوف، مما دفع صاحب حمص إلى مصالحة الفرنجة والخضوع لهم قبل أن يتوجهوا إلى بيت المقدس.

- الوضع السياسي للقدس قبل الاحتلال:

كانت بلدة **المقدس** تتداولها أيدي السلاجقة تارة والعبيديين تارة أخرى. وقبل وصول الفرنجة إليها بأربع سنوات كان أميرها أرتق بن أكسك التركماني، وهو من عمال محمد ملك شاه بن ألب أرسلان السلجوقي. ولما توفي أرتق، ترك القدس لولديه **أيلغازي وسقمان**، فحكما معاً القدس وسائر فلسطين إلى أن جاء الأفضل أمير الجيوش العبيدية من مصر إلى القدس، فحاصرها ونصب عليها المنجنيق وقاتل أهلها أربعين يوماً... وتواطأ بعض سكان بيت المقدس مع الأفضل بعد أن أمَّنهم، ففتحوا له أحد أبواب سور القدس عام (٤٧٩هـ) فدخل منه، وخرج سقمان وأخوه أيلغازي من باب آخر. وأظهر المقدسيون الطاعة لأمير الجيوش العبيدية الأفضل بن بدر الجمالي، ووَلّى عليهم رجلاً من قبله يُلقّب بافتخار الدولة، يتبع الحاكم العبيدي المستعلي حاكم مصر.

- الصليبيون يحاصرون مدينة القدس:

وصلت جحافل الصليبيين إلى مشارف **بيت المقدس** تاركين عكّا وراء ظهورهم بعد أن عجزوا عنها، فحاصروها وضيقوا عليها الخناق أكثر من أربعين يوماً متوالية. حتى إذا ظنوا أن المقاومة انهارت، نصبوا برجين على السور بقصد الوصول إلى مواقع المدافعين عن البلدة أعلى السور، ولكن أهل بيت المقدس ـ الذين كانوا قد طلبوا النجدة من الحاكم العبيدي في مصر ـ استطاعوا أن يلقوا النار على البرج الذي كان قبالة باب صهيون جنوبي القدس وقتلوا من كان فيه إلا أنهم فوجئوا ـ في غمرة انشغالهم بإحراق هذا البرج ـ أن البرج الآخر الذي كان قبالة باب العمود وباب الأسباط استطاع المهاجمون فيه النزول على السور بأعداد كبيرة، **مما** أدخل الرعب في قلوب المدافعين فانشمروا هاربين. وجاء المستغيث يصيح أن المدينة قد ملكت من الجانب الشمالي. يقول صاحب النجوم الزاهرة: وأما البرج الآخر فزحف به الفرنج حتى ألصقوه بالسور وحكموا به على



وكشفوا من كان عليه من المسلمين، ثم رموا بالمجانيق والسهام رمية رجل واحد، فانهزم المسلمون، فنزلوا إلى البلد وهرب الناس إلى **الصخرة والأقصى** ... وكان دخول الصليبيين إلى بيت المقدس ضحوة نهار الجمعة لسبع بقين من شعبان.



مرتسم أوروبي قديم آخر، لمحاصرة الصليبيين لبيت المقدس

- مذابح يندى لها الجبين في القدس:

وكان سقوط القدس ودخول الصليبيين لها في ذلك اليوم مرعباً وفظيعاً في ذاته داخل البلدة المقدسة، وفي صداه ودويه في جميع بلاد المسلمين !!!. إذ لم يدخلوها دخول العابد الخاشع المعظم لحرماتها، ولا دخول الفاتح النبيل الذي لم تسكره نشوة الظفر، ولم يدخلوها دخول الملوك الذين إن قتلوا قرناءهم من القادة تجاوزوا عن السوقة والعامة واستبقوهم، وإن تلذذوا بمنظر إذلال المقاتلين وقهرهم رقّوا لمنظر النساء والأطفال والشيوخ وعجزهم... يقول الأستاذ عارف باشا العارف، في كتابه تاريخ القدس: وما كادوا يدخلونها حتى حكموا على كل مسلم بقي فيها بالموت، فقتلوا سبعين ألفاً، ولم يُجْدِ المسلمين توسلهم ولا التجاؤهم إلى المسجد الأقصى، ولم يختلف اثنان من المؤرخين لا من الفرنجة ولا من المسلمين في استفظاع المنكرات التي اقترفها الصليبيون، تلك المنكرات التي أقل ما قيل فيها: إنه يندى لها جبين الدهر، وإنها مناقضة لتعاليم السيد المسيح عليه السلام الذي زعموا أنهم إنما جاؤوا لنصرته... وأرسل الصليبيون بعد انتهائهم من هذه المجزرة البشرية إلى **البابا** رسالة أخبروه فيها بما جرى قائلين له: إن القدس فتحت على أيديهم، وإنهم قتلوا عدداً لا يحصى من المسلمين، وإن خيولهم في إيوان سليمان كانت تخوض في بحر من دماء المسلمين حتى ركبها...

. عبد الله نجيب سالم، المجد المنيف للقدس الشريف، ج ١، ص ٧٩.



غصة المسلمين بسقوط القدس:

ثـم أخذ الصليبيون يديرون المدينة كما يشاؤون، فاستولوا علـى معظم المباني والممتلكات التـي كانت فيها... ولقد حولوا **قبـة الصخـرة** إلى **كنيسة**، واستعملـوا **المسجـد الأقصـى** (وبهوه الواسـع) لمصالحهم، فأنقصـوا من حجمه كثيراً، وقسموه إلى أقسام، فاتخذوا قسماً منه كنيسة، وقسماً آخـر مسكنـاً لفرسان الهيـكل، والباقـي استعملـوه مستودعاً لذخائـرهـم، واتخـذوا السراديب التـي تحـت المسجـد الحـالي اسطبلاً لحيواناتهم.

- **تثبيت الصليبيين أقدامهم في القدس:** ولما تمت هـذه الحادثـة هزت أرجاء العـالم الإسلامي مـن أقصاه إلى أقصاه، وكان أول الصارخين **دمشق** المجاورة التي صعقت لما حـدث، ولكنهـا كانت أضعف مـن أن تغيث أو تنجد فاهتزت خوفـاً وقلقـاً. يقول ابـن كثير: وذهـب النـاس علـى وجوههم هاربـين من الشـام إلى **العـراق** مستغيثين علـى الفرنج إلى الخليفة والسلطان، وخـرج المستنفرون من دمشق مع قاضيها زيـن الدين أبي سعد الهـروي. والكلام هنا لابن تغري مع ابن كثير. فوصلـوا بغداد وحضروا في الديـوان وقطعوا شعورهم وبكـوا، وقـام القاضـي فـي الديـوان وأورد كلامـاً أبكـى الحاضرين، وتناقلت منابر **بغداد** كلامه وأخباره، فلما سمع النـاس **ببغداد** هذا الأمر الفظيع هالهم ذلك وتباكوا، وندب الخليفة الفقهـاء إلى الخروج إلى البلاد **ليحرضـوا الملوك علـى الجهـاد**، ونُدب مـن الديوان مـن يمضـي إلى العسكر السلطـاني ويوقفهم المصيبة، وخـرج ابن عقيل وغير واحد من أعيان الفقهاء فساروا في الناس فلم يُغْنِ ذلك، ووقع التقاعد لأمر يريده الله،فإنا لله وإنا إليه راجعون.هذه صورة السقوط المريع للـدرة النفيسة والـوردة الندية والعـذراء البكر بأيدي الفجـــرة الصليبيين الذي لا يعرفون خلقاً ولا ديناً.

صـرخة في واد، لأبي المظفر محمد الأبيوردي بعد احتلال القدس

مزجنـا دمـاء بالدمـوع السواجـم ... ... فلـم يبـق منـا عرصـة للمراجم
فإيهـاً بنـي الإسـلام إن وراءكـم ... ... وقائـع يلحقـن الـذرى بالمناسـم
وكيـف تنـام العـين مـلء جفونهـا ... علـى هفـوات أيقظـت كل نائـم
تسومهـم الـروم الهـوان وأنتـم ... ... تجـرون ذيـل الخَفْض فِعْلَ المسالم
وشـر سـلاح المـرء دمـع يفيضـه ... إذ الحـرب شبـت نارُهـا بالصـوارم
أتَهْوِيَـةٌ فـي ظـل أمـن وغِبطـةٍ ... ... وعيشٍ كنـوّار الخميلـة ناعـم
وإخوانكـم بالشـام يضحـي مقيلهـم ... ظهور المذاكـي أو بطـون القشاعم
وكـم مـن دماء قـد أبيحـت ومن دمـى ... تـوارى حيـاء حسنهـا بالمعاصم
بحيـث السيـوف البيض محمـرة الظبا ... وسمـر العوالي دامعـات اللهاذم
وتلـك حـروب مـن يغـب عـن غمارهـا ... ليسلـم يقـرعْ بعدهـا سـن نادم
يـكاد لهـن المستجـير بطيبـة ... ... ينـادي بأعلـى الصـوت يـا آل هاشـم
ويجتنبـون النـار خوفـاً مـن الـردى ... ولا يحسبـون العـار ضربـة لازم
فليتهمـو إذ لم يـذودوا حميـة ... ... عـن الديـن ضَنُّـوا غِـيرةً بالمحـارم
لئـن أذعنـت تلـك الخياشيـم للـبرى ... فـلا عطسـوا إلا بأجـدع راغـم
نراقـب فينـا غـارة عربيـة ... ... تطيـل عليهـا الـروم عض الأباهـم
وبـين اختلاسـ الطعـن والضـرب وقفـة تظل لهـا الولدان شيـب القوادم
سللـن بأيـدي المشركـين قواضبـاً ... ستغمـد منهـم في الكلـى والجماجم
أرى أمتـي لا يشرعـون إلى العـدى ... رماحهـم والديـن واهـي الدعائـم
أترضـى صناديـد الأعاريـب بـالأذى ... ويغضـي علـى ذلٍ كمـاة الاعاجم
وان زهـدوا فـي الأجـر إذ حمسـ الوغـا ... فهـلا أتـوه رغبة فـي الغنائم
دعوناكـم والحـرب ترنـوا ملحـة ... ... إلينـا بألحـاظ النسـور القشاعـم
فـإن أنتـم لم تغضبـوا بعـد هـذه ... ... رمينـا إلى أعدائنـا بالجرائـم

ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ٨،ص ١٨٩ .

مرثيـة إسماعيـل المغربـي، وهمـا عبارة عـن بيتـين لنفسه وكتبهما على حائط كنيسة صهيون بالقدس بعدما خربت!

هي الديار فقف في ربعها الخالي
لا يوحشنك فهو العاطل الحالي
واستسقه القطر والثم تربة سحبت
أذيالها في ثراها تربةُ الخال

م . بغية الطلب في تاريخ حلب



جامع **عمر بن الخطاب رضي الله عنه** ؛ المجاور لكنيسة القيامة في بيت المقدس

شهادة مؤرخ فرنسي : ينقل الأستاذ/ رفيق التميمي في كتابه (الحروب الصليبية) عن المؤرخ الفرنسي (فتك برنتانو) وصف سقوط مدينة القدس بأيـدي الغزاة الصليبيين من كتابه المسمى كذلك (الحروب الصليبيـة) فيقول: حين سقطت المدينة أخذ المسلمون يفرون من الشوارع الضيقة، ولجأت طائفة كبيرة منهم إلى هيكل سليمان (يقصد المسجد الأقصى) وهو المكان الذي اتفقوا مع (طنكرو) أحد قواد الحملة أن يلجأوا إليه فوعدهم للدفاع عن أنفسهم، وكان سلمهم راية ليركزوها هناك دلالة على حمايته لهم، وغص المكان بألوف اللاجئين حتى ضاق بهم، فصعد فريق منهم على السطح.

وحين احتل **الصليبيون** المدينة انقضوا على **المسلمين**، وأخذوا يذبحونهم ذبح النعاج دون أن ينظروا إلى راية طنكرو، وإلى ما كانت تحمله تلك الراية من الوعود، فسالت الدماء في المعبد، وملأته حتى بلغت ما يوازي ارتفاع اليد. وقد ذُبح أيضاً المسلمون اللاجئون إلى السطح ثم رُموا إلى أسفل البناء فكانت تنفلق جماجمهم وتتكسر عظامهم !!!. **ولجأ المسلمون إلى جامع عمر** رجالاً ونساءً وأطفالاً، وهم بحالة جزع وفزع لا مزيد عليهما إزاء الدماء التي ملأت المسجد وارتفعت حتى ركبتي الفارس الصليبي كما أكده كثير من الصليبين. وبغض النظر عن استثناءات نادرة فإن المدينة نظفت من سكانها المسلمين رجالها ونساءها وأطفالها، وكانت الشوارع تعج بجماجم الموتى وأذرعهم وأرجلهم المقطعة، وكان **الصليبيون** يتفننون في تعذيب وإماتة هؤلاء المساكين. وبعد سقـوط القدس قلع غود فري بو يون عشرين فارساً مسلمـاً مخالفاً بذلك سنة الفروسية. وشهادة مؤرخ صليبي: ويقول المـؤرخ الصليبي، ريموند دا كيلر: لقد عـذب الكفـرة، وشويـت أجسادهم على نار حامية، وخطر على بال الصليبيين احتمال ابتلاع المسلمين لدراهـم ذهبية، فأخذوا يبقرون بطونهم ليخرجوا تلك الدراهم منها، ثم رأوا أن بقر بطن الواحد تلو الآخر عملية طويلة تتنافى مع شره الصليبيين وغرامهم في التعذيب، فأخذوا يجعلون من الأسرى أكواماً مكدسة ثم يحرقونها، وينتظرون انتهاء عمل النار، ليبدأوا بالتحري عن النقود الذهبية الذائبة بين الجثث المحترقة. المجد المنيف للقدس الشريف - (ج ١ / ص ٨٣)



بيت المقدس بعد سقوطه في أيدي الصليبيين

أخذت **البابوية** على عاتقها ومنذ غزو **بيت المقدس** بإرسال **إمدادات صليبية** إلى **فلسطين** لتحقيق احتلالها (انظر الحملات الثانوية)، وتمثلت الإمدادات الأولى من البيزانية ثم اللومبارديين الذين قدموا من القسطنطينية إلى آسيا عام ١١٠١م، وسلك الصليبيون طريقاً طويلاً على طول شمالي آسيا الصغرى، وأحكم حولهم **الأتراك** الحصار وأبادوهم كلية مابين أنوة وأماسية في تموز /يوليو ١١٠١م.

وأعقب ذلك إرسال جيشي إمداد صليبي؛ يقود **أحدهما**: كيوم دي نيفير ، **والآخر**: كيوم دي بواتييه مع ثلف الرابع دوق بافاريا ، واللذين سلكا طريق الحملة الصليبية الأولى ولكنهما لم يفلتا من البوار بالقرب من أريكلي في كابادوكيا، وفقد فيها حوالي ٢٠٠ ألف مقاتل صليبي، وحدث عجز لديهم في سورية، ولم يصل هذا الجيش إلى الجهة المعينة له.

لذلك لم يعد أمام غود فري بويون إلا إثبات جدارته وقدرته القيادية رغم إمكانته البسيطة، ونجح خلال فترة حكمة للقدس (١٠٩٩ - ١١٠٠م) في توسيع رقعة الغزو الصليبي في محيط القدس إلى السامر ة والجليل، ومنح حكم الجليل (إمارة طبرية)إلى أمير إيطالي نور ماندي هو(**تانكريد**) الذي نجح في إجلاء المسلمين من منطقته واحتلال حيفا في أغسطس/آب١١٠٠م. فهو بذلك أراد أن يؤكد تغلبه على رغبة البابا وكنيسته حينما جعل بيت المقدس مملكة، فما أن تولى غود فري بويون حكم بيت المقدس حتى أعطى بذلك لفرسانه حجة في أن يصروا على أن يظل **حكمها ملكياً**، كراهية في البطريق الذي كان يتولى بيت المقدس من قبل الدولة البيزنطية (الأرثوذوكسية)، ووقوفاً في وجه أطماعه ولقب غود فري بويون؛ بحامي القبر المقدس . وبعد وفاة غود فري بويون سعى عدد من الأمراء إلى تولية أخيه (بلدوين) أمير الرُّها الذي كان قد عين أميراً لها سنة ١٠٩٨ م، فما أن جاءته الرسالة للحضور إلى بيت المقدس سبتمبر ١١٠٠ م حتى حضر إليها في نوفمبر سنة ١١٠٠ م. وتوج ملكاً على بيت المقدس في ديسمبر ١١٠٠ م .

وقد كان **بلدوين** من أقوى ملوك الصليبيين الذين حكموا بيت المقدس بالنار والحديد، وقد استطاع أن يستولي على الشواطئ الفلسطينية التي تواجه مملكته، فنجح في الاستيلاء على أرسوف و قيسارية سنة ١١٠١ م، ثم حيفا و يافا، واتجه نظره إلى أهم الثغور والموانئ على البحر المتوسط وهي: عسقلان وصور وعكا وصيدا وبيروت. وقد استولى على عكّا في سنة ١١٠٤ م - ٤٩٧ هـ ، وسريعاً ما استولى على سائر هذه الثغور بسهولة ما عدا عسقلان التي أضنته هي وصور .

الحملات الثانوية

الحملة البيزانية

١٠٩٩ م - ١١٠٠م، بقيادة دمبير وأسقف مبيرا، وعلى أثرها تم انتخاب دمبير بطريركاً على القدس في كانون الأول ١٠٩٩ م .

الحملة اللومباردية

١١٠٠ م - ١١٠١م، بقيادة أنسيلم دي بوي وأسقف ميلان، وغيبر دي بارم وعلى أثرها، استولى الصليبيون على أنقرة في ١١٠١ م، لكنهم نكبوا في أماسيا في آب ١١٠١ م.

الحملة النيفرنية

١١٠١م، بقيادة غليوم الثاني كيوم دي نيفير؛ لكن الصليبيين هزموا في هرقلة في أيلول سنة ١١٠١م.

الحملة الأكيتانية - البافارية

١١٠١م، بقيادة دوق أكيتانيا، وولف الرابع البافاري، لكنها لم تحقق الهدف المرجو منه، رغم حاجة الصليبيين خلال هذه الفترة الحرجة للإمدادات الوجستية .



سنوات الاحتلال الصليبي على بلاد الشام

حصن إسلامي

حصن صليبي

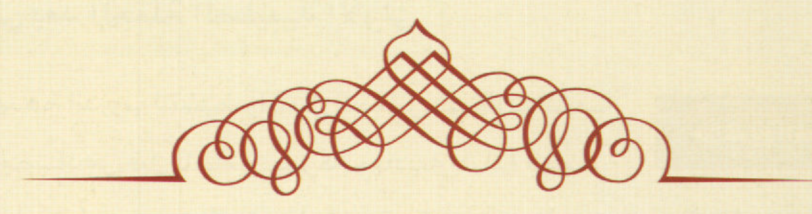
تعاقبت على مملكة **بيت المقدس** في الفترة التي خضع فيها **للصليبيين** أكثر من عشرة ملوك، غير أن أشهرهم وأكثرهم عملاً وتثبيتاً للصليبيين في بيت المقدس كان بلا شك **بلدوين الأول** شقيق غود فري بويون ثم بلدوين الثاني. وقد **اتسعت مملكة بيت المقدس** جغرافياً لتشمل **إقليم ما وراء الأردن شرقاً** . وبيروت وصيدا وصور وسكان دليون وحيفا وعكا وحيفا وقيسارية وأرسوف ويافا وعسقلان - من الشمال إلى الجنوب - غرباً وهونين وتبنين شمالاً وحبرون وغزة والداروم جنوباً. بل امتدت في بعض الأحيان لتشمل دمشق وبصرى وعمّان من جهة الشرق وشيدت **قلاع** على الطرف الجنوبي لهذه المملكة. أما من الناحية السياسية فكان ملك بيت المقدس أبرز ملوك الصليبيين في الشرق الإسلامي، بل كان في أغلب الأحيان . هو السيد لكل الأمراء الصليبيين .

أهم مصادر ومراجع الباب الثالث

١ - القرآن الكريم .
٢ - د. السيد الباز العريني، الحروب الصليبية، أرنست باركر، نقله إلى العربية دار النهضة العربية، بيروت، لبنان .
٣ - أ . سعيد أحمد برجاوي، (رئيس فخري لدى محكمة التمييز في لبنان) الحروب الصليبية في المشرق .
٤ - د . علي عبد الحليم محمود، الغزو الصليبي والعالم الإسلامي ، دار عكاظ للطباعة والنشر .
٥ - د . علي بن محمد الصّلاّبي، دولة السلاجقة وبروز مشروع إسلامي لمقاومة التغلغل الباطني والغزو الصليبي، نسخة رقمية .
٦ - ابن كثير، الحافظ عماد الدين ابن أبي الفداء إسماعيل ابن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، البداية والنهاية ، طبعات متعددة .
٧ - مجلة التاريخ العربي ، أعداد مختلفة .
٨ - مجلة البيان الإسلامية ، أعداد مختلفة.
٩ - أ . بسام العسلي، فن الحرب الإسلامي، دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٤٠٩هـ ، ١٩٨٨م.
١٠ - الشيخ / محمود شاكر، التاريخ الإسلامي ، الدولة العباسية .
١١ - سيد علي الحريري، "الحروب الصليبية . أسبابها، حملاتها، نتائجها" ، تحقيق وتقديم عصام محمد شبارو، دار التضامن دمشق ط١. ١٩٨٨.
١٢ - د. سعيد عاشور، الحركة الصليبية، مكتبة الأنجلو المصرية الطبعة الرابعة ١٩٨٦م.
١٣ - يوشع براور، عالم الصليبيين، ترجمة قاسم عبده قاسم ومحمد خليفة حسن، دار المعارف ١٩٨١م.
١٤ - أ. أحمد تمام إسلام أون لاين على الشبكة العنكبوتية .
١٥ - ميخائيل زابوروف، الصليبيون في الشرق، ترجمة إلياس شاهين، دار التقدم، موسكو، ١٩٨٦م.
١٦ - محمد بن محمد بن حامد الأصفهاني، تاريخ دولة آل سلجوق، اختصار الشيخ الإمام الفتح بن علي بن محمد البداري الأصفهاني دار الآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.
١٧ - موسوعة ويكبيديا على الشبكة العنكبوتية .
١٨ - سامي بن عبد الله المغلوث، الحملات الصليبية على المشرق الإسلامي في العصور الوسطى . دار الوراق، طبع ونشر ١٤١٩ هـ .
١٩ - شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت الحموي، معجم البلدان، بيروت دار إحياء التراث العربي، ١٩٧٩م.
٢٠ - عز الدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد ابن عبد الكريم عبد الواحد الشيباني، الكامل في التاريخ، دار المعرفة، الطبعة الأولى ١٤٢٢ هـ/٢٠٠٢م.
٢١ - د . طارق السويدان، فلسطين التاريخ المصور، نشر وتوزيع الإبداع الفكري - الكويت.
٢٢ - رنيه كروسيه؛ الحروب الصليبية صراع الشرق والغرب، ترجمه عن الفرنسية وعلق عليه أ . أحمد ايبش .
٢٣ - ابن تغري بردى، جمال الدين أبي المحاسن الأتابكي.النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة.
٢٤ - د . سهيل زكار، مدخل إلى تاريخ الحروب الصليبية، دار الفكر، ط . الرابعة.
٢٥ - انتوني بردج، تاريخ الحروب الصليبية، نقلها إلى العربية ، أ . أحمد غسان سبانو ، و أ . نبيل الجيرودي .
٢٦ - د. سعيد عبد الفتاح عاشور، أوروبا العصور الوسطى، مكتبة الأنجلو ، الإسكندرية ، ١٩٨١ م .
٢٧ - الموسوعة العربية العالمية، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع.
٢٨ - القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، نسخة رقمية .
٢٩ - عبد الله نجيب سالم، المجد المنيف للقدس الشريف، (تاريخ مدينة القدس وأهم معالمها التاريخية والحضارية) ، وزارة الأوقاف . إدارة البحوث والموسوعات الإسلامية .
٣٠ - ابن العديم، بغية الطلب في تاريخ حلب .
٣١ - ابن القلانسي، تاريخ أبي يعلى، الموسوعة الشاملة الإلكترونية .
٣٢ - د . فهمي توفيق مقبل، الفاطميون والصليبيون، بيروت، لبنان .
٣٣ - فولفغانغ مولّر - فينر ، القلاع (أيام الحروب الصليبية) ، ترجمة محمد وليد الجلاد، مراجعة سعيد طيّان .
٣٤ - د . محمد أبو الفرج العش، النقود العربية الإسلامية، المجلس الوطني للثقافة والفنون والتراث - الدوحة - قطر .
٣٥ - شار بهنام باكوز حنونا، تاريخ الكنيسة السريانية، نشر وتقديم الخور اسقف بهنام هندو، في ٢٩ اذار ٢٠٠٦ مشيغان، أمريكا .



الباب الرابع





يقظة العالم الإسلامي ومجيء الحملة الصليبية الثانية

- استرداد الرُّها
- صمود دمشق في وجه الصليبيين
- معركة حطين واسترجاع بيت المقدس
- حصار عكّا





يقظة العالم الإسلامي بعد الحملة الصليبية الأولى

تحت ضغط العلماء وجهدهم الدؤوب لتنشيط وإشعال الحماس في قلوب الشعب والحكام، بدأ أول تحرك مضاد من قبل المسلمين بحركة جهادية بقيادة العلماء، واستجاب لهم حاكم **الموصل** فقط بين جميع البلاد الإسلامية، وكان يحكم الموصل رجل تركي مسلم اسمه (**مودود**) دعا هذا الرجل للجهاد ؛ فاستجاب له خلق كثير، وبدأ الناس يتوافدون إليه، ثم ما لبث أن قاد جيشه هذا نحو (**الرُّها**) واستطاع أن يفتحها ويقتل العدو المغتصب ويأسر بعضهم، ومن الأسرى أخذ بعض الأرمن الذين تعاونوا معهم، وبدأ بعض الأمل يعود للمسلمين بهذا الفتح .

في عام ٥٠٧ هـ ١١١٣ م، توافدت جموع من المسلمين الذين بعثتهم بوادر الأمل إلى (مودود) فشكل منهم جيشاً وتحرك نحو **القدس**، وشعر النصارى بخطر الجيش الزاحف نحوهم، ولم يكن لدى مودود إلا جيش بسيط متناثر الأطراف، في مواجهة قوة عظيمة من النصارى كانت قد تجمعت بعتاد وأعداد ضخمة، ثم اشتبك الطرفان في معركة هائلة لم يستطع أحد الطرفين أن يحسمها لصالحه، ورأى مودود أن يعيد ترتيب صفوفه فانسحب نحو دمشق، وكانت لاتزال تابعة له، وفي **دمشق** نزل في المسجد الأموي يوم الجمعة فتربص له أحد رجال (**الحشاشين**) وهي **فرقة باطنية** ضالة، وقتلته غيلة. ولعل في ذلك قمة الخيانة أن يعمد أحد ممن يدعون الانتساب للإسلام فيقتل مجاهداً مسلماً بعث الله فيه أمل الأمة المكلومة، ولكن هذا - كان ولا يزال - ديدن الفرق المنحرفة والباطنية، فهم يضمرون العداء للمسلمين ومن خالفهم أكثر من عدائهم للكفار والنصارى واليهود ومن والاهم .

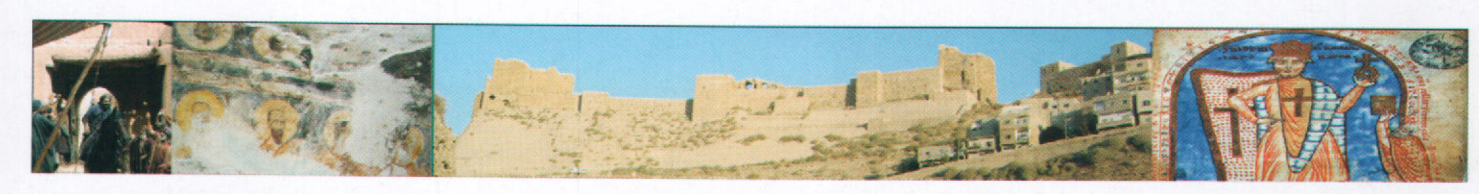
د . طارق السويدان، فلسطين التاريخ المصور، ١١٥ .

معركة قسطوان ٥١٣ هـ ١١١٩ م

وُئِدت هذه الحركة الجهادية في مهدها، ولم يكتب لها التوفيق والنجاح، لكن العلماء لم يلبثوا أن بثوا العزيمة والحماس في نفس حاكم آخر، وهو حاكم مدينة **ناردين** فجمع هذا الأخير جيشاً وتحرك به مرة أخرى نحو **الرُّها**، وبعد معركة بسيطة تسمى معركة (**قسطوان**) استطاع الجيش المسلم التغلب على النصارى ودحرهم، وانتشر مجدداً الأمل والتفاؤل بين الناس بهذا القائد الجديد، وبدأت عمليات استعدادات الجهاد والنهضة في الأمة مرة أخرى . السويدان، المرجع السابق، ص ١١٦ .

من تاريخ الحشاشين الباطنيين

هم من غلاة الإسماعيلية ويطلق عليهم النزارية ومؤسس دولتهم الحسن بن الصباح، وتذكر كتب التاريخ: أن فخر الدين الرازي كان يعلم الناس في حلقته في المسجد ما يراه حقاً، ولم يكن لدى المسلمين آنذاك شبهة فصل الدين عن الحياة ، وفي ذلك الزمان كانت فتنة الحشاشين قد ذرّت ، وبدأت تنشر الإرهاب واغتيال قادة المسلمين ، فاغتالوا، شرف الدولة مودود، ونظام الملك، وحاولوا اغتيال صلاح الدين أكثر من مرة، **وكل ذلك إرضاءً للصليبيين**، ووصولاً إلى أهدافهم الباطنية، وكان أحد هؤلاء الحشاشين قد انتظم في حلقة الفخر الرازي لمدة طويلة ، ليراقب الشيخ ثم يسكته عن النقد أو يغتاله، وسئل ذات يوم عنهم فشرح رأيه في الحشاشين وبين خطورتهم على الإسلام وأهله ، ثم خرج الشيخ إلى داره ، وفي ناحية من الطريق انفرد الحشاش بالشيخ - وكان الحشاش ضخماً قوياً - وعدا على الفخر وصرعه أرضاً، ثم جلس على صدره ، وسل خنجره وقال : عدني ألا تعود إلى نقد الحشاشين مرة أخرى وإلا قتلتك الآن ، فتخلص منه الشيخ بالوعد الذي أراده، وفي يوم آخر سأل أحد الحاضرين الشيخ عن الحشاشين فقال له : يا بني هؤلاء القوم لا أقول فيهم شيئاً، لأن لهم حججاً ثقيلة؛ وأخرى حادة !؟ . بتصرف عن د . محمد حامد الأحمري، أطراف القضية الجزائرية.



بطولات شرف الدولة (مودود) حاكم الموصل

١ حاكم الموصل شرف الدولة (مودود) يستجيب لنداء العلماء بتخليص البلاد الإسلامية من قبضة الصليبيين .

٢ في سنة ٥٠٥ هـ ؛ قائد المسلمين شرف الدولة (مودود) يفتح الرُّها، ويأسر بعض الأرمن الذين تعاونوا مع الصليبيين وشجعوا على احتلالها .

٣ شرف الدولة مودود؛ يقود حملة إسلامية إلى بيت المقدس لتخليصه من قبضة الصليبيين، خاض خلالها معركة هائلة لم تحسم من قبل الطرفين، ففضل الانسحاب نحو دمشق .

موقع معركة

الإمارات الصليبية

مملكة الأرمن (الصغرى)

قال الذهبي: ثم سار المسلمون للغلا فنهبوا بلاد الفرنج وضياعهم ما بين القدس إلى عكّا. وردّت عساكر الموصل، وتخلَّف مقدّمهم مودود عند طغتكين بدمشق وأمر العساكر بالقدوم بالربيع فوثب على **مودود** باطنيٌ يوم جمعةٍ فقتله، وقتلوا الباطنيّ. ودفن مودود عند دقاق بخانكاه الطواويس ثم نقل إلى إصبهان. العبر في خبر من غبر - (ج ١ / ص ٢٣٧)

وقال ابن القلانسي في " تاريخه " : قام هو (**أي مودود**) وطغتكين حولهما الترك والأحداث بأنواع السلاح من الصوارم والصمصامات والخناجر المجردة، كالأجمة المشتبكة، فوثب رجلٌ لا يؤبه له، ودعا لمودود، وشحذ منه، وقبض بند قبائه، وضربه تحت سرته ضربتين، والسيوف تنزل عليه، ودفن بخانقاه الطواويس، ثم نقل، وكان بطبرية مصحف أرسله عثمان رضي الله عنه إليها، فنقله طغتكين إلى جامع دمشق. الذهبي؛ سير أعلام النبلاء - (ج ١٩ / ص ٤١٠)



القائد التركي؛ عماد الدين زنكي (رحمه الله)

استطاع **عماد الدين زنكي** بفضل الله ثم بجهوده الميمونة؛ أن ينتزع من الصليبيين إمارة **الرُّها** التي تأسست في الشرق الإسلامي سنة ٤٩١هـ/١٠٩٧م بزعامة **بلدوين الأول** وكان تحريرها في عام ٥٣٩هـ، وقد ساعد عماد الدين زنكي عوامل عديدة في فتح الرُّها من أهمها؛ تنامي حركة الجهاد الإسلامي حتى عصره وحصاد تجربة المسلمين في ذلك المجال، فلا ريب في أن التجارب السابقة أثبتت أن إمارة الرُّها مرشحة أكثر من غيرها لكي تكون أولى الإمارات الصليبية المعرضة للسقوط في أيدي قادة الجهاد الإسلامي حينذاك، وقد اجهدها أمر الإغارات المستمرة من جانب **أمراء الموصل** خلال فترة تزيد على أربعة عقود من الزمان على نحو مثل: (موتاً بطيئاً لها) إلى أن تم الاجهاز عليها في العام المذكور ويضاف إلى ذلك براعة عماد الدين العسكرية الذي فاجأ تلك الإمارة الصليبية بالهجوم، بعد أن أطمأن الصليبيون إليه وتصوروا أنه لن يهاجم فاستغل فرصة غياب أميرها **جوسلين الثاني** عنها، ووجه لها ضربته القاضية التي انتهت بإسقاطها، وهكذا أثبت ذلك القائد الكبير أنه اختار التوقيت الملائم لذلك العمل العسكري العظيم

لقد حقق عماد الدين زنكي بفتح الرُّها؛ أهم إنجازاته التي قام بها ضد الصليبيين طوال مدة حكمه وكان لهذا النصر نتائج هامة في العالمين الإسلامي والنصراني ومن **أهم تلك النتائج على الإجمال** :

١- تأكد للمسلمين أن حركة الجهاد الإسلامي وصلت سن الرشد وتجاوزت المراهقة السياسية والعسكرية دون أن يكون ذلك إجحاف بإنجازات القادة السابقين على زنكي لاسيما الأمير مودود بن التونتكين وإذا كانت أولى الإمارات الصليبية تهاوت تحت أيديهم فإنها البداية، واليوم أسقاط الرُّها وغداً إسقاط باقي الكيان الغازي الدخيل، وهذا ما حدث فعلاً ومن الآن فصاعداً لن تعود عقارب الساعة إلى الوراء، بل التقدم إلى الأمام بكل ثقة، وإباء.

٢- تأكد منطق التاريخ من أن مثل تلك الكيانات الصليبية الغير شرعية لن تستمر على الأرض المسلمة، لأن أبناء المنطقة أصحاب الهوية الدينية الموحدة لن يقبلوا بذلك الوضع السياسي والعسكري الدخيل وبالتالي عاد التجانس لمنطقة شمالي العراق ولم تعد الرُّها تمثل دور الفصل والكيان الصليبي الحاجز المانع من الاتصال بين كل من سلاجقة آسيا الصغرى، وسلاجقة الروم، وكذلك بلاد فارس.

٣- كما أدى سقوط الرُّها بمثل هذه الصورة إلى تحرك الحلف الدفاعي الاستراتيجي القائم بين الكيان الصليبي في الشرق والرحم الأم، فلم يكن ذلك الغرب يسمح لامتداده السياسي، والتاريخي في الشرق أن ينهار قطعة قطعة، بل لابد من التدخل من أجل إعادة الأمور إلى نصابها وإجهاز فعاليات **إمارة الموصل** ومن ثم كان قيام **الحملة الصليبية الثانية عام ٥٤٢هـ** وهي من النتائج المباشرة **لإسقاط الرُّها** وهو أمر يوضح لنا بجلاء كيف أن قادة الجهاد الإسلامي حاربوا قوى عالمية، ولم تكن مجرد قوى محلية محدودة التأثير والفعالية، وأنهم بالفعل كانوا جزءاً من صراع قاري أو عالمي على نحو يجعل لهم مكانة بارزة في تاريخ المسلمين وقد مدح الشعراء الإنجاز الكبير الذي قام به عماد الدين لفتحه إمارة الرُّها.

د. علي محمد محمد الصَّلأبي، عصر الدولة الزنكية ونجاح المشروع الإسلامي بقيادة نور الدين محمود الشهيد في مقاومة التغلغل الباطني والغزو الصليبي، النسخة الرقمية.



فتوحات عماد الدين زنكي (حاكم الموصل) واسترداد الرُّها سنة ٥٣٩ هـ ١١٤٥ م

آل زنكي :

ينتمي عماد الدين بن آق سنقر بن عبدالله آل ترغان إلى قبائل (السبايو) **التركمانية** وقد حظي والده أبو سعيد آق سنقر الملقب بقسيم الدولة، والمعروف بالحاجب، باهتمام المؤرخين بسبب الدور الذي لعبه على مسرح الأحداث السياسية والعسكرية للدولة السلجوقية، وكان آق سنقر من أصحاب السلطان ملكشاه الأول و أترابه، وقيل إنه كان لصيقه، ومن أخصّ أصدقائه، فقد نشأ الرجلان وترعرعا معاً، ولما تسلم ملكشاه الحكم عينه حاجباً له، وحظي عنده فكان من المقرّبين، ووثق به حتى أفضى إليه بأسراره، واعتمد عليه في مهماته، فكان أبرز قادته. ومن أقوى الدلائل على الحظوة التي حازها آق سُنقُر عند السلطان، منحه لقب "قسيم الدولة"، وهذا يعني الشريك، وكانت الألقاب في تلك الآونة مصونة لا تُعطى إلا لمستحقيها، ويبدو أنه قاسم ملكشاه شؤون الحكم والإدارة، بالإضافة إلى ذلك، فإن آق سُنقُر كان يقف إلى يمين سدة السلطنة ولا يتقدمه أحد، وصار ذلك أيضاً لعقبه من بعده. د. علي الصلابي، المرجع السابق.



عندمـا تولى **عماد الدين زنكي الموصـل** تسنى له أن يرى الأوضاع علـى الجهة الشامية عن قرب حيث كانت الصـورة قاتمة؛ **فالصـليبيون:** قد احتلوا معظم سواحل الشام، وأقاموا أربـع إمارات صليبية بالبلاد الشامية، أما **المدن والحصـون التي تحت حكم المسـلمين:** فهي تعاني من الفرقة والإختـلاف والتنافر، وربما التقاتل فيمـا بينهـا، فـكل وال على مدينة يتعامـل فيها كأنه ملك مستقل عـن سائر البلاد، وأغلبهم بـل كلهم يتقي شر الصليبيـين ويتحاشى الصـدام معهم خوفاً على ضياع ملكه وانهدام دنياه، وهذا الخذلان من ولاة الأمصار سهل للصليبيـين مهمتهم وجعـل وجودهم في الشام يترسخ شيئاً فشيئاً. أضف إلى ذلـك أن الأمصار الإسلامية كلها تقريباً كانت في حالة فوضى واضطراب، فالخلاف على أشده بين أمراء البيت السلجوقي بعضهم بعضاً، كذلك الخلاف بين السلطان مسعود السلجوقي والخليفة العباسي المسترشد بالله على أشده. ومن خلال النظر في هذه الأوضاع كلها قرر عماد الدين زنكي أخذ زمام المبادرة والقيام بعمل لم يسبقه فيه أحد ووضع نصب عينيه هدفاً عظيمـاً طالمـا حلم المسلمون بتحقيقه ولكن يتعد نطاقه الأحلام إلى الحقيقـة، قرر البطل تحرير بلاد الشام من الوجود الصليبي، وحقق الله له ما أراد؛ حينما حرر إمارة الرُّها مكن قبضة الصليبيين الغزاة.

مدينة **الموصل** القاعدة الرئيسة لعماد الدين زنكي؛ لتحرير بعض الإمارات الصليبية في بلاد الشام





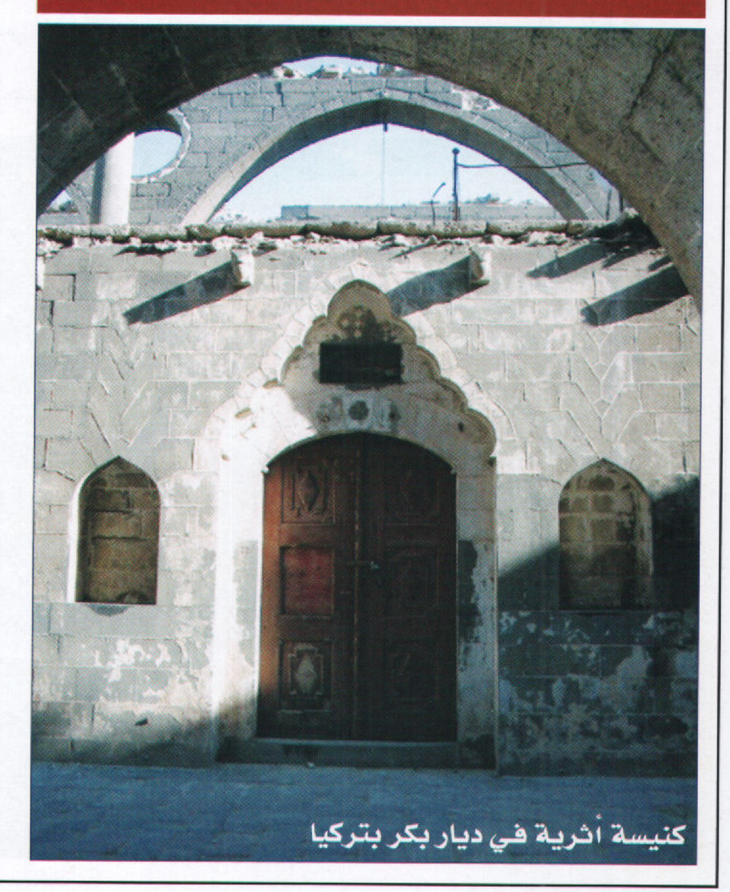


عملتان برونزيتان ؛ باسم الملك عماد الدين زنكي، الأولى سكت في نصيبين ، والثانية سكت في سنجار .

من المسلمات الأساسية في قتال أي عدو وطرد أي محتل وتحرير أي أرض؛ أن تكون جبهة المقاومة والدفاع واحدة صلبة مجتمعة، إذ كيف يجاهد المسلمون بصف مهترىء ممزق لذا كان أول ما سعى عماد الدين لتحقيقه؛ هو تكوين وبناء القاعدة الصلبة للمسلمين بتوحيد الجبهة الداخلية لسوريا، وربما كانت هذه المهمة هي أصعب مرحلة في مراحل الانتصار .

بدأ عماد الدين زنكي بمدينة حلب الهامة في المنطقة الشمالية من بلاد الشام في ١ محرم سنة ٥٢٢ هجرية أي بعد شهور قليلة من ولايته على الموصل مما يوضح أن هذا الرجل الفذ كان يملك خطة شاملة ورؤية واضحة معدة سلفاً لحركته بأرض الشام، ولم يكن ضمه لمدينة حلب بالشيء السهل فلقد ظل محاصراً لها عدة شهور قبل فتحها وكان عليها بعض الطامعين المتغلبين، ثم قام بعدها بضم مدينة حماة في السنة التالية ٥٢٣ هجرية، ثم ضم مدينة سرجي ودارا ثم حصن الأثارب وكان **بيد الصليبيين**، ثم انشغل عماد الدين زنكي بالخلافات العنيفة بين الخليفة المسترشد والسلطان مسعود بل تورط فيها وذلك لعدة سنوات، ثم عاد بعدها لهدفه الأسمى وضم عدة قلاع للأكراد الحميدية والهكارية وقلعة الصور وواصل سعيه حتى استقامت له **ديار بكر** و إقليم الجبال سنة ٥٢٨ هجرية .

استقامت معظم بلاد الشام لعماد الدين زنكي عدا ما كان بيد الصليبيين ودمشق قلب الشام وحاضرته، وقد حاول زنكي ضم دمشق سنة ٥٢٩ هجرية، ولكنه لم ينجح وبقيت خارج سلطته وبقي يخطط ويفكر كيفية الوصول إليها.



كنيسة أثرية في ديار بكر بتركيا



القائد التركي؛ نور الدين محمود بن عماد الدين زنكي (رحمهما الله)

ولد **نور الدين محمود بن عماد الدين زنكي**، في ١٧ من شوال ٥١١هـ، وهو ثاني أولاد عماد الدين زنكي بعد سيف الدين غازي، وقد تأثر أبناء عماد الدين بما كان لأبيهم من خلال وفضائل، فكانوا جميعاً من رجال الجهاد وفرسانه، على تفاوت في ذلك بينهم.

وبعد وفاة عماد الدين زنكي، اقتسم ولداه: سيف الدين غازي ونور الدين محمود دولته، فحكم الأول **الموصل** وثبّت أقدامه بها، وانفرد الآخر بحكم **حلب**، وكان الحد الفاصل بين أملاك الأخوين هو نهر الخابور في الجزيرة الفراتية، وكان كلا الأخوين مؤهلاً لما وجهته له الأقدار، فكان سيف الدين غازي صاحب سياسة وأناة، على حين كان نور الدين مجاهداً مخلصاً جياش العاطفة صادق الإيمان، ميالاً إلى جمع كلمة المسلمين وإخراج الأعداء من ديار المسلمين، مفطوراً على الرقة ورهافة الشعور؛ وهو ما جذب الناس إليه، وحبب القلوب فيه.

وكان على نور الدين أن يواصل سياسة أبيه في جهاد الصليبيين، يدفعه إلى ذلك طبيعته المفطورة على حب الجهاد، وملازمته لأبيه في حروبه معهم. وقرب إمارته في حلب بشمال سوريا من الصليبيين جعله أكثر الناس إحساساً بالخطر الصليبي.

مقتل عماد الدين زنكي؟

فكر الصليبيون في كيفية التخلص من **عماد الدين زنكي** وبعد تفكير وتقليب في من سيقوم بهذه المهمة قرروا إسناد مهمة الإغتيال إلى جماعة معروفة بذلك وبالفعل وفي ٦ ربيع الآخر سنة ٥٤١ هـ والبطل الفذ عماد الدين زنكي يحاصر أحد القلاع المطلة على نهر الفرات واسمها **قلعة جعبر** قامت مجموعة من **الباطنية** بالاتفاق مع الصليبيين بعد أن قبضوا الثمن بالتسلل إلى معسكر عماد الدين زنكي واندسوا بين حراسه وفي الليل دخلوا عليه خيمته وهو نائم وقتلوه رحمه الله وهكذا مات البطل وترجل الفارس وحط الراكب بعد حياة طويلة كلها جهاد وكفاح ونصرة للإسلام وأهله. وبعد أن أحيا ما كان مندثراً وأعاد ما كان مفقوداً ووضع الأساس المتين لمن جاء بعده فرحمه الله رحمة واسعة وغفر له ما كان من خطايا وزلات.

استهل نور الدين حكمه في سوريا بالقيام ببعض الهجمات على إمارة **أنطاكية** الصليبية، واستولى على عدة قلاع في شمالي الشام ومنطقة الساحل السوري، ثم قضى على محاولة **"جوسلين الثاني"** لاستعادة **الرُّها** التي فتحها عماد الدين زنكي وكانت هزيمة الصليبيين في الرُّها أشد من هزيمتهم الأولى، وعاقب نور الدين من خان المسلمين من **أرمن** الرُّها، وخاف بقية أهل البلد من النصارى على أنفسهم فغادروها.

كان نور الدين دائم السعي إلى استمالة القوى الإسلامية المتعددة في الشام وشمال العراق وكسب ودها وصداقتها؛ لتستطيع مواجهة العدو الصليبي، فعقد معاهدة مع "معين الدين أنر" حاكم **دمشق** سنة (٥٤١هـ = ١١٤٧م) وتزوج ابنته، فلما تعرض أنر لخطر الصليبيين وكانت تربطه بهم معاهدة وحلف لم يجد غير نور الدين يستجير به، فخرج إليه، وسارا معاً؛ صاحب دمشق، ونور الدين، واستوليا على **بصرى وصرخد** في جنوبي سوريا قبل أن يقعا في يد الصليبيين، ثم غادر نور الدين دمشق؛ حتى يبعث في قلب حاكمها الأمان، وأنه لا يفكر إلا في القضاء على الصليبيين؛ فتوجه إلى حصون إمارة أنطاكية، واستولى على أرتاح وكفر لاثا وبصرفوت وغيرها.

وعلى أثر ذلك ملك الرعب قلوب الصليبيين من نور الدين، وأدركوا أنهم أمام رجل لا يقل كفاءة وقدرة عن أبيه عماد الدين. وكانوا قد ظنوا أنهم قد استراحوا بموته، لكن أملهم تبدد أمام حماسة ابنه وشجاعته، وكانت سنه إذ ذاك تسعاً وعشرين سنة، لكنه أوتي من الحكمة والتدبير خيراً كثيراً.

وفي سنة (٥٤٢هـ = ١١٤٧م) وصلت **الحملة الصليبية الثانية** على الشام بزعامة لويس السابع وكونراد الثالث، لكنها فشلت في تحقيق أهدافها، كما سيتضح لنا في الصفحة ما بعد القادمة، وعجزت عن **احتلال دمشق** أهم مدن الشام، **ويرجع الفضل في ذلك لصبر المجاهدين واجتماع كلمة جيش المسلمين ووحدة صفهم**، وكان للقوات التي جاءت مع سيف الدين غازي وأخيه نور الدين أكبر الأثر في فشل تلك الحملة، واستغل نور الدين هذه النكبة التي حلّت بالصليبيين وضياع هيبتهم للهجوم على أنطاكية بعد أن ازداد نفوذه في الشام، فهاجم في سنة (٥٤٤هـ=١١٤٩م) الإقليم المحيط بقلعة **حارم** الواقعة على الضفة الشرقية لنهر العاصي، ثم حاصر قلعة إنب، فنهض "ريموند دي بواتيه" صاحب أنطاكية لنجدتها، والتقى الفريقان في (٢١ من صفر ٥٤٤هـ= آخر يونيو ١١٤٩م) ونجح المسلمون في تحقيق النصر وكان من جملة القتلى صاحب أنطاكية وغيره من قادة الفرنج.



الموقف العام على الساحة الشامية بعد مقتل عماد الدين زنكي

٢ قام **جوسلين الثاني** بعد موت عماد الدين باستعادة إمارته السابقة (**الرُّها**) . فعمل على الاتصال بأهلها من الأرمن، واتفق معهم، على دخولها، ومهاجمة حاميتها التركية، وبالفعل قام **الأرمن** بفتح الأبواب لجوسلين وجيشه وقابلوه بالترحيب، وقضى على حاميتها التركية سنة ٥٤١ هـ؛ لكن القلعة بقيت بيد الأتراك المسلمين، واستنجدوا **بنور الدين محمود**، الذي لبى النداء .

٣ نور الدين محمود يتحرك نحو الرُّها لاستردادها

١ لقد كان لمقتل عماد الدين زنكي، أثر كبير في مجرى الحوادث، فقد قام صاحب **دمشق**: **مجير الدين أبق**، بالتقدم نحو **بعلبك** وحاصرها، وكان بها نجم الدين أيوب، مستحفظاً فاضطر لتسليم قلعة بعلبك لعجزه عن المقاومة، وانتقل إلى دمشق وأقام بها سنة ٥٤١ هـ .

- موقع معركة
- إمارة سيف الدين غازي بن عماد
- إمارة نور الدين محمود بن عماد
- الإمارات الصليبية
- مملكة الأرمن (الصغرى)

٣ لم يقف **نور الدين محمود** مكتوف اليدين أمام ما جرى على **أرض الرُّها**، حيث لبى طلب الحامية التركية المتمركزة فيها، وأسرع من حلب على رأس جيشه ومن انضاف إليه من التركمان وغيرهم، في زهاء عشرة آلاف فارس، قاصداً الرُّها . ولما وصل إليها أقام الحصار عليها، فيما كانت الحامية التركية في القلعة، تمطر المحاصرين بسهامها، فتزرع الفوضى بينهم، وتبددهم. وعندما تحقق **جوسلين** من قوة الحصار، وتراخي مقاومة الأرمن، وتباطؤ الأفرنج بالمجيء لمعاونته، حاول الخروج من المدينة مع أهاليها الأرمن، واقتحموا جميعاً، جيش المسلمين، بغية اختراقه، والافلات من الطوق، بالهرب، ولكن أين لهم أن ينفذوا ؟ وقد أحاطت بهم قوى ذلك الجيش من جميع الجهات بسرعة، وأطبقت عليهم فأبادتهم، ولم يسلم من جيش أمير الرُّها السابق، سوى قلة ضئيلة من فرسانه، استطاعوا الفرار برفقته لسرعة جيادهم. أما الأهالي الأرمن الذين وقعوا بيد نور الدين، فقد عوقبوا بما يستحقونه، فهلكوا جميعاً، ومن لم يقتل منهم، أسر وبيع رقيقاً في أسواق **حلب** في ٣ تشرين الثاني سنة ١١٤٦ م - ٥٤١ هـ وكانت حصيلة هذا الخطأ الذي ارتكبه جوسلين الثاني، بدخوله الرُّها، بعد فتحها من قبل عماد الدين، ما ينوف عن ٤٥٠٠٠ ضحية، ما بين قتيل وأسير من إفرنج وأرمن، وبعد هزيمته، لجأ **جوسلين الثاني** إلى **سُميساط** وتحصن في قصره على الجانب الآخر من الفرات .



الحملة الصليبية الثانية

ســـنة ٥٤١هـ-٥٤٣هـ- ١١٤٧-١١٤٩م .

قادة الحملة : كورنراد الثالث ملك ألمانيا، ولويس السابع ملك فرنسا.

ســبب الحملة :



الراهب الفرنسي (سان برنارد)، وهو يحرض في حشد من الناس لحملة صليبية ثانية

استطـاع المسلمون بقيادة عماد الدين زنكي ومن ثم ابنه نور الدين محمود من استرجاع **الرُّها** من أيـدي الصليبيـين كمـا أوضحنـا فـي الصفحات السابقة.

وتحتـل الرُّهـا مكانة دينية كبرى لدى النصارى - لكـثرة ما فيها مـن الأديرة والكنائس، ويؤمن النصـارى : أن بكنيستهـا العظمـى منديل المسيح عليه السلام !؟، كمـا بها معالم إسلاميـة؛ كجامع ينسب للخليـل عليه السلام، وأماكن أخرى - فخشى الأوروبيون بعـد فقدان الرُّها على مصيـر الإمارات الصليبية الباقية نتيجة لهذه الصحوة الإسلامية.

وكان الداعـي المحرض لهـذه الحملة الصليبية **الراهب الفرنسي** (سان برنارد) وكان البابا إذ ذاك (أوجـان الثالث)، حيث عقـد مجمع كنسي فـي مدينة فيزولاي في مارس ٥٤٠ هـ - ١١٤٦ م، واستجـاب لذلـك ملك فرنســا (لويـس السابع) وإمبراطور ألمانيا (كونراد الثالث).

سار إمبراطور ألمانيا مع نفس مسار الحملة الأولى واصطدم مع السلاجقة الأتراك المسلمين في **قونية** مما أدى إلى رجوعـه إلى **نيقيـة** ثم **القسـطنطينية** لاستخدام سفن حربية للوصول لبيـت المقدس بحراً؛ بينما سلـك لويـس الفرنسي طريـق الساحل الأناضولي (انظر الخارطة في الصفحـة المقابلة لتوضيح ذلك)، ثم واصـل مـن أنطاكية إلى بيت المقدس حيث كان يريد اللحاق بملك ألمانيا قبل أن يصل إلى بيت المقدس. **فسـار أكبر جيشيين في أوروبا الغربية** لاسترداد **الرُّها** وتعزيز الوجود الصليبي في المشرق الإسلامي .

الحملة الصليبية الثانية

بحر بنطس (البحر الأسود)
الإمبراطورية البيزنطية
القسطنطينية
بحر مرمرة
نيقية
آسيا الصغرى
سلاجقة الروم
أسيرون
بحر إيجة
مملكة الأرمن الصغرى
الرُّها
قونية
لوديكيا
أفسوس
اليونان
طرسوس
أنطاكية
حلب
الدولة الزنكية
أنطالية
بلاد الشام
قبرص
كريت
طرابلس
سوريا
دمشق
بانياس
بحر الروم (البحر الشامي - البحر الأبيض المتوسط)
حيفا
الأردن
بيت المقدس
الكرك
الشوبك
أيلة
ليبيا
الإسكندرية
مصر
القاهرة
الدولة العبيدية
صفر ١٠٠ ٢٠٠ ٣٠٠ ٤٠٠ ٥٠٠ كم





الصليبيون على أبواب دمشق

في سنة (٥٤٢هـ = ١١٤٧م) وصلت الحملة الصليبية الثانية إلى دمشق لكنها فشلت في تحقيق أهدافها، وعجزت عن احتلالها ويرجع الفضل لله سبحانه، ثم لصبر المجاهدين واجتماع كلمة جيش المسلمين ووحدة صفهم، إضافة للقوات المساعدة التي جاءت مع سيف الدين غازي من الموصل لتشكل مع أخيه نور الدين محمود سداً منيعاً أفشل خطة الصليبيين وحملتهم.

تابع "لويس السابع" سيره إلى "بيت المقدس"، وهناك استقبل استقبالاً حافلاً، ولكن وللمرة الثانية انحرفت الحملة الصليبية الثانية عن أهدافها، عندما تم عقد مجلس صليبي كبير، ضم "لويس السابع" و"كونراد الثالث" - الذي سبقه إلى "بيت المقدس" - والملك "بلدوين الثالث"، وأمراء مملكة "بيت المقدس"، وعدداً كبيراً من كبار رجال الدين والأمراء الصليبيين، حيث اتفق الجميع على مهاجمة "معين الدين أُنر" حاكم "دمشق" الفعلي، **الذي كان حليفاً للصليبيين**، ولكن **نور الدين زنكي حاكم حلب**؛ تناسى غدر حاكم دمشق به ووقف بجانبه. وبالفعل، جهَّز الصليبيون جيشاً لهذه الغاية وزحفوا إلى دمشق (ربيع الأول ٥٤٢ هـ = حزيران ١١٤٨م) فحاصروها، ولكن أهالي دمشق تصدوا لهم بقوة بمشاركة الزهاد والفقهاء في القتال، الذين كان لهم دور كبير في إذكاء شعلة الصمود والتصدي، وبدأت قوات "معين الدين أنر" تتزايد، وتدفقت النجدات إلى "دمشق" من الأبواب الشمالية، وهو ما جعل الصليبيين يتحولون من الهجوم إلى الدفاع.

والذي زاد من حراجة الموقف الصليبي هو تلك الشقاقات والخلافات التي وقعت بينهم حول تبعية "دمشق" ومصيرها، وأحقية كل فريق منهم في ضمها إليه في حالة سقوطها والاستيلاء عليها.



مؤلف ومصمم الأطلس داخل صحن الجامع الأموي بدمشق



فتوحات نور الدين محمود على أرض الشام

٣ فـي هـذه السنة ٥٦٠ هـ ، سار نور الدين محمود بن زنكي إلى **قلعة حارم**، وهي للفرنج، ثم لبيمند، صاحب **أنطاكيـة**، وهـي تقارب أنطاكية مـن شرقيها، وحصرها وضيق علـى أهلها، وهي قلعة منيعة فـي نحور المسلمين، فاجتمعـت الفرنج بالقـرب منها ومن بعد، وسـاروا نحوه ليرحلوه عنهـا. وكان بالحصن شيطـان من شياطينهم يعرفـون عقله ويرجعـون إلى رأيه، فأرسل إليهم يقول: إننا نقدر على حفظ القلعة، وليس بنا ضعف، فلا تخاطروا أنتم باللقاء، فإنه إن هزمكم أخذها وغيرها، والرأي مطاولته؛ فأرسلوا إليه وصالحوه على أن يعطوه نصف أعمال حارم، فاصطلحوا على ذلك، ورحل عنهم . ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٥ ، ص ٦١ .

٤ فتـح نـور الدين محمود؛ حصن **أفاميـا** من الفرنج وهو مجاور **شـيزر** و**حماة** على تل عال من أحصن القلاع وأمنعهـا، فسار إليه نور الدين وحصره وبه الفرنج وقاتلهـم وضيق على من به منهم .

٢ في عام ٥٤٦ هـ ١١٥٢ م، أعلن حاكم دمشق؛ تبعيته لنور الدين محمـود، وفُتحت دمشـق لنـور الديـن محمـود، ودخـل دخول الفاتحـين، واستقبله أهالي دمشق بالتهليـل والتكبير والتحميد، فأقام الشرع، وساس بالعدل بين الرعية .

- إمارة سيف الدين غازي بن عماد
- إمارة نور الدين محمود بن عماد
- تراجع الإمارات الصليبية
- مملكة الأرمن (الصغرى)
- موقع معركة

١ استغل **نور الدين** هذه النكبة (الفشل في حصار دمشق)، والتي حلّت بالصليبيين وضياع هيبتهم للهجوم على **أنطاكية** بعد أن ازداد نفوذه في الشام، فهاجـم فـي سنـة (٥٤٤هـ=١١٤٩م) الإقليم المحيط بقلعة **حارم** الواقعـة على الضفة الشرقية لنهر العاصي، ثم حاصر قلعة إنـب، فنهض "ريموند دي بواتيه" صاحـب أنطاكيـة لنجدتهـا، والتقى الفريقان في (٢١ من صفر ٥٤٤هـ= آخر يونيو ١١٤٩م) **ونجح المسلمون في تحقيق النصر وكان من جملة القتلى صاحب أنطاكية وغيره من قادة الفرنج** وممن قال فيه القيسراني في قصيدته المشهورة التي أولها:

هذي العزائم لا ما تدعي القضب ... وذي المكارم لا ما قالت الكتب
وهذه الهمم اللاتي متى خطبت ... تعثرت خلفها الأشعار والخطب
صافحت يا ابن عماد الدين ذروتها ... براحة للمساعي دونها تعب
ما زال جدك يبني كل شاهقة ... حتى بنى قبة أوتادها الشهب
أغرت سيوفك بالإفرنج راجفة ... فؤاد رومية الكبرى لها يجب
ضربت كبشهم منها بقاصمة ... أودى بها الصلب وانحطت بها الصلب
طهرت أرض الأعادي من دمائهم ... طهارة كل سيف عندها جنب



مدخل قلعة شيزر

قلعة شيزر : شيدت على أكمة صخرية تحاذي نهر العاصي من الغرب يعود تاريخ بناء القلعة إلى الفترة السلوقية نهاية القرن الرابع قبل الميلاد، وقد حارب أمراء شيزر الصليبيين في **أفاميا** أثناء حروب الفرنجة واستمر بنو المنقذ في حكم شيزر وجوارها حتى عام ٥٥٢ هـ - ١١٥٧ م عند وقوع الزلزلة الكبرى التي أفنت سلالة بني المنقذ ولم ينجو إلا الأمير أسامة الشاعر المشهور، وقد **أعاد نور الدين زنكي** بناء القلعة وولى عليها مجد الدين بن الداية .





من آثار أفاميا

تقع **قلعة المضيق** غربي مدينة **أفاميا** وتتربع في منظر مهيب مطل على المنطقة وهي إحدى القلاع الكثيرة المنتشره على امتداد جبال الساحل السوري . ويعتقد أن القلعة كانت أكربولاً لها ثم أصبحت في العهد الروماني موقعاً حربياً وهي قلعه جميلة تتربع بالقرب من أفاميا. أما حالياً فيعتبر بناء الحصن عربياً وكذلك طراز هندسته، والبناء العربي للقلعة **هي من آثار نور الدين محمود بن عماد زنكي**، والقرية التي داخل الحصن كبيرة حافلة بالدور المبنية من أنقاض السور و الأبراج ومباني أفاميا القديمة. للقلعة سور عظيم مرتفع على هيئة مضلع غير منتظم، ركبت عليه أبراج كثيرة مربعة الشكل، وللقلعة باب كبير تعلوه قنطرة وحوله برجان مربعان للحراسة.

ومعظم السور ما زال بحالة جيدة ماعدا أحجار التضاريس التي كانت عليه التي تهدمت في بعض جوانبها إلا في القسم الغربي من السور. لم يزد **الصليبيون** على القلعة أي أثر جديد بعد أن استولوا عليها عام ١١٠٦م واستقروا فيها وجعلوها معقلاً حامياً لعاصمتهم **أنطاكية** على الساحل السوري وبقيت في حوزتهم حتى استخلصها **نور الدين زنكي** عام ١١٤٩م ، وقد أصابتها الزلازل في أوائل القرن ١٢ (١١٥٧م) فهدمت معظم منشآتها وأمر نور الدين زنكي بأعادة ترميمها وإعادة بناء سورها .



قلعة المضيق (أفاميا)



لقطة ثانية للجامع الأموي بدمشق

تركز النشاط العلمي في **الجامع الأموي** على تدريس القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، والفقه، كما عُقدت في هذا الجامع العديد من مجالس الإملاء والسماع اجتمع إليها عدد من العلماء وطلاب العلم حتى أصبح هذا **الجامع** من أبرز مواطن الثقافة في دمشق تناوب فيه جلّة من أعلام العلماء الذين لا تزال أسماؤهم لامعة في ميادين العلوم الشرعية، ولا تزال آثارهم ومؤلفاتهم باقية حتى اليوم **ويصور أحد الشعراء المعاصرين للملك نور الدين محمود، وهو علي بن منصور السُروجي** المتوفى سنة ٥٧٢هـ (١١٧٦م) نشاط التعليم في هذا الجامع في قصيدة وصف بها النشاط العلمي الذي شهدته دمشق في العهد الزنكي فيقول:

كأنها جنة للخُلد دانية

❖ قُصُورها فتحت منها المقاصير

في كل قطر بها للعلم مدرسة

❖ وجامع جامع للدين معمور

يُتلى القرآن به في كل ناحية

❖ والعلم يذكر فيه والتفاسير

تكامل الحسنُ فيه مثل ما كُملت

❖ أوصاف مولى بنشر العدل مشهور

الملك والدِّينُ والدّنيا بأجمعها

❖ وللخليفة من أنواره سُورُ [١]

١ - د. علي محمد محمد الصَّلاَّبي؛ عصر الدولة الزنكية ونجاح المشروع الإسلامي بقيادة نور الدين محمود الشهيد في مقاومة التغلغل الباطني والغزو الصليبي.



الصراع على ضم مصر بين نور الدين والصليبيين

كان فتح **مصر** من أعظم منجزات **نورالدين محمود** - رحمه الله -، فقد تمكن من إسقاط **الدولة الفاطمية العبيدية**، التي استمرت أكثر من قرنين تنشر الفساد السياسي والخلل العقدي في أنحاء العالم الإسلامي، فهي التي أعانت الصليبيين في احتلال بلاد الشام بتحالفها وتآمرها معهم وهي التي تبنت المذهب الباطني ونشرته في ديار المسلمين، وعندما سادت الفوضى إدارة الحكم فيها، وتحكم الوزراء بالأمر دون الخلفاء، طمع الصليبيون بغزو مصر فهاجموها المرة تلو المرة وعندها جرد نور الدين محمود حملاته العسكرية لتخليص مصر من مطامعهم، ولإعادة أرض الكنانة إلى منهج أهل **السنة والجماعة**، وجمع كلمة المسلمين، ويمكن تلخيص أبرز الدوافع التي أدت إلى غزو مصر ما يأتي :

الدافع الأول : حالة الفوضى التي سادت مصر آخر أيامها فقد أصبحت الدولة تعاني كثيراً من مظاهر الانحلال والفساد، حتى صار من الأمور الشائعة، أن يصبح الخليفة أو الوزير مقتولاً، خلال الصراع الدائر بين الوزراء أنفسهم، أو بين الوزراء والخلفاء فقد قتل الظافر على يد وزيره، وتحكم الوزراء فيمن جاء بعده وفي اختيار من يشاءون، وقتل الوزراء بعضهم بعضاً، فقد تولى الوزارة في عام واحد ثلاثة وزراء : **العادل بن رزيك، وشاور وضرغام**، فضعفت الدولة وسادة الفوضى في البلاد ومن أواخر هذا الصراع خروج شاور من مصر، بعد أن طرده "ضرغام" ومن ثم استنجاده بنور الدين محمود، الذي وجد الفرصة مواتية لتوحيد الوحدة الإسلامية في بلاد الشام ومصر.

الدافع الثاني : إن مطامع الصليبيين شجعت القائد المجاهد نور الدين على التفكير جدياً بضم مصر إلى الجبهة الإسلامية، كما أن تلقيه العهد من الخليفة العباسي باطلاق يده في بلاد الشام ومصر عام ٥٤٩هـ شد من عزيمته لإنجاز هذا الأمر.

الدافع الثالث : من أقوى الأسباب التي أدت إلى القضاء على الخلافة الفاطمية العبيدية، العامل العقدي، فقد كانت دولة باطنية المعتقد، إسماعيلية المذهب فرقت وحدة المسلمين وتآمرت مراراً مع أعدائهم . فكان لابد من إقامة وحدة قوية في عقيدتها، شرعية في توجهها تضم إلى الخلافة العباسية أرض الكنانة مع بلاد الشام[1].

مسألة في العبيديين

يقول ابن تيمية - موضحاً رأي أهل السنة في ملوك الدولتين الأموية والعباسية - :"ما قال أهل السنة أن الواحد من هؤلاء كان هو الذي تجب توليته وطاعته في كل ما أمر به، بل كذا وقع، فيقولون تولى هؤلاء وكان لهم سلطان وقدرة : فانتظم لهم الأمر، وأقاموا مقاصد الإمامة من الجهاد وإقامة الحج والجُمَع والأعياد وأمن السبل ولكن لا طاعة في معصية الله" وعندما طعن العلماء في نسب **العُبيديين** الذين كانوا بمصر والذين تسموا (**بالفاطميين**) . وقالوا: ليس لهم أي صلة بنسب علي ابن أبي طالب، وأنهم مجوس ملحدون، فهذا الطعن له أهمية كبيرة، ويساعدنا على فهم تصرفات هذه الدولة. فهؤلاء العلماء من أمثال أبي حامد الإسفراييني وأبو الحسن القدوري والبيضاوي وابن الأكفاني وغيرهم لا يمكن أن يشهدوا هذه الشهادة تقرباً وتملقاً للخليفة العباسي ببغداد، كما يريد أن يصورهم البعض، وهؤلاء أجلّ من أن يشهدوا زوراً من أجل الخليفة .مجلة البيان، ع ٤ ، ص ٩٠ .

---

١ - بتصرف عن د. سعيد عبد الفتاح عاشور، مصر والشام في عهد الأيوبيين والمماليك ص ١٣



علـى عـادة الحـكام العبيديين، كان الحكم بيد الوزراء الذين تحت إمرتهم، وبسبـب التنافس المحموم بين الوزراء الثلاثة (شاور . ضرغام . العادل بن رزيك)، قام شاور بقتل العادل، لكنه هُزِم أمام جيش ضرغام، ففر شاور من مصر إلى الشام، لجأ شاور إلى القائد **نور الدين محمود** لمساعدته لإقصاء ضرغام، وأخذ يغري نور الدين بدخول مصر بصفتها البوابة الجنوبية للصليبيين التي ينبغي تضييق الخناق عليهم منها، استجاب نور الدين لذلك، لدحر الغزاة الصليبيـين، ووعـد (شـاور) نـور الدين بإمداده بالجيش والعتاد إذا ساعده لإعادة حكمه في مصر؛ فوجه نـور الدين قائد جيشه (أسد الدين شيركوه) وبصحبته ابن أخيه الشاب اليافع يوسف صلاح الدين الأيوبي، ابتدأت من سنة (٥٥٩هـ = ١١٦٤م) واستمرت نحو خمس سنوات وفشلت عدة مرات بسبب خيانة صاحب مصر وتعاونه مع الصليبين والفساد المتفشي، حتى تمكن الزنكويون من دخول مصر مرة ثالثة وقتل شاور الخائن وتعيين شيركوه وزيراً عليها .



مصر تحت حكم الدولة الزنكية

كان **نور الدين محمود** يرى إزالة **الدولة العبيدية** هدفاً استراتيجياً للقضاء على **الوجود الصليبي**، و**النفوذ الباطني** في بلاد الشام، ولذلك حرص على إعادة مصر لعقيدة أهل السنة والجماعة؛ فوضع الخطط اللازمة وأعد الجيوش المطلوبة وعين الأمراء ذوي الكفاءة المنشودة فتم الله له ما أراد على أيدي جنديه المخلصين (أسد الدين شيركوه) وابن أخيه الفتى اليافع والقائد الصالح يوسف صلاح الدين الأيوبي، والأخير طبق سياسة نور الدين الحكيمة الرشيدة، وحق للأمة الإسلامية وزعمائها أن تفرح بهذه البشرى الكبيرة من إزالة هذه الدولة الباطنية. فلما انتهى الخبر إلى **الملك العادل نور الدين** بالشام أرسل إلى الخليفة العباسي ببغداد يعلمه الخبر مع ابن أبي عصرون فزينت بغداد، وغلقت الأبواب وعُملت القباب وفرح المسلمون فرحاً شديداً وكانت الخطبة قد قَطعت من ديار مصر سنة تسع وخمسين وثلاثمائة في خلافة المطيع العباسّي حين تغلب العبيديون (الفاطميُّون زوراً) عليها أيام المعزّ العبيدي، بأني القاهرة إلى هذه الأوانِ، وذلك مائتا سنة وثماني سنين، وقد تفاعل الشعراء مع هذا الحدث المدوّي في أرجاء الدنيا فقد قال العماد الأصفهاني في قصيدته المشهورة :

توفي العاضد الدعي مما ** يفتح ذو بدعة بمصر فما

وعصر فرعونها انقضى وغدا ** يوسفها في الأمور محتكما

قد طفئت جمرة الغواة وقد ** داخ من الشرك كل ما اضطرما

وصار شملُ الصلاح ملتئماً ** بها وعقد السداد منتظماً

لما غدا مشعراً شعار بني ** العباس حقّا والباطل اكتتما

وبات داعي التوحيد منتظراً ** ومن دعاة الإشراك منتقماً

وظل أهل الضّلال في ظلل ** داجية من غيابه وعمى

وارتبك الجاهلون في ظلل ** لما أضاءت منابر العُلماء

وعاد بالمستضيء ممتهداً ** بناء حقٍّ قد كان مُنهَدِما

واعتلّت الدولة التي اضطهدت ** وانتصر الدين بعدما اهتُضما

واهتزَّ عطف الإسلام من جَذَلٍ ** وافترَّ ثغر الإيمان وابتسما

واستبشرت أوجه الهُدى فرحاً ** فليقرعِ الكُفر سِنَّهُ نَدما

عاد حريمُ الأعداءِ منتهك ** الحِمى وفيءُ الطغاة مقتسماً

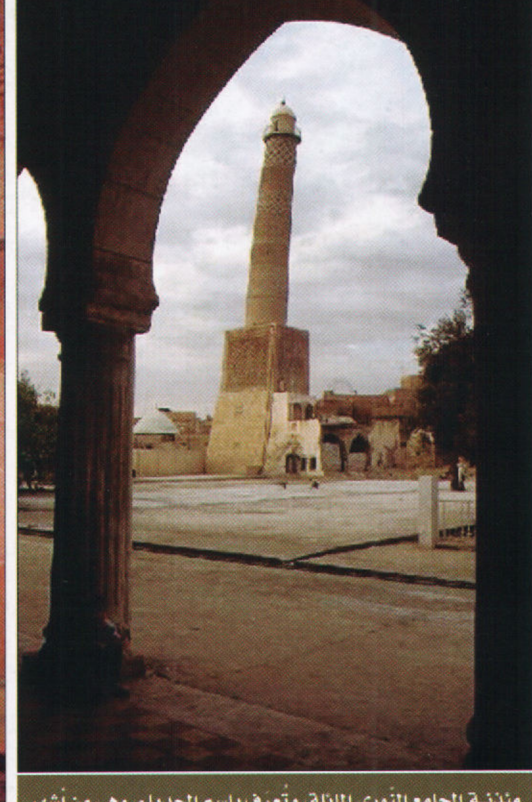
قصور أهل القصور أخربها ** عامر بيت من الكمال سَمَا

أزعج بعد السُّكون ساكنها ** ومات ذُلاًّ وأنفه رَغِمَا [1]

١ - كتاب الروضتين في أخبار الدولتين (٢/١٩٥).







مئذنة الجامع النّوري المائلة، وتُعرف باسم الحدباء، وهي من أشهر معالم مدينة الموصل، ومن أقدم المآذن في العالم الإسلامي.

منبر نور الدين: منبر تاريخي شهير يمثل روعة الفن والزخرفة الإسلامية، بناه نور الدين زنكي (رحمه الله) عام ٥٦٤ هـ-١١٦٨م، ليحمل إلى المسجد الأقصى بعد تحريره من الصليبيين، لكنه مات قبل أن يحقق ذلك، فلما حرر صلاح الدين بيت المقدس كما سنذكره في الصفحات القادمة - إن شاء الله تعالى -، أمر بإحضاره من **حلب**، وذلك بعد أكثر من عشرين عاماً من بنائه، ووضعه داخل الجامع القِبْلي؛ المصلى الرئيسي في المسجد الأقصى المبارك. والمنبر مصنوع من الخشب المطعّم بالعاج والأبنوس، تفنن النجّارون والصنّاع والمهندسون في صناعته الصناعة المتميزة، وكان لترديد النظر فيه على الأيّام ألوفاً، له بوّابة يرتفع فوقها تاجٌ عظيم ثمّ درج يرقى إلى قوس أعلاه وشرف خشبيّة. أتت النيران عليه فدمرته بالكامل يوم أحرق الجامع القِبْلي في حريق الأقصى عام ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م، ولدى إعادة ترميم الجامع بين العامين ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م - ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م استحدث منبر حديدي بسيط الصناعة، لا فن فيه ولا نضارة، مكان منبر نور الدين، وهو منبر مؤقت بقي هناك حتى تم إنشاء منبر آخر مطابق للمنبر الأصلي وبنفس المميزات والمواد في الأردن، وتم تركيبه في بداية شهر فبراير عام ٢٠٠٧م.

وفاة نور الدين محمود بن عماد الدين زنكي:

كانت وفاة نور الدين - رحمه الله تعالى - بسبب خوانيق اعتزته عجز الأطباء عن علاجها وقد توفي يوم الأربعاء الحادي عشر من شوال سنة تسع وستين وخمسة مئة" ودفن بقلعة دمشق ثم نقل إلى تربة تجاور مدرسته التي بناها لأصحاب أبي حنيفة رحمه الله جوار الخوّاصين في الشارع الغربي من دمشق (رحمه الله تعالى) .



بناء يعود إلى العهد النوري - دمشق



القائد يوسف صلاح الدين الأيوبي (٥٣٢ هـ - ٥٨٩هـ)



ذكر المؤرخون: أن أسد الدين شيركوه؛ لما مات استقرت الأمور بعده للسلطان **صلاح الدين يوسف** بن أيوب، ابن أخيه فبذل الأموال وملك قلوب الرجال وهانت عنده الدنيا فملكها وشكر نعمة الله تعالى عليه، وأعرض عن أسباب اللهو وتقمص بقميص الجد والاجتهاد، استعداداً لمواجهات مستمرة مع الصليبيين المعتدين من جهة، ومع بدع الدولة العبيدية من جهة أخرى.

ففي الربع الأخير من القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي، قامت **الدولة الأيوبية** في خضم الأحداث المضطربة وأخذت على عاتقها مهمة قيادة العالم الإسلامي ومكافحة القوى الأجنبية الغازية؛ فكان على **الصليبيين** أن يواجهوا السياسة التي رسمها الأيوبيون والقائمة على أساس الجهاد ومكافحة الصليبيين. فبعد وفاة نور الدين زنكي، استطاع صلاح الدين الأيوبي (٥٦٩ - ٥٨٩ هـ/ ١١٧٣ - ١١٩٣ م) أن يرسخ جذور دولته ويوسع حدودها لتشمل **مصر ومعظم بلاد الشام والجزيرة واليمن والموصل**. وبذلك أصبحت ممتلكات الأيوبيين تغطي مساحة شاسعة من العالم العربي آنذاك، ويرجع الفضل الأعظم في تأسيس الدولة الأيوبية بمصر واستمرارها زهاء ثمانين عاماً إلى شخصية السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب القوية وحنكته السياسية، وقدراته العسكرية العالية، وجهاده المتواصل ضد قوى الصليبيين المغتصبين لديار المسلمين، وعن طريق توحيده للجبهة الإسلامية، وجمعه لشمل المسلمين في مصر والشام والجزيرة، والحجاز واليمن، وتأليف كلمتهم، وحسم مادة الفتن بينهم تجنباً لتمزقهم فبذلك ورث صلاح الدين راية الجهاد التي رفعها شرف الدولة مودود، وعماد الدين زنكي، وورث الروح التي سادت في البلاد الإسلامية لدعم الجهاد في سبيل الله لتحرير بيت القدس ، كما ورث جزءاً كبيراً من الجيش الذي أعد للجهاد وأضاف عليه جيش مصر، و**جيش المغرب** الذي انتدبه سلطانه للمشاركة في تحرير بيت المقدس وفلسطين، هذا إلى جانب الجيوش الإسلامية الأخرى .

نسب ومولد صلاح الدين الأيوبي

هو أبو المظفر يوسف بن أيوب بن شاذي الملقب بالملك الناصر صلاح الدين. اتفق أهل التاريخ على أن أباه وأهله من (دوين) وهي بلدة في آخر أذربيجان وأنهم أكراد روادية، والروادية بطن من الهذبانية، وهي قبيلة كبيرة من الأكراد.

يقول أحمد بن خلكان: قال لي رجل فقيه عارف بما يقول وهو من أهل دوين: إن على باب دوين قرية يقال لها (أجدانقان) وجميع أهلها أكراد روادية وكان شاذي. جد صلاح الدين. قد أخذ ولديه أسد الدين شيركوه ونجم الدين أيوب وخرج بهما إلى بغداد ومن هناك نزلوا تكريت ومات شاذي بها وعلى قبره قبة داخل البلد. ولد صلاح الدين سنة ٥٣٢هـ بقلعة **تكريت** لما كان أبوه وعمه بها والظاهر أنهم ما أقاموا بها بعد ولادة صلاح الدين إلا مدة يسيرة، ولكنهم خرجوا من تكريت في بقية سنة ٥٣٢ هـ التي ولد فيها صلاح الدين أو في سنة ثلاث وثلاثين لأنهما أقاما عند عماد الدين زنكي بالموصل ثم لما حاصر دمشق وبعدها بعلبك وأخذها رتب فيها نجم الدين أيوب وذلك في أوائل سنة أربع وثلاثين.



③ كان صلاح الديـن جـاداً في لم شمل الأمة الإسلامية تحت لواء واحد؛ فبعد وفاة نـور الدين محمود، كان ابنه الملك الصالح إسماعيل لا يزال طفلاً، وغير مؤهل لقيادة دفة الحكم، الأمر الذي جعل صلاح الدين يتقدم نحو **دمشق** لضمها تحت سيطرته، وهذا ما حدث في سنة ٥٧٠ هـ، ثم أكمل صلاح الدين سيره فاستولى على **حمص وحماة**، بعد معارك ضد مناوئيه ثم تمكن من دخول **حلب** سنة ٥٧١ هـ وضمها لحكمه.



صلاح الدين الأيوبي وصاحب حصن الكرك (أرناط)



عملة صليبية تعود إلى أرناط (صاحب الكرك)

بعـد أن أصبح الجيشان الشامي والمصري تحت قيادة واحدة، رأى **صلاح الدين** تأديب **صاحـب الكرك**؛ ففي سنة ٥٧٨ هـ/ ١١٨٢ م. قـام أحد القـادة الصليبيين يدعـى رينو الشاتيـوني (Renaud de Chatillon)، صاحـب حصـن الكـرك (جنـوب شرقـي الأردن)، والمعـروف فـي المصـادر الإسلامية باسـم **أرناط**، بتجهيـز مراكب وشحنهـا بالرجـال وآلات القتال، ومضى بها نحو **عيذاب**، فقطعوا طريق التجار وشرعوا في القتل والنهب والأسر، ثم توجهـوا إلى أرض **رابغ بالحجاز** وتعذر على الناس وجـه الاحتراز فعظم البلاء... وأشـرف أهل **المدينة النبوية** منهـم علـى خطر **ويرى ابن جبير**: أنهـم كانوا عازمين على دخول مدينة الرسول - صلى الله عليه وسلم - وإخراجه مـن الضريح المقدس. فلما وصل الخبر إلى **مصـر**، أمر الملك العادل (شقيق صلاح الديـن ونائبه بمصر) الحاجب حسام الدين لؤلؤ، فعمر المراكب بالرجال البحرية ذوي التجربة من أهل النخوة للدين والحمية، مع أنجاد من **المغاربة البحريين** وسار إلى **إيلة**، فظفر بالمركب الفرنجي عندها، فخرق السفينة وأخذ جندها، ثم عدّى إلى **عيذاب** وشاهد بأهلهـا العـذاب ودل على مراكب العـدو فتبعها فوقع بها بعد أيـام فأوقع بها وواقعها وأطلـق المأسورين من التجار ورد عليهـم مـا أخذ لهم... وعاد إلى **القاهرة** ومعه الأسارى. فكتب السلطان إليه بضرب رقابهم وقطع أسبابهم، بحيث لا يبقـى منهـم عين تطرف ولا أحد يخبـر طريق ذلك البحر أو يعرف. بعداً دينياً، بمعنـى أن هدفها كان هو الهجوم على الأراضي الإسلامية المقدسة (إخراج رفات الرسول صلى الله عليه وسلم من قبره الشريف).

حرص القائد **صلاح الدين** منذ تأسيسه للدولة الأيوبية بتأمين سلامة المرور في البحر الأحمر، وتأمين الملاحة فيه للسفـن الإسلاميـة، إذ كان قيام إمارة **الكرك الصليبية** حافزاً على بـذل مزيد من الجهود لتنفيذ سياسته في البحر الأحمر سواء ما يتعلق بالتجارة الشرقية أو **بسلامة الحجاج** الذين كانوا يسلكون منذ أن سيطر الصليبيون على المناطق الجنوبية من الشام الطريق النهري عبر النيل إلى قوص ومنها في الصحراء الشرقية عبر وادي العلاقي إلى ثغر عيذاب ومـن عيـذاب بالسفن المعروفة بالجـلاب إلى **جدة** وتحول درب الحج بذلك من سينـاء إلى عيذاب، ولتأمين الملاحة في البحـر الأحمـر، وقصـره على خدمة المصالـح الإسلامية كان لزامـاً عليه التصدي لـكل محاولة للعبث فـي هذا البحر والبطـش بأي قـوة صليبية تقدم على التسلل إلى عمق هذا المعبر المائي الهام اقتصاديـاً واستراتيجياً. ولهذا حرص على تحصيـن مدخل البحر الأحمر الشمالي بالسيطرة على قلعة إيلة التـي كان الصليبيون قد اتخذوها لاعتداءاتهم المتكررة منذ أن أسسها بلدوين ملك بيت المقدس في سنة ٥١٠ هـ وحصنها وبنى قلعة أخرى منيعة في جزيرة فرعون القريبة من الساحل فأصبحت هي وقلعة إيلة تتحكمان في القوافل المارة بين مصر والشام والحجاز .



تشير المصادر التاريخية؛ إلى أن **المغاربة** شاركوا إخوانهم **بمصر** في التصدي لما عرف في التاريخ **بحملة البحر الأحمر** ويعتقد أحد الباحثين المعاصرين، أن اسم حسام الدين يدعو إلى التفكير في الأمير حسام الدين لؤلؤ، قائد أسطول صلاح الدين الذي أنزل بقوات **أرناط** صاحب إمارة الكرك الصليبية هزيمة نكراء في **موقعة الحوراء سنة ٥٧٨ هـ**. فقد عرف المغاربة بمهارتهم في قيادة السفن والملاحة في البحر منذ عصر مبكر وذاعت شهرتهم في الجهاد البحري في العصر الأيوبي، فكان البحريون منهم موضع احترام للناس وتبجيلهم، فكان يقال لهم المجاهدون في سبيل الله والغزاة في أعداء الله، وكان قد اشترك منهم عدد كبير في مهاجمة مراكب الصليبيين عند **رابغ** و **عيذاب** وقت تعرضها لعدوان أرناط، واستعان الحاجب حسام الدين لؤلؤ بجماعة من أنجادهم في مراكب عمرت من مصر والإسكندرية في مهاجمة مراكب الفرنج وحرقها وأسر من كان بها.



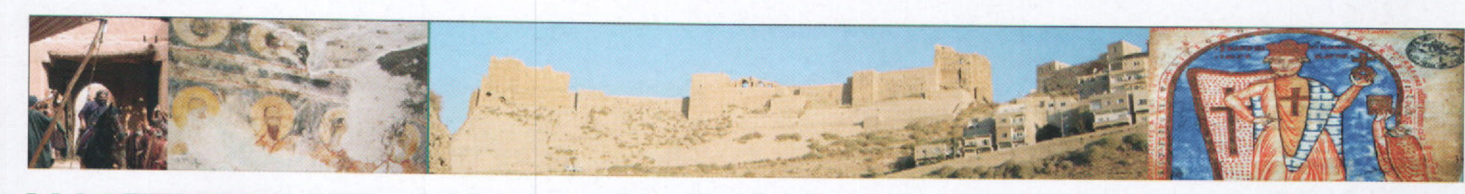
قلعة **الكرك** بالمملكة الأردنية الهاشمية والتي شيدها الصليبيون بعد احتلالهم لبيت المقدس



مؤلف ومصمم الأطلس داخل قلعة الكرك الأردنية

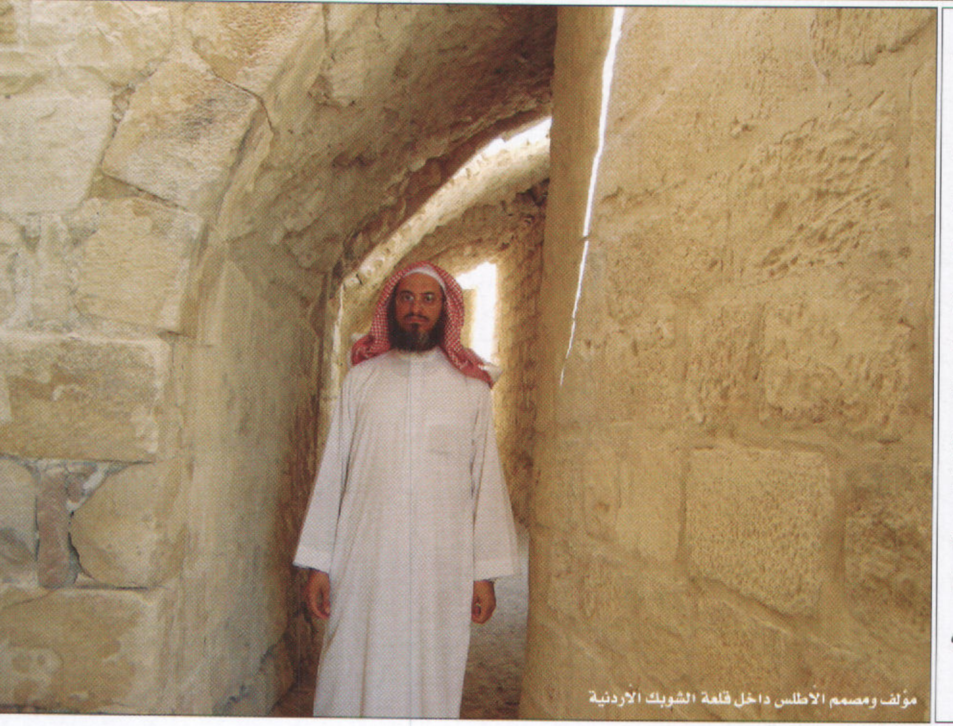
قلعة الكرك، بناها فولك أوف أنجو (١١٣١ ـ ١١٤٣م). ملك مملكة بيت المقدس الافرنجية. أمنت القلعة السيطرة على جنوبي المملكة، و مكنت الملك فولك من بسط سيطرته على حقول القمح في الكرك و طرق التجارة والقوافل. فتحها صلاح الدين الأيوبي و قتل حاكمها رينالد دوشايتون المعروف **بأرناط**. احتلها العثمانيون في عام ١٥١٦م. قال ابن بطوطة (محمد ابن عبد الله ١٣٠٣-١٣٧٧م) عن قلعة الكرك، في كتابه تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الاسفار: "ثم يرحلون الى حصن الكرك. وهو أعجب الحصون وأمنعها وأشهرها. ويسمى بحصن الغراب. والوادي يطيف به من جميع جهاته وله باب واحد قد نحت المدخل إليه في الحجر الصلد. ومدخل دهليزه كذلك. وبهذا الحصن يتحصن الملوك، واليه يلجأون في النوائب وله لجأ الملك الناصر. لأنه ولي الملك وهو صغير السن. فاستولى على التدبير مملوكه سلار النائب عنه. فأظهر الملك الناصر أنه يريد الحج. ووافقه الأمراء على ذلك. فتوجه إلى الحج. فلما وصل ألى عقبة إيلة، لجأ إلى الحصن وأقام فيه أياماً ألى أن قصده أمراء الشام. واجتمعت عليه المماليك وكان قد ولي الملك في تلك المدة بيبرس الششنكير وهو أمير الطعام وتسمى بالملك المظفر. وهو الذي بنى الخانقاه البيبرسية بمقربة من خانقاه سعيد السعداء التي بناها صلاح الدين الأيوبي. فقصده الملك الناصر بالعساكر. ففر بيبرس إلى الصحراء. فتبعه العساكر فقبض عليه، فأتى به إلى الملك الناصر فأمر بقتله، فقتل. وقبض على سلار وحبس في جب حتى مات جوعاً. ويقال أنه أكال جيفة من الجوع. نعوذ بالله من ذلك."

أ . هـ . عدسة المؤلف



قلعة الشوبك (مونتريال) بالمملكة الأردنية الهاشمية والتي قام الصليبيون بإعادة بنائها بعد احتلالهم للكرك

قلعة الشوبك : يرجع تاريخ إنشاء هذه القلعة إلى عصر الأنباط، وظلت كذلك طوال الحكم البيزنطي لمنطقة شرقي الأردن، ثم تجدد بناؤها في فترة الصراع الحربي بين الساسانيين والبيزنطيين وعندما احتل الصليبيون بيت المقدس قام بلدوين الأول بإعادة بناء **قلعة الشوبك**، وسماها مونتريال، ثم استسلمت هذه القلعة لقوات صلاح الدين الأيوبي في سنة ١١٨٩ م بعد حصار طويل دام سنين، وقد أهتم بها الأيوبيون وكذلك المماليك، وقد أقدم إبراهيم باشا في سنة ١٨٤٠ م على نسفها بالديناميت. والقلعة بمظهرها الحالي هي قلعة إسلامية في منشآتها . عدسة المؤلف



مؤلف ومصمم الأطلس داخل قلعة الشوبك الأردنية



معركة حطين (٥٨٣ هـ - ١١٨٧ م)

كانت معركة حطين المباركة على المسلمين في يوم السبت ١٤ ربيع الآخر سنة ٥٨٣هـ في وسط نهار الجمعة وكان صلاح الدين كثيراً ما يقصد لقاء العدو في يوم الجمعة عند الصلاة تبركاً بدعاء المسلمين والخطباء على المنابر فسار في ذلك الوقت بمن اجتمع له من العساكر الإسلامية، وكانت تجاوز العد والحصر على تعبئة حسنة وهيئة جميلة، وكان قد بلغه عن العدو أنه اجتمع في عدة كثيرة بمرج صفورية بعكا عندما بلغهم اجتماع الجيوش الإسلامية . فسار ونزل على **بحيرة طبرية** ثم رحل ونزل على طبرية على سطح الجبل ينتظر هجوم الصليبيين عليه؛ إذا بلغهم نزوله بالموضع المذكور فلم يتحركوا ولا خرجوا من منزلهم، وكان نزولهم يوم الأربعاء ٢١ربيع الآخر، فلما رآهم لا يتحركون نزل على طبرية وهاجمها، وأخذها في ساعة واحدة وبقيت القلعة محتمية بمن فيها ولما بلغ العدو ما جرى على طبرية قلقوا لذلك ورحلوا نحوها، فبلغ السلطان ذلك فترك على طبرية من يحاصر قلعتها، ولحق بالعسكر فالتقى بالعدو على سطح جبل طبرية الغربي منها، وذلك في يوم الخميس ٢٢ ربيع الآخر وحال الليل بين المعسكرين قياماً على مصاف إلى بكرة يوم الجمعة، فركب الجيشان وتصادما والتحم القتال واشتد الأمر وذلك بأرض قرية تعرف بلوبيا، وضاق الخناق بالعدو وهم سائرون كأنهم يساقون إلى الموت وهم ينظرون وقد أيقنوا بالويل والثبور، وأحست نفوسهم أنهم في غد يومهم ذلك من زوار القبور، ولم تزل الحرب تضطرم والفارس مع قرنه يصطدم ولم يبق إلا الظفر ووقع الوبال على من كفر فحال بينهم الليل بظلامه، وبات كل واحد من الفريقين في سلاحه إلى صبيحة يوم السبت؛ فطلب كل من الفريقين مقامه وتحقق المسلمون أن من ورائهم الأردن ومن بين أيديهم بلاد العدو وأنهم لا ينجيهم إلا الاجتهاد في الجهاد؛ فحملت جيوش المسلمين من جميع الجوانب وحمل القلب وصاحوا صيحة رجل واحد، فألقى الله الرعب في قلوب الكافرين، وكان حقاً عليه نصر المؤمنين، ولما أحس القوم بالخذلان هرب منهم في أوائل الأمر وقصد جهة صور وتبعه جماعة من المسلمين فنجا منهم، وكفى الله شره وأحاط المسلمون بالصليبيين من كل جانب، وأطلقوا عليهم السهام وحكموا فيهم السيوف وسقوهم كأس الحمام، وانهزمت طائفة منهم فتبعها أبطال المسلمين، فلم ينج منها أحد واعتصمت طائفة منهم بتل يقال له تل **حطين** وهي قرية عندها قبر النبي شعيب عليه السلام فضايقهم المسلمون وأشعلوا حولهم النيران، واشتد بهم العطش وضاق بهم الأمر حتى كانوا يستسلمون للأمر خوفاً من القتل لما مر بهم فأسر مقدموهم وقتل الباقون.

وكان ممن سلم من مقدميهم الملك جفري، وأخوه، والبرنس أرناط صاحب الكرك والشوبك، وابن الهنفري، وابن صاحبة طبرية، ومقدم الديوية، وصاحب جبيل، ومقدم الأسبتار.

قال ابن شداد: ولقد حكي لي من أثق به أنه رأى بحوران شخصاً واحداً معه نيف وثلاثون أسيراً قد ربطهم بوتد خيمة لما وقع عليهم من الخذلان.

لمحات من المعركة

لما وصل الصليبيون إلى السهل الواقع بين لوبيا وحطين شن صلاح الدين هجوماً ففروا إلى تلال حطين، فحاصرت قوات صلاح الدين التلال، وأقبل الليل وتوقف القتال، في اليوم التالي ٤ يوليو ١١٨٧ وفي قيظ شديد ونقص في مياه الشرب قامت معركة حطين، ولف الفرسان الصليبيون الذين انتظموا على مرتفع حطين سحب الدخان المتصاعد إلى أعلى، فالتحم الجيشان على بعد ميلين من حطين، فتضعضعت صفوف العدو وأهلكت سهام جيش صلاح الدين الصليبيين، ثم شن هجوماً بالسيوف والرماح، فقتل وجرح وأسر الكثير، فاستسلم الألوف منهم، وقام الصليبيون بمناورة، فتقدم قائد الفرسان ريمون الثالث أمير طرابلس بأمر من غي دي لوسينيان ملك القدس، وزحزح بهجومه هذا قوة يقودها تقي الدين عمر، فظن الصليبيون أنهم فتحوا ثغرة في صفوف صلاح الدين فاندفعوا فيها، وحصر جيش صلاح الدين جزء من الجيش الصليبي فقسمه إلى شطرين. ودامت المعركة نحو ٧ ساعات على التوالي. سقط فيها الآلاف بين جرحى وقتلى، ووقع الملك غي دي لوزينيان ملك القدس آنذاك في أسر صلاح الدين، بالإضافة إلى العديد من القادة والبارونات، ولم ينج إلا بضع مئات فروا إلى صور واحتموا وراء أسوارها.

معركة حطين

كانت قوات صلاح الدين تضم ١٢،٠٠٠ فارس، و١٣،٠٠٠ من المشاة وقوة كبيرة من المتطوعين ورجال الاحتياط، وفي الجانب الآخر حشد الصليبيون ٢٢،٠٠٠ بين فارس وراجل، والتحق بهم عدد كبير من المتطوعة حتى روي أنه زاد عددهم على ٦٠،٠٠٠ مقاتل.

عبر صلاح الدين بجيشه نهر الأردن جنوبي طبريا، وسار في اليوم التالي إلى تل كفر سبت (كفر سبيت) في الجانب الجنوبي الغربي من طبريا، وحاول الاشتباك مع الصليبيين، فرفضوا القتال، وفي ٢ يوليو استولى جيش صلاح الدين على طبرية قاطعاً على عدوه طريقه إلى الماء.

مخطط تقريبي للقاء الفريقين



سهل حطين والذي دارت على ثراه معركة حطين الحاسمة بين المسلمين والصليبيين

مدينة طبرية بفلسطين المحتلة

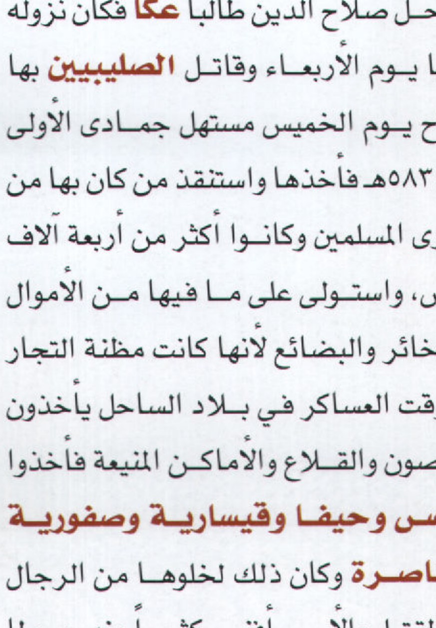
فتح صلاح الدين قلعة طبرية في ٢/٧/١١٨٧م



مرتسم اوروبي قديم لمعركة حطين



تحرير عكّا وبعض المدن المحتلة





مرتسم لصلاح الدين الأيوبي في الأدب الأوروبي القديم

رحل صلاح الدين طالباً **عكّا** فكان نزوله عليها يوم الأربعاء وقاتل **الصليبيين** بها صباح يوم الخميس مستهل جمادى الأولى سنة ٥٨٣هـ فأخذها واستنقذ من كان بها من أسارى المسلمين وكانوا أكثر من أربعة آلاف نفس، واستولى على ما فيها من الأموال والذخائر والبضائع لأنها كانت مظنة التجار وتفرقت العساكر في بلاد الساحل يأخذون الحصون والقلاع والأماكن المنيعة فأخذوا **نابلس وحيفا وقيسارية وصفورية والناصرة** وكان ذلك لخلوها من الرجال لأن القتل والأسر أفنى كثيراً منهم، ولما استقرت قواعد عكّا وقسم أموالها وأسراها، سار يطلب **تبنين** فنزل عليها يوم الأحد ١١ جمادى الأولى، وهي قلعة منيعة فنصب عليها المناجيق وضيق بالزحف خناق من فيها، فقاتلوا قتالاً شديداً ونصره الله سبحانه عليهم، فتسلمها منهم يوم الأحد ١٨ عنوة، وأسر من بقي فيها بعد القتل، ثم رحل عنها إلى **صيدا** فنزل عليها وتسلمها في غد يوم نزوله عليها وهو يوم الأربعاء العشرون من جمادى الأولى وأقام عليها ريثما قرر قواعدها وسار حتى أتى **بيروت** فنازلها ليلة الخميس ٢٢ من جمادى الأولى وركب عليها المجانيق وداوم الزحف والقتال حتى أخذها في يوم الخميس ٢٩ من الشهر المذكور وتسلم أصحابه **جبيل** وهو على **بيروت**، ولما فرغ من هذا الجانب رأى أن قصده **عسقلان** أولى؛ لأنها أيسر من **صور** فأتى عسقلان ونزل عليها يوم الأحد ١٦ من جمادى الآخرة من السنة نفسها، وتسلم في طريقه إليها مواضع كثيرة **كالرملة والداروم** وأقام في عسقلان المناجيق وقاتلها قتالاً شديداً وتسلمها في يوم السبت نهاية جمادى الآخرة من السنة ٥٨٣ هـ، وأقام عليها إلى أن تسلم أصحابه **غزة وبيت جبريل والنطرون** بغير قتال وكان بين فتح عسقلان وأخذ الإفرنج لها من المسلمين خمس وثلاثون سنة فإنهم كانوا أخذوها من المسلمين في السابع والعشرين من جمادى الآخرة سنة ٥٤٨هـ.

من آثار نصر حطّين

لم تكن هزيمة الصليبيين في حطين هزيمة عابرة، وإنما كانت فاجعة حلت بهم؛ وغدت فلسطين عقب حطين في متناول قبضة صلاح الدين، فشرع يفتح البلاد والمدن والثغور الصليبية واحدة بعد الأخرى، حتى توج جهوده بتحرير بيت المقدس في (٢٧ من رجب ٥٨٣هـ = ١٢ من أكتوبر ١١٨٧ م) كما سيأتي توضيحه - إن شاء الله تعالى -.

لقد هزم صلاح الدين الصليبيين في حطين وقتل منهم ثلاثين ألفاً وأسر مثلهم، وأسر سائر أمرائهم وفرسانهم، وفي مقدمتهم ملك بيت المقدس والذي سقاه صلاح الدين قدحاً من الماء وأحسن رعايته، بينما توعد أرناط أمير الكَرَك، والذي قتله صلاح الدين بيده وفاءً لنذر نذره، لأنه كان يؤذي الحُجاج المسلمين، وينقض المعاهدات، ويهدد بالسير إلى قبر الرسول صلى الله عليه وسلم ليعتدي عليه، ووصلت طلائع جيش أرناط إلى عيذاب ورابغ على البحر الأحمر كما ذكرنا ذلك في الصفحات السابقة من هذا الأطلس.

★ ★ ★



فتوحات صلاح الدين بعد حطّين
الشمال
رأس شكا
جبيل
حماه
حمص
بعلبك
بيروت
الدولة الأيوبية
إمدادات صليبية
منطقة تجمع الفلول الصليبية المنهزمة
صيدا
صرفة
دمشق
صور
البحر الكبير (البحر الأبيض المتوسط)
مناطق دخلت تحت سيطرة صلاح الدين بعد معركة حطين مباشرة
تبنين
عكّا
حيفا
حطين
طبرية
صفورية
جبل الكرمل
الناصرة
قيسارية
بيسان
الدولة الأيوبية
نابلس
يافا
عمّان
بيت المقدس
بيت لحم
أشدود
مناطق دخلت تحت سيطرة صلاح الدين بعد معركة حطين مباشرة
عسقلان
غزة
الخليل
لما دخل صلاح الدين بيت المقدس، حافظ على ما بها من آثار، وعمّر ما تخرب منها في أثناء الحصار، ثم أرسل أخاه العادل لفتح حصن الكرك ففتحه سنة ٥٨٤ هـ، وتوجه هو على رأس بقية الجيش إلى مدينة صور وحاصرها وكانت قد تجمعت بها فلول النازحين من البلاد المفتوحة واحتموا بها فاستعصت عليه لأن الإمدادات كانت تأتيها عن طريق البحر ففك عنها الحصار .
رفح
بئر السبع
الكرك
مناطق دخلت قبل وبعد معركة حطين تحت سيطرة صلاح الدين الأيوبي
الدولة الأيوبية
الشوبك
مناطق لاتزال تحت الاحتلال الصليبي
الدولة الأيوبية
٦٠ كم ٤٥ ٣٠ ١٥



فتح بيت المقدس ٢٧ رجب سنة ٥٨٣ هـ

قال المقريزي: وسار السلطان "وقد اجتمعت إليه العساكر" يريد **فتح بيت المقدس**، فنازله يوم الأحد خامس عشر رجب، وبه حشود الفرنج وجميعهم، فنصب المجانيق، **واقتتل الفريقان أشد قتال**، استشهد فيه جماعة من المسلمين، وأيد الله بنصره المسلمين، حتى تمكنوا من **السور ونقبوه**، وأشرفوا على أخذ البلد فسأل الفرنج حينئذ الأمان، فأعطوه بعد امتناع كثير من السلطان، على أن يعطى كل رجل من الفرنج عن نفسه عشرة دنانير مصرية، سواء كان غنياً أو فقيراً، وعن المرأة خمسة دنانير، وعن كل طفل من الذكور والإناث دينارين. ثم صولح عن الفقراء بثلاثين ألف دينار **وتسلم المسلمون القدس يوم الجمعة سابع عشر رجب**، وأخرج من فيه من الفرنج، وكانوا نحو الستين ألفاً، بعدما أسر منهم نحو ستة عشر ألفاً، مابين رجل وأمرأة وصبي، وهم من لايقدر على شراء نفسه. وقبض السلطان من مال المفاداة ثلاثمائة ألف دينار مصرية، سوى ما أخذه الأمراء، وما حصلت فيه الخيانة. والتحق من كان بالقدس من الفرنج **بصور**، وتسامع المسلمون بفتح بيت المقدس، فأتوه رجالاً وركاباً من كل جهة لزيارته، حتى كان من الجمع مالا ينحصر، **فأقيمت فيه الجمعة** يوم الرابع من شعبان، و**خطب القاضي** محيي الدين بن الزاكي بالسواد خطبة بليغة، دعا فيها للخليفة الناصر والسلطان صلاح الدين، وانتصب بعد الصلاة زين الدين بن نجا ،فوعظ الناس.

وأمر السلطان بترميم المحراب العمري القديم ، وحمل منبر مليح من حلب ، ونصب بالمسجد الأقصى، وأزيل ما هناك من آثار النصرانية، و**غسلت الصخرة** بعدة أحمال ماء ورد، وبخرت وفرشت، ورتب في المسجد من يقوم بوظائفه، وجعلت به مدرسة للفقهاء الشافعية، وغلقت كنيسة القيامة، ثم فتحت ، وقرر على من يرد إليها من الفرنج قطيعة يؤديها. وخرجت البشائر إلى الخليفة بالفتح، وإلى سائر الأطراف. ورحل السلطان عن القدس لخمس بقين من شعبان يريد عكا، وسار العزيز عثمان إلى مصر فكان آخر العهد به . وسار العادل مع السلطان ، فنزلا على عكا أول شهر رمضان ، ثم رحل السلطان منها، ونزل على صور في تاسعه، وكانت حصينة، وقد استعد الفرنج فيها، فتلاحقت العساكر بالسلطان، ونصب على صور عدة من المجانيق وحاصرها، واستدعى السلطان الأسطول من مصر، فقدم عليه عشر شواني، وصار القتال في البر والبحر فأخذ الفرنج خمس شواني ووردت مكاتبة الخليفة على السلطان، وفيها غلظة وإنكار أمور، فأجاب بالإعتذار، ورحل عن صور في آخر شوال. وعادت العساكر إلى بلادها، **وأقام السلطان بعكّا**، وسار العادل إلى مصر، فطرق الفرنج قلعة كوكب، وقتلوا بها جماعة من المسلمين، ونهبوا ما كان بها، وأتته على عكّا رسل الملوك بالتهنئة من الروم والعراق وخراسان بفتح بيت المقدس. السلوك لمعرفة دول الملوك - (ج ١ / ص ١٩)

كان أول ما قال محيي الدين بن الزاكي في مستهل خطبته بعد فتح بيت المقدس: (فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين) . ثم أورد تحميدات القرآن كلها، ثم قال: " الحمد لله معز الإسلام بنصره، ومذل الشرك بقهره، ومصرف الأمور بأمره، ومزيد النعم بشكره، ومستدرج الكافرين بمكره، الذي قدر الأيام دولاً بعدله، وجعل العاقبة للمتقين بفضله، وأفاض على العباد من طله وهطله، وأظهر دينه على الدين كله، القاهر فوق عباده فلا يمانع، والظاهر على خليقته فلا ينازع، والآمر بما يشاء فلا يراجع، والحاكم بما يريد فلا يدافع، أحمده على إظفاره وإظهاره، وإعزازه لاوليائه ونصرة أنصاره، ومطهر بيت المقدس من أدناس الشرك وأوضاره، حمد من استشعر الحمد باطن سره وظاهر أجهاره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الأحد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد، شهادة من طهر بالتوحيد قلبه، وأرضى به ربه، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله رافع الشكر وداحض الشرك، ورافض الأفك، الذي أسري به من المسجد الحرام إلى هذا المسجد الأقصى، وعرج به منه إلى السموات العلى، إلى سدرة المنتهى عندها جنة المأوى، ما زاغ البصر وما طغى، صلى الله عليه وسلم، وعلى خليفته الصديق السابق إلى الإيمان، وعلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب أول من رفع عن هذا البيت شعار الصلبان، وعلى أمير المؤمنين عثمان بن عفان ذي النورين جامع القرآن، وعلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب مزلزل الشرك، ومكسر الأصنام، وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان " . ثم ذكر الموعظة وهي مشتملة على تغبيط الحاضرين بما يسره الله على أيديهم من فتح بيت المقدس. ابن كثير: البداية والنهاية - (ج ١٢ / ص ٣٩٧) .



فتح بيت المقدس ٢٧ رجب سنة ٥٨٣ هـ



صورة بانورامية للمسجد الأقصى ومسجد قبة الصخرة داخل السور القديم بمدينة القدس الشريفة (فك الله أسرها) .

دخل صلاح الدين الأيوبي المسجد الأقصى ليلة ٢٧ رجب سنة ٥٨٣ هـ، وأدرك عدم إمكانية الصلاة فى المسجد بسبب الحالة التي كان عليها المكان الطاهر؛ حيث قام الصليبيون بتحويله إلى حظيرة خنازير، ولذا لم تعقد بالمسجد الأقصى صلاة أول جمعة بعد فتح بيت المقدس مباشرة، وأنما جاءت خطبة الجمعة الأولى بعد ذلك بأولى القبلتين في يوم ٤ شعبان سنة ٥٨٣ هـ، وقد ألقى الخطبة في ذلك اليوم محيى الدين بن الزاكي وهو أحد الأئمة الكبار، وأقدم **صلاح الدين** على إظهار ما كان يتمتع به من وفاء عندما أمر بإحضار المنبر من دمشق الذي كان **نور الدين محمود** قد أمر بصنعه وذلك حتى يصعد عليه الخطيب عند إلقائه لأول خطبة جمعة بالمسجد الأقصى بعد تحريره - تقدم الحديث عنه - وهذا من خلق الوفاء الذي امتاز به صلاح الدين . لذلك مكّن الله على يدي هذا المسلم الكردي إعادة فتح بيت المقدس .



صخرة المعراج بمسجد قبة الصخرة



المسجد الأقصى من جهة أخرى

الأستاذان : محمد المحمود، وعبدالله بوشاجع، من مدينة الأحساء بالمملكة العربية السعودية في زيارة لمسجد الصخرة بفلسطين الحبيبة في ٢٩ / ٧ / ١٣٨٧ هـ ، أي قبل سقوط القدس الشريف في أيدي الصهاينة المحتلين . هذه الصورة من أرشيف المربي الفاضل أ . عبد الرحمن بن سعد المخايطة .



صورة تاريخية لقبة الصخرة قبل سقوط القدس في أيدي الصهاينة



حصار عكّا
الشمال
البحر الكبير (البحر الأبيض المتوسط)
٨ رجب سنة ٥٨٥ هـ
بعد اجتماع الفلول المنهزمة من الصليبيين بمدينة صور حتى أغراها اجتماعها وكثرتها على نقض العهد الذي أعطته لصلاح الدين، لهذا توجه الصليبيون إلى مدينة عكّا وناصبوها الحصار، اعتماداً على قوتهم المجتمعة، وعلى الإمدادات التي ترد إليهم من أوروبا .
صلاح الدين: يبعث بالنفير إلى أطراف مملكته، والصليبيون تتوارد عليهم الإمدادات من أوروبا، التي ضجت لنبأ استيلاء صلاح الدين على بيت المقدس.
إمدادات صليبية من أوروبا
كان السلطان صلاح الدين الأيوبي، قد عانى الأهوال في حصار عكّا الذي استمر أكثر من سنتين، ومع ذلك صابر الكفار كل هذه المدة قال عنه القاضي الفاضل: « وأما صبره في الجهاد، فقد رأيته بمرج عكّا وهو على غاية من مرض اعتراه بسبب كثرة دمامل كانت ظهرت عليه من وسطه إلى ركبتيه بحيث لا يستطيع الجلوس، ومع ذلك كله يركب من بكرة النهار إلى صلاة الظهر يطوف على الأطلاب، ومن العصر إلى المغرب، وهو صابر على شدة الألم، وكان يقول: إذا ركبتُ يزول عنّي ألمها حتى أنزل » .
الدولة الأيوبية
الدولة الأيوبية
الدولة الأيوبية
الدولة الأيوبية
رأس شكا
جبيل
حماه
حمص
بيروت
بعلبك
دمشق
صيدا
صرفة
صور
عكا
حيفا
حطين
طبرية
صفورية
الناصرة
جبل الكرمل
قيسارية
بيسان
نابلس
يافا
عمّان
بيت المقدس
بيت لحم
أشدود
عسقلان
غزة
الخليل
رفح
بئر السبع
الكرك
الشوبك
نهر الأردن (الشريعة)
نهر يبوق (الزرقاء)
نهر أرنون
بحيرة لوط (البحر الميت)
وادي العريش
مناطق لاتزال تحت الاحتلال الصليبي
مناطق خضعت مؤخراً للسلطان صلاح الدين الأيوبي
٠ ١٥ ٣٠ ٤٥ ٦٠ كم



لقطتان لمدينة عكا على ساحل البحر الأبيض المتوسط



أهم مصادر ومراجع الباب الرابع

١ - القرآن الكريم .

٢ - د. السيد الباز العريني، الحروب الصليبية، أرنست باركر، نقله إلى العربية دار النهضة العربية، بيروت.

٣ - أ . سعيد أحمد برجاوي، (رئيس فخري لدى محكمة التمييز في لبنان) الحروب الصليبية في المشرق .

٤ - د . علي عبد الحليم محمود، الغزو الصليبي والعالم الإسلامي، دار عكاظ للطباعة والنشر .

٥ - د. علي محمد محمد الصَّلاَّبي، عصر الدولة الزنكية ونجاح المشروع الإسلامي؛ بقيادة نور الدين محمود الشهيد في مقاومة التغلغل الباطني والغزو الصليبي، النسخة الرقمية .

٦ - ابن كثير، الحافظ عماد الدين ابن أبي الفداء إسماعيل ابن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، البداية والنهاية ، طبعات متعددة .

٧ - مجلة التاريخ العربي ، أعداد مختلفة .

٨ - مجلة البيان الإسلامية ، أعداد مختلفة.

٩ - د . مفيد الزيدي، موسوعة تاريخ الحروب الصليبية،دار أسمة للنشر والتوزيع، الأردن، عمّان، ط . الأولى ٢٠٠٤ م.

١٠ - الشيخ / محمود شاكر، التاريخ الإسلامي ، الدولة العباسية، المكتب الإسلامي .

١١ -أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، سير أعلام النبلاء، نشر وتوزيع مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان.، العبر في خبر من غبر ، تحقيق صلاح الدين المنجد.

١٢ - د. سعيد عاشور، مصر والشام في العهدين الأيوبي والمملوكي .

١٣ - د. نعمان محمود جبران د. محمد حسن العمادي، دراسات في تاريخ الأيوبيين والمماليك، مؤسسة حماده للخدمات والدراسات الجامعية، الأردن، الطبعة الأولى ٢٠٠٠م.

١٤ - أ. أحمد تمام إسلام أون لاين على الشبكة العنكبوتية .

١٥ -شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي الدمشقي المعروف بأبي شامة، كتاب الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، مؤسسة الرسالة الطبعة الأولى ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

١٦ - أحمد بن علي المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك .

١٧ - موسوعة ويكيبديا على الشبكة العنكبوتية .

١٨ - سامي بن عبد الله المغلوث، الحملات الصليبية على المشرق الإسلامي في العصور الوسطى . دار الوراق، طبع ونشر ١٤١٩ هـ .

١٩ - شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت الحموي، معجم البلدان، بيروت دار إحياء التراث العربي، ١٩٧٩م.

٢٠ - ابن الأثير، عز الدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد ابن عبد الكريم عبد الواحد الشيباني، الكامل في التاريخ، دار المعرفة، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م.

٢١ - د . طارق السويدان، فلسطين التاريخ المصور، نشر وتوزيع الإبداع الفكري - الكويت.

٢٢ - محمد بن عبد الله الطنجي (ابن بطوطة)، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، المكتبة العصرية، صيدا - لبنان .

٢٣ - ابن تغري بردى، جمال الدين أبي المحاسن الأتابكي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة .

٢٤ - د . فهمي توفيق مقبل، الفاطميون والصليبيون، الدار الجامعية، بيروت، لبنان .

٢٥ - انتوني بردج، تاريخ الحروب الصليبية، نقلها إلى العربية ، أ . أحمد غسان سبانو ، و أ . نبيل الجيرودي .

٢٦ - فولفغانغ مولّر - فينر ، القلاع (أيام الحروب الصليبية)، ترجمة محمد وليد الجلاد، مراجعة سعيد طيّان .

٢٧ - الموسوعة العربية العالمية، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع.

٢٨ - القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، نسخة رقمية .

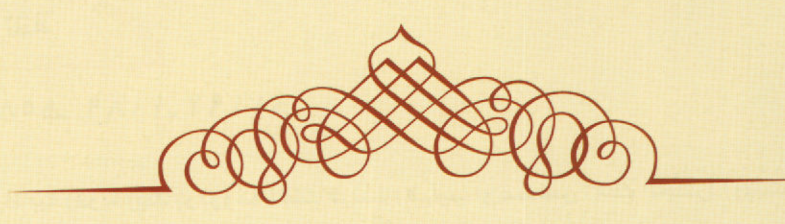
٢٩ - د. محمد بن حامد الأحمري، أطراف الجزائر .

٣٠ - أبو الحسن؛ محمد بن أحمد بن جبير، رحلة ابن جبير .

٣١ - ابن القلانسي، تاريخ أبي يعلى، النسخة الرقمية.



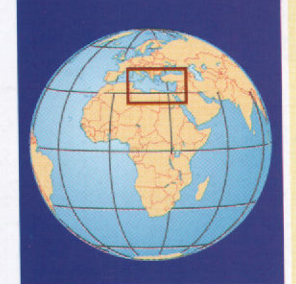
الباب الخامس





الحملة الصليبية الثالثة

- سقوط عكّا بايدي الصليبيين
- معركة أرسوف وسقوط اللد وصلح الرملة
- وفاة القائد الرباني (صلاح الدين الأيوبي)





الحملة الصليبية الثالثة

سـنة ٥٨٥هـ-٥٨٨هـ ١١٨٩-١١٩٢م.

قادة الحملة : إمبراطور ألمانيا (فريدريك بربروسا) ملك فرنسا (فيليب أو غسطس) ملك إنجلترا (ريتشاد قلب الأسد) .

سـبب الحملة :



ريتشارد قلب الأسد ملك إنجلترا

بينما كان الصليبيون يحاصرون مدينة **عكّا** كانت ممالك أوروبا تستعد لحرب صليبية ثالثة؛ إثر الانتصارات الباهرة التي سجلها **صلاح الدين الأيوبي** ضد الإمارات الصليبية، واسترجاعه **لبيت المقدس**، وكان على رأس هذه الحملة أعظم ملوك أوروبا آنذاك، حيث سار الإمبراطور الألماني بـ ١٠٠،٠٠٠ مقاتل، مخترقاً بلاد المجر على نفس مسار الحملة الصليبية الأولى، وحينما وصلوا إلى مملكة أرمينية الصغرى ساعدهم الأرمن، وزودوهم بالمؤن والعتاد؛ إلا أن فريدريك غرق بنهر سالف، مما أدى إلى تشتت الجيش واضطرابه، ورجع غالبه إلى ألمانيا، أما البقية الباقية؛ فقد ركبت السفن إلى عكّا وصور وقسم سار براً.

أما الحملتان الفرنسية والإنجليزية؛ فقد التقى الفريقان في صقليه وأقاموا فيها مدة طويلة بينما الصليبيون في **عكّا** ينتظرونهم بفارغ الصبر.

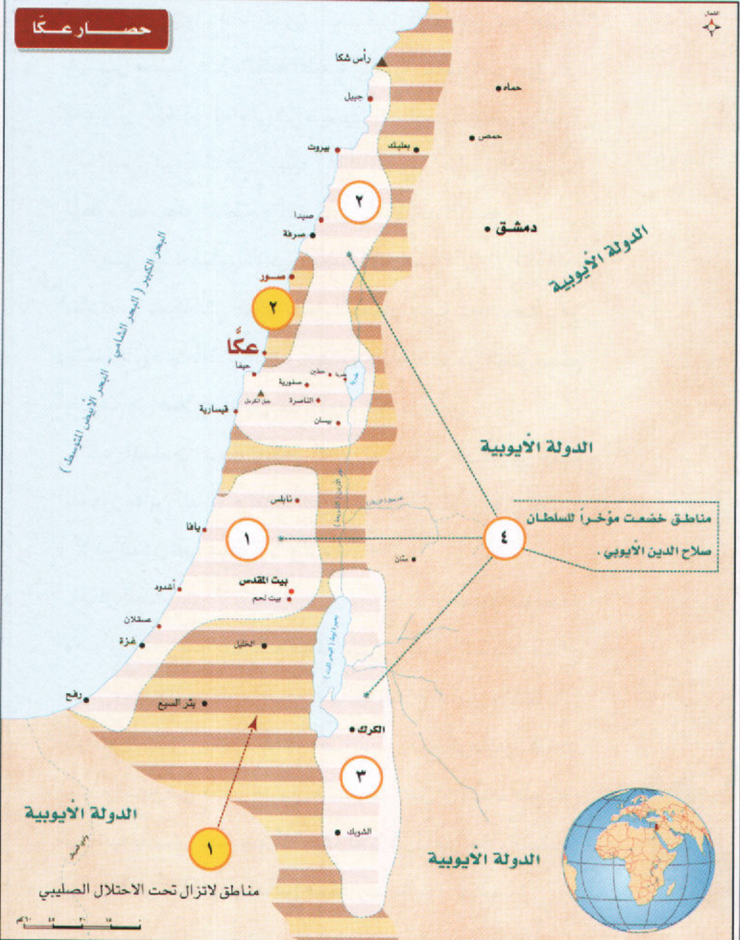


ملك فرنسا (فيليب أو غسطس)

وإذا لم يكن الملكان على غير وفاق، فقد بارح الفرنسيون صقلية أولاً، ثم بعدهم بعشرة أيام تحرك الأسطول الإنجليزي، والذي ألقت العاصفة به على جزيرة قبرص، التابعة للإمبراطورية البيزنطية، فنشبت حرب بين الفريقين، انتهت باستيلاء الإنجليز على قبرص، ثم أبحر إلى عكّا بعد أن استنجد به ملك بيت المقدس الذي أطلق سراحه صلاح الدين، فازداد الصليبيون قوة بمجيء ريتشارد قلب الأسد ملك إنجلترا، رغم الجهود العظيمة التي بذلها صلاح الدين وجيشه لإنقاذ عكّا؛ لكن الصليبيين تمكنوا من دخول المدينة ورفع رايتهم الصليبية على أسوار المدينة، معلنة احتلالها واستسلامها؛ ففوجئ المسلمون وارتاعوا. واستبشر الصليبيون بذلك استبشاراً كبيراً .



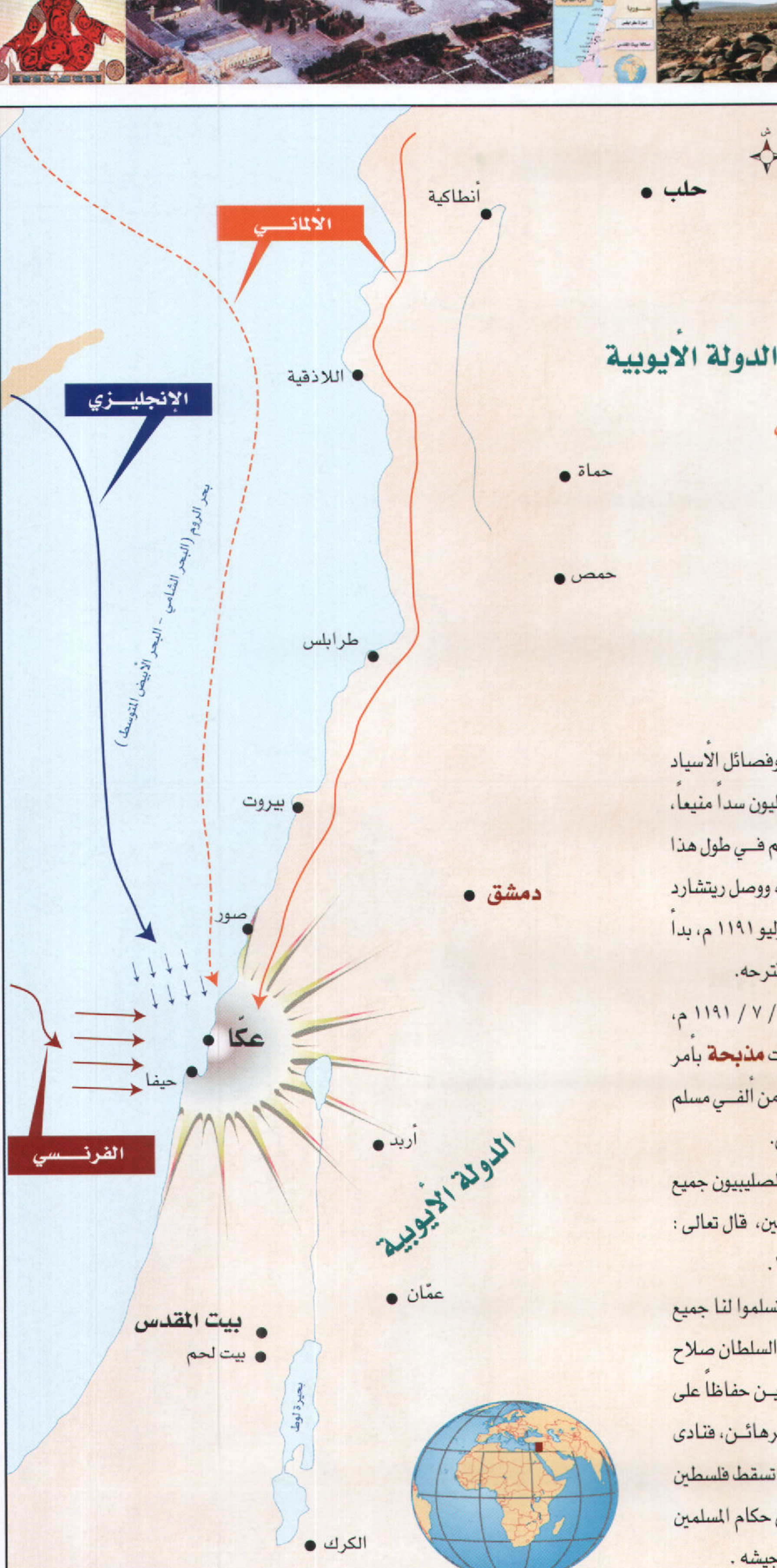






إمبراطور ألمانيا (فريدريك بربروسا)

سقوط عكّا بأيدي الصليبيين



قام **الصليبيون** بحصار **عكّا**، فشكل الفرنسيون وفصائل الأسياد المحليين والألمان والدينماركيون والفلمنكيون الإيطاليون سداً منيعاً، واستمر حصار هذه القلعة المنيعة أشهراً، ساهم في طول هذا الحصار الخلاف الداخلي في صفوف الصليبيين، ووصل ريتشارد الإنجليزي إلى عكّا في ٧ يونيو ١١٩١، وفي ١١ يوليو ١١٩١ م، بدأ الهجوم العام على المدينة، والذي كان ريتشارد قد اقترحه.

وفي ١٨ جمادى الآخرة سنة ٥٨٧ هـ ـ ١٢ / ٧ / ١١٩١ م، استسلمت **عكّا** التي أنهكها طول الحصار، وجرت **مذبحة** بأمر ريتشارد وتحت قيادته، قتل فيها رجاله، أكثر من ألفي مسلم أخذوهم من **صلاح الدين** بعد سقوط **عكّا** كرهائن.

لكن المسلمين تفاجأوا بنقض العهد، حين أسر الصليبيون جميع المسلمين، فأين المواثيق والعهود التي أبرمت مع المسلمين، قال تعالى: (**لا يرقبون في مؤمن إلاً ولا ذمة**) التوبة: ١٠.

وقال الصليبيون: لا نسمح لأحد أن يخرج؛ إلا أن تسلموا لنا جميع الأموال، وتخرجوا بأنفسكم فقط، على أن يقوم السلطان صلاح الدين بدفع مائتي ألف دينار؛ فسلمها صلاح الدين حفاظاً على المسلمين. لكن ريتشارد كما أسلفنا غدر وذبح الرهائن، فنادى صلاح الدين في حكام المسلمين بالمساعدة قبل أن تسقط فلسطين مرة ثانية بأيدي الصليبيين؟!، ولكنه لم يتلق رداً من حكام المسلمين آنذاك إلا من **حاكم تركماني مسلم** وعد بإرسال جيشه.



عكّا ("عاكو" باللاتينية "acre") مدينة عربية فلسطينية داخل الخط الأخضر تديرها السلطات اليهودية المغتصبة، تقع على ساحل البحر المتوسط غربي منطقة الجليل، وهي من أقدم مدن فلسطين التاريخية. تقع المدينة على بعد ١٧٣ كيلومتراً تقريباً شمال غربي القدس.

في عكّا يوجد مركز ومعبد لأبناء الديانة البهائية الذي يعتبر من أهم المعابد البهائية إلى جانب المعبد الموجود في مدينة حيفا.

تعتبر عكّا مفتاح فلسطين لمكانها الاستراتيجي، فهي بدأت كميناء كنعاني، وعرفت عكّا بصناعة الزجاج والأصبغة الأرجوانية الملوكية، إحتلها وحكمها سلسلة طويلة من الغزاة كالصليبيين، واشتهرت بصدها نابليون بونابرت حينما هاجم أسوارها إبان الحملة الفرنسية. وتظهر في أبنية عكّا فنون معمارية متعددة كالعمارة العبيدية والصليبية والعثمانية، كما تتميز بعمارة جامع الجزار الذي شيد من أعمدة رخامية قديمة، أما المدينة القديمة فقد قام الصليبيون بيناءها.

جزء من سور عكّا الشهير





سور عكا من جانب آخر

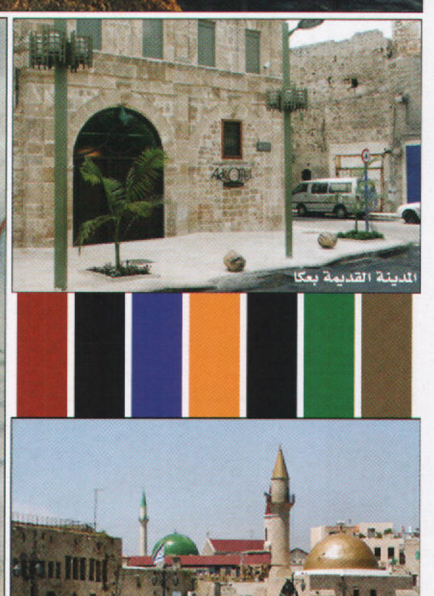
الكنيسة المعمدانية بعكا



بقايا السور الأثري في عكا ويرى في آخر الصورة مدينة حيفا الفلسطينية



ريتشارد قلب الأسد الإنجليزي يتقدم بجحافله الصليبية نحو حيفا



المدينة القديمة بعكا

السوق البحري بعكا



دخول حيفا تحت حكم الصليبيين

حيفا: مدينة فلسطينية تقع على جبل الكرمل وشواطئه، وهي من أقدم مدن فلسطين التاريخية. ومن أهم موانئ شرق البحر الأبيض المتوسط . خضعت للاحتلال اليهودي في القرن الماضي.

سيطر عليها **الصليبيون** في العصور الوسطى ، حينما أمر **ريتشارد قلب الأسد**، الزحف نحوها بعد سقوط عكّا، حيث دخلها الصليبيون بكل يسر وسهولة لعدم وجود تحصينات دفاعية كعكّا، توجهت جحافل الصليبيين لاحتلال بعض المدن الفلسطينية كما سيتضح لنا في الصفحات القادمة إن شاء الله تعالى .

حلب
أنطاكية
الدولة الأيوبية
اللاذقية
حماة
حمص
طرابلس
بحر الروم (البحر الشامي - البحر الأبيض المتوسط)
بيروت
دمشق
صور
عكّا
حيفا
أربد
الدولة الأيوبية
عمّان
بيت المقدس
بيت لحم
بحيرة لوط
الكرك
٠ ٢٥ ٥٠ ٧٥ ١٠٠ كم

يعتقد

النصارى أن اسم (حيفا) مشتق من «كايافاس» (Caiaphas) الأسقف الأعلى لأورشليم في وقت المسيح عليه السلام، أو من الاسم الآرامي لقديس النصارى بطرس(أو كيفا). بالإضافة إلى ذينك، الاسمين سايكامينون (Sycaminon) أو سايكامينوس (Sykaminos) ومعناه "الفراولة البرية" يستخدمان أيضاً. البعض يقول أن كلمة حيفا عربية أصلها من «حف» بمعنى شاطئ، أو الحيفة بمعنى الناحية.



مدينة حيفا من الفضاء الخارجي

البحر الأبيض المتوسط (بحر الروم، البحر الشامي)

٠٫٥ ١ كم

حَيْفَاءُ: كأنه تأنيث؛ ... و حيفا، غير ممدود: حصن على ساحل بحر الشام قرب يافا، ولم يزل في أيدي المسلمين إلى أن تغلَّب عليه كندفري الذي ملك بيت المقدس في سنة ٤٩٤، وبقي في أيديهم إلى أن فتحه صلاح الدين يوسف بن أيوب في سنة ٥٧٣ وخرَّبه؛ وفي تاريخ دمشق: إبراهيم بن محمد بن عبد الرزَّاق أبو طاهر الحافظ الحيفيّ من أهل قصر حَيْفة، سمع بأطرابلس أبا يوسف عبد السلام بن محمد بن يوسف القزويني وأبا الوفاء سعد بن علي بن محمد بن أحمد النَّسوي، وحدث بصور سنة ٤٨٦، سمع منه غَيْث بن علي وأبو الفضل أحمد بن الحسين ابن نَبْت الكاملي؛ هكذا في كتابه قصر حيفة، بالهاء، وأنا أحسبه المذكور قبله. الحموي، معجم البلدان، ج ٣، ص ٣٣٢ .



حيفا



معركة أرسوف وسقوط اللد والرملة



مرتسم لريتشارد قلب الأسد في الأدب الأوروبي القديم

أصبحت عكّا بعد أن استردها الصليبيون أهم مركز لدولة الفرنجة في الشرق وحلت محل بيت المقدس في الزعامة على المدن الصليبية الأخرى. وانضم إليها حيفا وقيسارية، وكان من المحتمل أن يكسب الصليبيون انتصارات أخرى مهمة على المسلمين ولكن سرعان ما دب دبيب الشقاق بينهم ورجع ملك فرنسا إلى بلاده وبقي (ريتشارد) الذي استولى على مدينتي أرسوف بعد معركة حامية الوطيس آل فيها النصر إلى ريتشارد، ثم مدينة يافا وعزم على استرداد بيت المقدس فوجه صلاح الدين همته إلى تحصين المدينة، والدفاع عنها، ورأى أنه من الخير الاحتفاظ بالمدن الداخلية ريثما تتاح له فرصة تكوين أسطول بحري كبير يحمي به المدن الساحلية. وأخيراً وتحت تأثير الرغبة الملحة في العودة إلى بلاده اضطر ريتشارد إلى التنازل عن بعض شروطه، فتم عقد صلح الرملة في ٢ سبتمبر سنة ١١٩٢م، الموافق لسنة ٥٨٨ هـ، وهو الصلح الذي نص على أن يكون للصليبيين المنطقة الساحلية من صور إلى يافا، بما فيها قيسارية وحيفا وأرسوف؛ أما عسقلان فتكون للمسلمين في حين تكون الرملة واللد مناصفة بين المسلمين والصليبيين. وفرض صلاح الدين دخول بلاد الإسماعيلية (الباطنية)، واشترط الصليبيون دخول صاحب إنطاكية وطرابلس في الصلح، "ورضي الاسبتارية والداوية، وسائر مقدمي الإفرنجة بذلك".

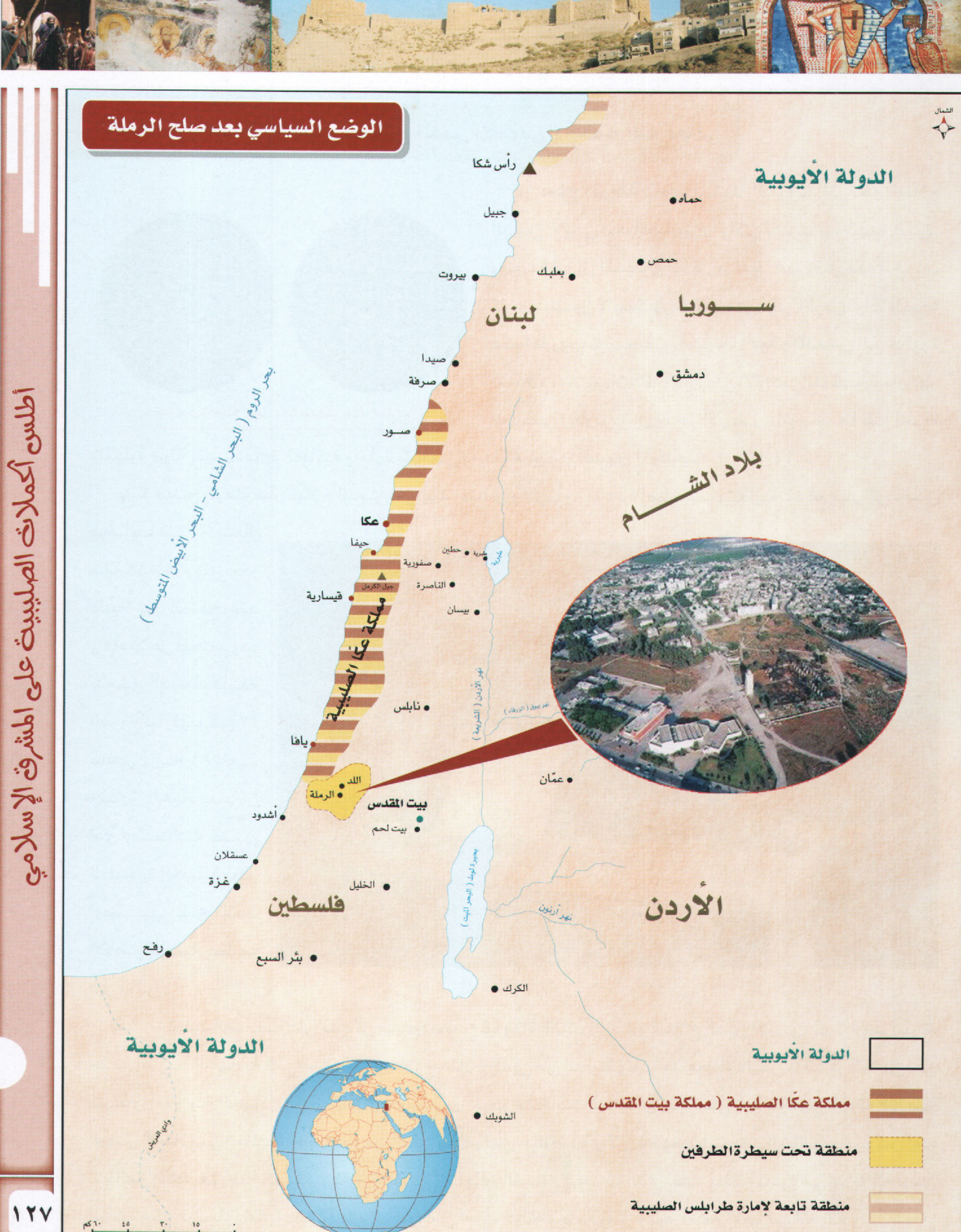
أما الأماكن المقدسة، فقد ظلت في أيدي المسلمين، على أن يكون للنصارى حرية الحج إلى بيت المقدس دون مطالبتهم بدفع أية ضريبة. وقد اتفق على أن تكون مدة الصلح ثلاث سنوات وثلاثة أشهر، وناب عن الملك ريتشارد في التوقيع على الاتفاقية هنري دي شامبني وباليان الثاني دي أبلين وأونفروي الرابع دي تورون، في حين مثل الجانب الإسلامي: الملك الأفضل والملك الظاهر ابنا صلاح الدين، وأخوه الملك العادل وبعض الأمراء الأيوبيين الآخرين.

بين صلاح الدين وريتشارد

لم يلبث ريتشارد أن اعتراه المرض في يافا، فأبت شهامة صلاح الدين إلا أن يقدم له كل معونة ممكنة في مرضه. من ذلك ما تذكره المراجع من أن الأطباء وصفوا لريتشارد الفاكهة والثلج، فأخذت رسله تتردد على صلاح الدين الذي لم يضن على خصمه بكل ما طلبه، فكانت "رسل ريتشارد لا تنقطع في طلب الفاكهة والثلج، وأوقع عليه في مرضه شهوى الكمثرى والخوخ، وكان السلطان يمده بذلك..".

ويبدو أن هذا السلوك من جانب صلاح الدين كان له أثره الطيب في نفس ريتشارد، فقال لأحد أمراء المسلمين: "سلم على السلطان وقل له: بالله عليك أجب سؤالي في الصلح، فهذا الأمر لا بدّ له من آخر، وقد هلكت بلادي وراء البحر، وما في دوام هذا مصلحة لا لنا ولا لكم!". والواقع أن ريتشارد كان لا يستطيع العودة إلى بلاده تاركاً الموقف معلقاً في بلاد الشام بين المسلمين والصليبيين.

* * *


الوضع السياسي بعد صلح الرملة
الشمال
الدولة الأيوبية
رأس شكا
جبيل
حماه
حمص
بعلبك
بيروت
لبنان
سوريا
صيدا
صرفة
دمشق
صور
بلاد الشام
بحر الروم (البحر الشامي - البحر الأبيض المتوسط)
عكا
حيفا
حطين
صفورية
الناصرة
جبل الكرمل
قيسارية
مملكة عكا الصليبية
بيسان
نهر الأردن (الشريعة)
نابلس
يافا
اللد
الرملة
بيت المقدس
عمّان
أشدود
بيت لحم
عسقلان
غزة
الخليل
فلسطين
الأردن
نهر أرنون
رفح
بئر السبع
الكرك
الدولة الأيوبية
الشوبك
الدولة الأيوبية
مملكة عكا الصليبية (مملكة بيت المقدس)
منطقة تحت سيطرة الطرفين
منطقة تابعة لإمارة طرابلس الصليبية
٦٠ كم ٤٥ ٣٠ ١٥ ٠



وفاة القائد الإسلامي الكبير (صلاح الدين الأيوبي) رحمه الله تعالى



عملة نقدية لصلاح الدين؛ سكت بعد نصر حطين سنة ٥٨٣ هـ

كان **صلح الرملة** قاطعاً لسلسلة الحروب التي شنها صلاح الدين الأيوبي ضد الصليبيين، والتي اكتسب بها شهرة كبيرة، ومجداً لا زال المسلمون يتذكرون أمجاده، وقبل هذه الحروب كان المسلمون لا يملكون شيئاً غربي نهر الأردن، وإذا بنتيجة هذه الحروب تفصح عن استرجاع **بيت المقدس** إلى حظيرة الإسلام، واستيلاء المسلمين على الأراضي المحصورة بين نهر العاصي والأردن وبين البحر الأبيض المتوسط، ما عدا أجزاء ساحلية قليلة بقيت لإمارة أنطاكية وإمارة طرابلس و**مملكة بيت المقدس الجديدة (عكّا)** .

بعد صلح الرملة سار صلاح الدين إلى بيت المقدس وأمر بإجراء عدة إصلاحات وتنظيمات . ثم سار إلى دمشق فوصلها في ٢٥ شوال سنة ٥٨٨ هـ ، ولم يعمر طويلاً بعد الصلح، فقد وافاه الأجل المحتوم وهو بدمشق الفيحاء فأسلم الروح لبارئها في ٢٧ صفر سنة ٥٨٩ هـ، وفارق الحياة بعد أن أدى رسالته على الصورة الكاملة، وقد أوصى ابنه الملك الأفضل بوصية عظيمة قبل ذلك.



قبر صلاح الدين الأيوبي - رحمه الله تعالى - بدمشق

لقد اشتدت الضائقة على قلب كل مسلم؛ بسماع نبأ وفاة القائد الرباني صلاح الدين الأيوبي، ثم توارثت أسرته حكم الدولة الجهادية التي أنشأها، حيث خرج صلاح الدين من الدنيا ولم يأخذ معه إلا الكفن، والذكر الحسن لكن ترك وراءه راية الجهاد ضد الصليبين المغتصبين، حيث استطاعت أسرته أن تسير على خطاه وتنهج طريقه في هذا العمل الإسلامي العظيم، وهو الذب عن الدين والأعراض، والتصدي لأي هجوم صليبي في الشام ومصر وكان آخر أبطالهم الكبار في هذا الصدد (توران شاه بن السلطان الصالح أيوب)؛ الذي أظهر بطولة نادرة في حربه مع لويس التاسع ملك فرنسا، وتغلب عليه وأسره مع كثير من أمراء دولته وجنده وقتل منهم سبعة آلاف في المعركة .



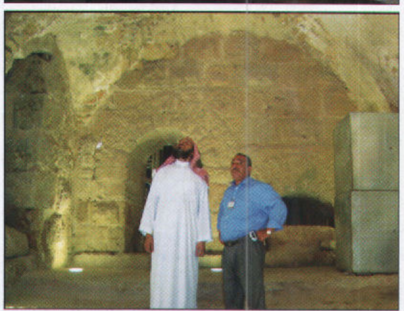
أصبحت **عكّا** بعد أن استردها الصليبيون؛ أهم مركز لدولة الفرنجة (الصليبية) في الشرق وحلت محل **بيت المقدس** في الزعامة على المدن الصليبية الأخرى. وأصبح مسماها الجديد مملكة بيت المقدس؛ لتبقى حية في قلوب الغزاة !.



تعـود أهميـة قلعة عجلون (الربض) أو صلاح الدين الأيوبي، في الذاكرة الاسلامية إلى دورها الكبير أثناء الحروب الصليبية، قال توبات: "من قلعة عجلون هزم الناصر صـلاح الديـن الأيوبـي جيوش الصليبين بحروب استمرت ثمانيـة أعوام واجه خلالها ٢٢ ملكاً أوروبيـاً ومنهم: فريدريك الالماني، وريتشارد قلب الأسد الانجليزي، خاض ضدهم ٧٤ معركة، وحرر أكثر من خمسين مدينة وقلعة مغتصبة، قبل أن يهاجمه الموت عن ٥٧ عاماً".



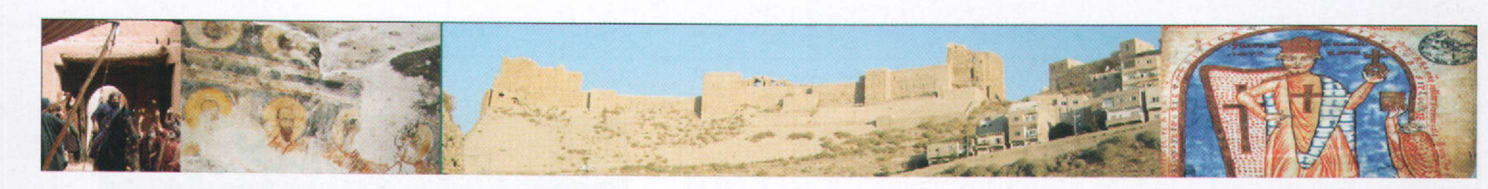




لقطات متنوعة لقلعة عجلون (الربض) أو صلاح الدين الأيوبي.



حارسان للقلعة بلباس عسكري تاريخي يعود إلى العهد الأيوبي



تعد **قلعة عجلون التاريخية** التي تعرف بقلعة الربض أو **قلعة صلاح الدين**، أحد المعالم الأثرية المهمة في الأردن، واشتقت القلعة الواقعة في مدينة عجلون (٧٥ كلم شمال العاصمة عمّان) اسم الربض من موقعها كونها "تربض" على ظهر تل شاهق الارتفاع عرف باسم جبل عوف نسبة إلى بني عوف الذين أقامت عشيرة منهم في الجبل أيام العبيديين، واستمدت القلعة اسمها الثاني قلعة (صلاح الديـن) من القائد الإسلامـي الرباني صلاح الدين الأيوبي، الذي اتخذها نقطة انطلاق لجيوشه المتوجهة صوب مدينة القدس. ووفق المصـادر التاريخيـة الموثقـة شيد القلعة التي ترتفع ١٠٢٣ متراً عن سطح البحر، القائد الأيوبي عـز الدين أسامة بن منقذ أحد القادة البارزيـن الذين خاضوا الحروب إلى جانـب القائد صلاح الدين الأيوبي عام ١١٤٨م، الذي اتخذها قاعدة في حملته العسكرية لطرد الصليبيين في وجه قلعة بيلفوار التي شيدها الصليبيون قرب بحيرة طبريا في فلسطين؛ وذلك بسبب موقع قلعة الربض الاستراتيجي لسيطرتهـا على طرق المواصلات بين سورية وجنـوب الأردن. وكان الهدف من إقامة قلعة صلاح الدين في هذه المنطقة الجبلية المطلة من جميع الجهات حماية المنطقة من الزحف الصليبي والحفاظ على خطوط المواصلات وطرق الحج بين الشام والحجاز؛ لأنها تشرف علـى وادي الأردن وسهـول حوران في الشمـال ونظراً لموقعها المرتفع فقـد استعملت عبر تاريخها مركزاً للحمـام الزاجل ومنارة لنقل الأخبار والبريد من حدود الفرات إلى القاهرة.

أهم مصادر ومراجع الباب الخامس

١ - القرآن الكريم .

٢ - عز الدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد ابن عبد الكريم عبد الواحد الشيباني، الكامل في التاريخ، دار المعرفة، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م.

٣ - شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي الدمشقي المعروف بأبي شامة، كتاب الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، مؤسسة الرسالة الطبعة الأولى ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

٤ - د . علي عبد الحليم محمود، الغزو الصليبي والعالم الإسلامي، دار عكاظ للطباعة والنشر .

٥ - شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت الحموي، معجم البلدان، بيروت دار إحياء التراث العربي، ١٩٧٩م.

٦ - ابن كثير، الحافظ عماد الدين ابن أبي الفداء إسماعيل ابن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، البداية والنهاية ، طبعات متعددة .

٧ - مجلة التاريخ العربي ، أعداد مختلفة .

٨ - Google Earth.

٩ - د . مفيد الزيدي، موسوعة تاريخ الحروب الصليبية،دار أسمة للنشر والتوزيع، الأردن، عمّان، ط . الأولى ٢٠٠٤ م.

١٠ - د . طارق السويدان، فلسطين التاريخ المصور، نشر وتوزيع الإبداع الفكري - الكويت.

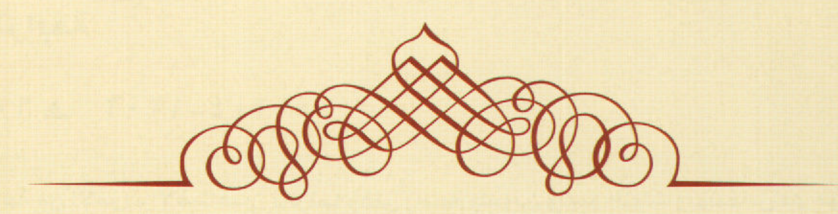
١١ - سامي بن عبد الله المغلوث، الحملات الصليبية على المشرق الإسلامي في العصور الوسطى . دار الوراق، طبع ونشر ١٤١٩ هـ .

١٢ - موسوعة ويكبيديا على الشبكة العنكبوتية .

١٣ - موقع السياحة في المملكة الأردنية الهاشمية .



الباب السادس





الحملة الصليبية الرابعة

- احتلال الصليبيين للقسطنطينية ، بدلاً من القدس
- حملة الأطفال





الحملة الصليبية الرابعة

سـنة ٥٩٩ ـ ٦٠١هـ ١٢٠٢-١٢٠٤م.

قادة الحملة : مجموعة من الأمراء الإقطاعيين بفرنسا وعلى رأسهم بلدوين وتيبو الثالث وبونيفاس دي مو منتسرات .

سـبب الحملة :



البابا أنوسـنت الثالث

تعـد هذه الحملـة نتيجة مباشـرة لوفاة **صلاح الدين** في شـهر صـفر سـنة ٥٨٩هـ - ١١٩٣م. فمنـذ وفاتـه دعـا **البابـا أنوسـنت الثالث** إلى حرب صـليبية ضـمن خطة وضـعها للكنيسة على رأسـها مشـروع محو آثار حروب صلاح الدين في الشرق واغتصاب بيت المقدس من المسلمين.

فدعا في منتصـف سـنة ١١٩٨م - ٥٩٤هـ إلى حملة صـليبية رابعة، واسـتجاب له فيها عدد من الأمـراء وتـولى قيادتهـا عـدد مـن البارونـات الفرنسـيين والفلمنكيين وإن كانت الغلبة للعنصر الفرنسي.

وبعد مداولات بين أمراء الحملة وقوادها رأوا أن يتجهوا بها إلى مهاجمة **مصر** أولاً ثم بيت المقدس بعد ذلك.

وبـدأت الاسـتعدادات بالتعاون مـع **فينيسيا (البندقيـة)** لتمدهـم بالسـفن واحتشـد الصـليبيون في **البندقية** في صـيف ١٢٠٢م - ٥٩٩هـ ، غير أن البنادقة اشترطوا على الصليبيين ثمناً لهذا التعاون أن يهاجموا مدينة (زارا) ويستردوها مـن ملـك هنغاريا (المجر) واسـتجاب الصـليبيون لذلك، علـى الرغم من غضـب البابا وإصـداره قرار الحرمان ضد الحملة كلها ثم قصره على البنادقة أخيراً.

وبينما الصـليبيون يستعدون للاتجاه نحو مصـر؛ إذا بثورة تنشب في القسطنطينية تطيح بالإمبراطور إسحق الثاني، فيفر ابنه الكسـيوس إلى الغرب طالباً المساعدة من البابا ومن الصـليبيين عارضاً في مقابل





ذلك إخضاع الكنيسة الشرقية للبابوية ومساعدة الصليبيين في حملتهم ضد مصر الأيوبية.

وصادف ذلك هوى في نفس البابا، ومصلحة لدى البنادقة، وتشفياً من الصليبيين في الدولة البيزنطية. فاتجهت جموع الصليبيين إلى **القسطنطينية** واستولت عليها ١٢٠٤م، وقاموا بتخريبها والعدوان على أهلها، حتى تمنى بعض البيزنطيين أن لو كانت القسطنطينية قد وقعت في أيدي المسلمين، وقد أحرق الصليبيون بعض الكنائس والجامع القديم الذي بني في عهد بني أمية وقاموا بسلب المدينة. واستولت الكنيسة الكاثوليكية على الكنيسة الأرثوذكسية ورأسها أول كاثوليكي منذ إنشائها.

ولقد كان من نتائج هذه الحملة؛ أن فترت همة المحاربين في الحروب الصليبية التالية، لاستيقان الناس بأنها غارات بربرية وليست حروباً دينية، كما زعمت الكنيسة.

بيد أن هذه الحملة عمقت هوة الخلاف بين نصارى الشرق ونصارى الغرب، وجعلت الطريق البري إلى الشام أشد وعورة وأعظم خطراً.

كما أغرت هذه الحملة كثيرين من فرسان الصليبيين في الشام، إلى أن يتركوا الشام ومتاعبه، ويتجهوا إلى قبرص أو البلقان ليهنئوا بحياة مستقرة.

وبالجملة فقد أضعفت الحملة الصليبية الرابعة مركز الصليبيين في الشرق الإسلامي وزعزعت مكانتهم. لذلك قرر أحد مؤرخي الحروب الصليبية: ((أن الحملة الصليبية الرابعة جاءت نذيراً بفشل الحركة الصليبية بأكملها)).

موقع البندقية (فينيسيا) بالجمهورية الإيطالية

فينيسيا (البندقية)
زغرب
بلغراد
زارا
سراييفو
بيزا
روما
إيطاليا
كورسيكا
تيرانا
سردينيا
صقلية



البندقية (بالإيطالية Venezia ، بالإنكليزية Venice) مدينة بشمال إيطاليا وهي عاصمة إقليم فينيتو وعاصمة مقاطعة فينيسيا. يقدر عدد سكانها ٢٧١ ألف نسمة. المدينة عبارة عن عدة جزر متصلة ببعضها عن طريق جسور، وتطل المدينة على البحر الأدرياتيكي.

تعتبر المدينة من أهم المدن الإيطالية ومن أكثر المدن جمالاً في إيطاليا، لما تتمتع به من مباني تاريخية يعود أغلبها إلى عصر النهضة في إيطاليا وقنواتها المائية المتعددة ما يجعلها فريدة من نوعها على مستوى العالم.



الكاتدرائية الرئيسة في البندقية (فينيسيا)

كانت البندقية تتمتع بحكم ذاتي أثناء العصور الوسطى وما بعد ذلك، وكانت تسمى جمهورية البندقية أو Republic Of Venice وتعتبر من أهم مرافئ أوروبا تجارياً أثناء الحملات الصليبية. ومنها انطلقت الحملة الصليبية الرابعة التي دعا غليها البابا أنو سنت الثالث سنة ٥٩٤ هـ - ١١٩٨ م . وتتمتع بقوة بحرية هائلة.



جسر مسلح يربط بين الضفتين





كانت للبندقية علاقات تجارية ومالية قوية بوسط أوروبا حيث تقوم بتسويق تجارتها في هذا النطاق، كما توطد فيها نظام البنوك، وكانت لها علاقاتها المتينة مع مصر وشرقي البحر المتوسط ومع العالم الإسلامي تركزت على تجارة الشرقين الأقصى والأدنى، وكانت مركز اتصال حضاري بعيد المدى بين الشرق الإسلامي.

لقطات منوعة من البندقية

مدينة البندقية الإيطالية، تأسست في القرن الخامس الميلادي على شواطئ الأدرياتيكي الشمالية، وأسسها بعض سكان أوروبا الفارين من غارات الهون أثناء اكتساحهم لوسط القارة الأوربية وشمال شرقي إيطاليا. وأصبحت مدينة البندقية في القرن الحادي عشر الميلادي تتكون من سبع عشرة ومئة جزيرة تربط بعضها ببعض الجسور والقناطر، وأصبح لها أسطول تجاري وحربي ضخم؛ وكما اهتمت جنوة بتجارة غربي البحر المتوسط، كذلك اهتمت البندقية بالتجارة الشرقية، تشاركها في هذا جنوة وبيزا. وكان للبندقية مدرستها الفنية الممتازة في الرسم والتصوير الخاصة بها.

وبدت جمهورية البندقية منذ القرن الحادي عشر الميلادي جمهورية أرستقراطية تركزت السلطة والحكومة فيها في يد فئة من السكان حرصت على المحافظة على حقوقها، حيث تميزت البنية السكانية بنمو الطبقة الوسطى البرجوازية على عكس ما كانت عليه البنية السكانية في معظم أوروبا التي خضعت للنمط الإقطاعي، بل إن هذه المدينة احتفظت بدستورها الجمهوري قرابة سبعمائة عام تقريباً.



قارب يمخر عباب أزقة البندقية المائية



تعتبر القوارب الوسيلة الأنسب للتنقل في البندقية



تتميز **البندقية** بكونها عبارة عن أكثر من مئة جزيرة ملتصقة كانت وما زالت من أصعب أماكن التنقل عملياً وهندسياً. حيث لا تزال وسيلة التنقل في البندقية محصورة في القوارب الكلاسيكية المتوفرة بكثرة في المدينة والتي يطلق عليها (Gondola) أو الجناديل وبعض الشوارع خارج قلب المدينة. ولعلك أخي القارئ الكريم تلحظ من خلال هذه الصور في هاتين الصفحتين المتقابلتين والسابقة؛ طبيعة البندقية الجميلة عبر أزقتها المائية، والذي قام مشكوراً بتصويرها؛ لهذا الأطلس التاريخي عن الحروب الصليبية، ابن الأخ المهندس / **ماجد بن أحمد المغلوث**، والذي يرى في الصورة على أحد القوارب الكلاسيكية. حيث تنتشر كما أسلفنا هذه القوارب كوسيلة للتنقل بين جنباتها، وفي القرن التاسع عشر الميلادي تم توفير سكة الحديد إلى البندقية والتي تقع خارج مركز المدينة أيضاً. وفي القرن العشرين تم بناء شارع رئيس يوصل إلى المدينة ومواقف عامة. وفي واقع الحال تعتبر المدينة مثالية من ناحية عدم استخدام السيارات والشاحنات على مستوى أوروبا والعالم. واليوم يمكن الوصول إليها جواً عن طريق مطار تم استحداثه مؤخراً ليخدم البندقية والضواحي المحيطة بها وهو مطار ماركو بولو الدولي.



مدينة زارا بجمهورية كرواتيا اليوم

لما تجمع الصليبيون في خريف عام ١٢٠٢ م، ألفوا أنفسهم عاجزين عن جمع المال الذي وعدوا به البنادقة ثمناً لعملية النقل. فاقترحت عليهم ولاية البندقية الإقطاعية أن يقوموا لصالحها بغزو مدينة زارا ZARA في دلماسيا من أيدي ملك هنغاريا (المجر). ورغم احتجاجات البابا، سرعان ما خف الصليبيون إلى احتلال المدينة في منتصف تشرين الثاني سنة ١٢٠٢ م.

الكاتدرائية القديمة في زارا



القوات الصليبية

القوات البيزنطية

وصول الحملة الصليبية الرابعة إلى القسطنطينية

في أغسطس ١٢٠٢ م، وصل إلى **البندقية** القائد الأعلى للصليبيين **بونيفاس دي مونفيرات**، وتواطأ بونيفاس مع دوق البندقية على تحويل الهجوم، ففي ٨ أكتوبر ١٢٠٢م أبحر أسطول الصليبيين من البندقية واحتل **زارا** المجرية التي دافعت دفاعاً مستميتاً، عن كيانها المهدد من قبل الحملة الصليبية الرابعة. وأصبحت زارا تحت حكم البندقية. لذلك أعرب الكرسي الأعلى في الكنيسة عن غضب يليق بالحادثة، ولكنه لم يتخذ إجراءات فعلية، فهدد بحرمان الفرسان من الكنيسة، ولكن الهجوم كان إلى حد ما في مصلحته، فكان وسيلة لتوحيد الكنيسة تحت رايته، فكان تأكيده لتحريم الاستيلاء على أملاك الروم (بيزنطة) مشوباً بفجوات مثل "إلا إذا شرعوا يقيمون دون تبصر العوائق أمام حملتكم" ، وفي ٢٤ مايو ١٢٠٣م ، غادر الأسطول كورفو التي كانت محطة له إلى القسطنطينية.

في القسطنطينية واجه الصليبيون خصم ضعيف، فبيزنطة أرهقتها الحملات السابقة، والأتاوى والضرائب المتزايدة وتناقصت واردات الدولة، فوصلوا إلى شواطئها في ٢٣ يونيو ، وبدأت العمليات العسكرية في ٥ يوليو ١٢٠٣م، ففر إمبراطور بيزنطة الكسيوس الثالث، وعملياً استسلمت القسطنطينية البالغ تعداد سكانها زهاء ١٠٠ إلف في ١٧ يوليو ١٢٠٣م . وجرى تقسيم بيزنطة بين الصليبيين والبندقية ودمرت آثار ثقافة عريقة، وأصبحت أحداث ١٢٠٢-١٢٠٤ تظهر الصليبيين على صورتهم الحقيقية القائمة على الجشع المادي المتلبس بالدين؛ بعد إن كانت كما يزعمون أمراً إلهياً باسم الكنيسة.



انتصار القوات البيزنطية على القوات الصليبية واحتلال القسطنطينية البالغ تعداد سكانها زهاء ١٠٠ إلف نسمة آنذاك، في ١٧ يوليو ١٢٠٣م. فقام **الصليبيون** بتقسيم **بيزنطة** بين الصليبيين والبندقية ودمر الصليبيون حضارة بيزنطة من جراء هذا الاحتلال .

مرتسم لاحتلال القسطنطينية



جاءت الحملة الصليبية **الرابعة** باستيلاء الصليبيين أصحاب الكنيسة الغربية الكاثوليكية على الكنيسة الأرثوذكسية الشرقية عام ١٢٠٤م، ورأسها أول كاثوليكي منذ إنشائها وبذلك تحولت عن هدفها الأساسي ورسالتها الصليبية، قال عنها أحد المؤرخين الغربيين: (بأنها جاءت نذيراً بفشل الحركة الصليبية بأكملها).

كنيسة أيا صوفيا بإستانبول والتي حولها المسلمون إلى مسجد ثم حولها العلمانيون إلى متحف

تأسست **القسطنطينية** عام ٦٥٨ ق.م. وكانت من قبل قرية للصيادين. و تعرف باسم بيزنطة وفي عام ٣٣٥ م جعلها الإمبراطور قسطنطين عاصمة للإمبراطورية الرومانية الشرقية (الإمبراطورية البيزنطية) وأصبح يطلق عليها القسطنطينية على اسم الإمبراطور قسطنطين مؤسس الإمبراطورية، وكان بها مقر بطريركية الكنيسة الأرثوذكسية الشرقية كنيسة آيا صوفيا (انظر الصورة في الأعلى) .

و كان السلطان العثماني محمد الثاني فتحها عام ١٤٥٣م . ثم أطلق عليها العثمانيون الآستانة. ويطلق عليها اليوم إستانبول.تراجعت أحوالها أثر وفاة الإمبراطور جوستنيان الحازم. و فقدت الكثير من مناعتها جراء **الحملة الصليبية الرابعة** التي أنهكت دفاعاتها. فالمدينة لم تستطع في مائتي عام أن تتعافى من سبي اللاتين أهلها وحرقهم بيوتها ومبانيها وساحاتها. وإذا كان الانشقاق الكبير ما بين الكنيستين قد حصل عام ١٠٥٤م، نتيجة التنافس على الأولوية بين أباطرة الشرق والغرب وأحبارهم، فإن الانشقاق قد اتسع كثيراً في العام ١٢٠٤م، أي عند دخول الجيوش الصليبية المدينة وحرق مبانيها العامة والخاصة والعبث بكنائسها.



حملة الأطفال

ســــنة ٦١٩ هـ - ١٢١٢ م.

قادة الحملة : طفل فرنسي أسمه ستيفن، وآخر ألماني أسمه نقولادي كلونيا .

ســـبب الحملة :

أدّعى صبي فرنسي يشتغل برعي الغنم اسمه (ستيفن) أن المسيح عليه السلام أمره بالخروج للمشاركة في الحروب الصليبية، فلبى هذه الدعوة أكثر من ثلاثين ألفاً من أطفال أوروبا من فرنسا وألمانيا، ولاسيما أن رجال الدين النصارى اعتقدوا أن هؤلاء الأطفال سيحققون من الأعمال والمنجزات ما عجز عنه الكبار .

تجمع الأطفال في جنوبي مرسيليا ثم أبحروا إلى شمالي إفريقيا، أما الأطفال الألمان فتوجهوا نحو إيطاليا عبر جبال الألب ووصل بعضهم إلى

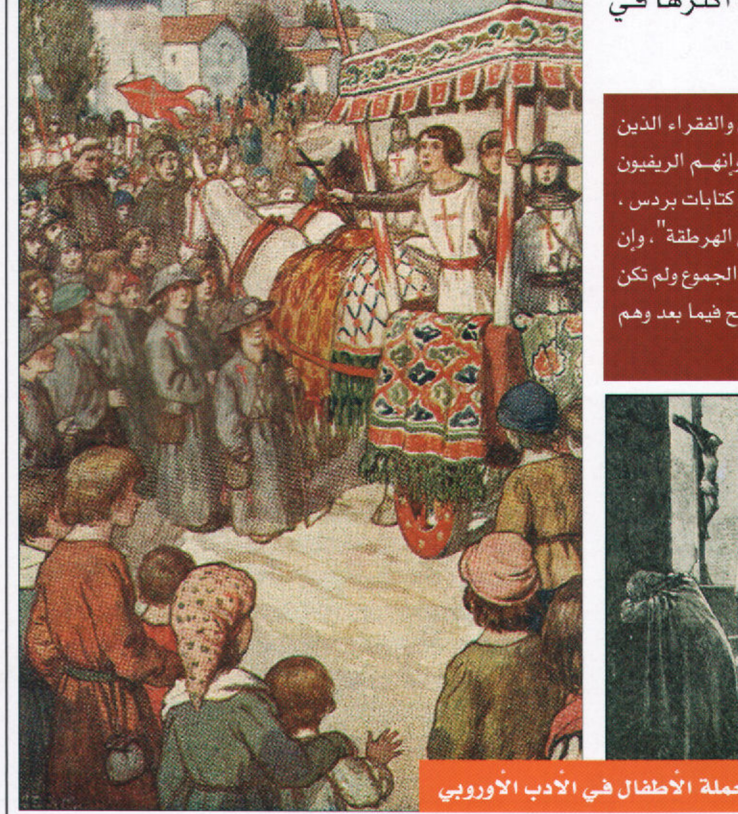
ستيفن مستمعاً لحديث شبيه المسيح





برنديـزي . انتهـى الأمر بحملـة ستيفن أن بيعـت في أسواق الرقيـق في تونس والشرق ،بينما حملة نقولا هلك أكثرها في إيطاليا ومن نجا منها فقد تبناه الإيطاليون .

يرى بعض المؤرخين إن هاتين الحملتين: لم تكونا سوى جموع من الأقنان والفقراء الذين استاءوا من الفشل الذي لاقته الحملات السابقة بقيادة الأسياد، وإنهم الريفيون المتحمسون دينياً والمعادون للإقطاعية بدوافع تحررية، وذلك اعتماداً على كتابات بردس ، أحد كتّاب الأحداث، بوصفه لهم بـ"طاقة الريف التمردية" و"احتياطي الهرطقة". وإن تسميتهم بالحملة الطفولية أو حملة الأطفال جاءت كاستعارة صورية لهذه الجموع ولم تكن ترتبط حقيقة بكون المشاركين فيها من الأطفال، وإنها تصويراً لفظي أصبح فيما بعد وهم تاريخي .



حملة الأطفال في الأدب الأوروبي



أهم مصادر ومراجع الباب السادس

١ - مجلة التاريخ العربي ، أعداد مختلفة .

٢ - مجلة البيان الإسلامية ، أعداد مختلفة.

٣ - د . مفيد الزيدي، موسوعة تاريخ الحروب الصليبية،دار أسمة للنشر والتوزيع، الأردن، عمّان، ط . الأولى ٢٠٠٤ م.

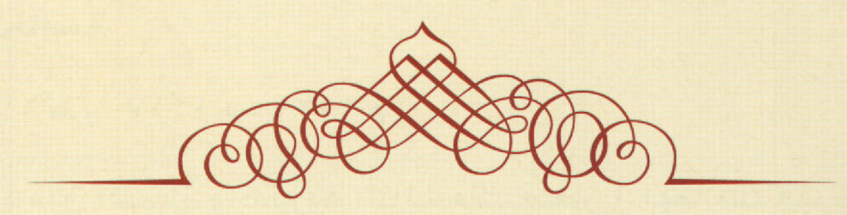
٤ - د . علي عبد الحليم محمود، الغزو الصليبي والعالم الإسلامي، دار عكاظ للطباعة والنشر .

٥ - موسوعة ويكبيديا على الشبكة العنكبوتية .

٦ - سامي بن عبد الله المغلوث، الحملات الصليبية على المشرق الإسلامي في العصور الوسطى . دار الوراق، طبع ونشر ١٤١٩ هـ .

٧ - محمد العروسي المطوي،الحروب الصليبية في المشرق والمغرب .دار الغرب الإسلامي، ط . ١٩٨٢ م .

الباب السابع





الحملة الصليبية الخامسة

- موقعة حصار دمياط سنة ٦١٦ هـ
- معركة المنصورة الأولى





الحملة الصليبية الخامسة

ســـنة ٦١٤هـ - ٦١٨هـ - ١٢١٧م - ١٢٢١م.

قادة الحملة : ليبود دوق النمسا، وأنديريه الثالث ملك هنغاريا، بهما ملك قبرص.

ســبب الحملة:

دعـا البابا **هنريوس الثالـث** إلى حرب صليبية جديدة؛ بغرض استرجاع **بيـت المقدس** من قبضة المسلمين الذين قاموا بتحريره، وتلبية لرغبة بعض الأمراء الصليبيين في بلاد الشام استجابت لنداءه بعض الزعامات الأوروبيـة. لقد وصلت الحملـة الصليبية إلى **قبرص** ثم إلى مملكة بيت المقدس (**عـكّا**) وانهزموا فيها، ثم جـاءت إمدادات أوروبية فتغير مسارها إلى **مصـر** وبالتحديد في **دميـاط** بقيادة بلاجيوس، والملك يوحنادي برين ملك ماتبقى من بيت المقدس.

فـي نوفمبر ١٢١٥م، انعقـد المجمـع اللاتيني الرابـع في روما، واتخذ سلسلة من القرارات المبدئية التـي تتعلـق بتنظيـم الحمـلات الصليبيـة بشكل عـام، وكان ذلك بدايـة تشكيـل شـكل مـن مؤسسة دائمـة للحمـلات الصليبية، ووضع هـذه المشاريـع على أسـاس امتن، وأمر الأسياد والمدن، وفقاً لوضعهم الاقتصـادي والمـالي، بـأن يقدموا للحملة مجموعـة حربية ذللت عدد معـين مـن العناصـر، ويؤمّنـوا لها الأمـوال لمـدة ثلاث سنـوات. وقرر المجمع اللاتينـي ضريبة استثنائية الزاميـة لتأمين حاجـات الحملات وذلـك على شكل جـزء من عشرين من الدخـــل الســـنوي وكان على البابـاوات والكرادلـة أن يدفعـوا ضريبة مزدوجة، أمـا الخـارجون عن الطاعة فكانـت الكنيسة تتخذ عقوبـات كنسية صارمـة ضدهم، وتم تنظيـم حمـلات الوعظ ووضع الكتـب التعليميـة لأجـل تهذيـب الحملات الصليبية، وبذلك نظمت الحمـلات الصـــليبيـة تنظيماً مؤسسيـاً. تحـددت سنـة ١٢١٧م موعداً لبداية **الحملة الخامسة**، وخطـط لهـا أن تنطلق مـن ميناء **برنديسي** الإيطـالي، وكان مـن الملوك الذين أخذوا النذر الصليبي فريدريك الثاني الألماني، واندراش (انـدره) الثاني المجري، ويوحنا بـلا ارض الإنجليزي، ولكن تجري الرياح بما لا تشتهي السفن، ومات البابـا أنوسـنـت الثالـث والملـك الإنجليـزي يوحنا بـلا ارض، على التـوالي، الأول فـي ١٦ يوليـــو، والثـاني فـي ١٦ أكتوبـر مـن عام ١٢١٦م. فانتقلت البابويـة وقيادة تنظيـم الحملة إلى البابا أونوريوس الثالث، الـذي عـين القاصــــد الرسولي في قـوات الصليبيـــين الكاردينال بيلاجيوس من البانو.

وكان الملـك المجري إندرياشـن الثـاني وأســـياد التحقوا به (معظمهـم مـن جنوبـي ألمانيـا) وصلوا ما بين يوليـو وأغسطس من عـام ١٢١٧م إلى سبليـت، ولكنهم اضطـروا للانتظـار بسبـب عـدم كفايـة السفـــن لنقـل الفيالـق الصليبية إلى جبهة القتال.





البحر الأدرياتيكي

برنديسي

مرئية فضائية تصور طبيعة ميناء برنديسي في إيطاليا



اضطراب الوضع بعد الحملة الصليبية الرابعة

لم تستقر الأمور بين المسلمين والصليبيين بعد فشل الحملة الصليبية الرابعة - على الرغم من الاتفاقات والمعاهدات - ذلك أن الصليبيين (الفرنجة) أسرع إلى نقض العهود والغدر والخيانة وتلك طبيعتهم .

فقد أراد **الإسبتارية** في **حصن الأكراد** أن يستولوا على مدينة حمص سنة ٦٠٤ هـ ١٢٠٧ م، فتكررت هجماتهم عليها حتى وصلوا إلى أسوارها فاستنجد صاحب حمص آنذاك أسد الدين شيركوه الثاني، بالملك الظاهر صاحب حلب، فسير له إليه عسكراً منع عنه الصليبيين. وفي شتاء ١٢٠٧ م – ٦٠٤ هـ، استولى قراصنة صليبيون من قبرص على سفن مصرية وأسروا من فيها، فخرج إليهم السلطان العادل على رأس جيش قاصداً عكّا وانتهى الأمر برد أسرى المسلمين .

ثم اتجه العادل إلى **حصن الأكراد** لإبعاد خطر **الإسبتارية** عن حمص فعسكر عند بحيرة قدس قرب حمص ، وجمع هناك قوة من عدد من الأمراء ثم أعلن أنه يقصد طرابلس بينما قصد حصن الأكراد فهاجمه وأسر خمسمائة رجل وغنم وإن كان لم يستطع الاستيلاء على الحصن لمناعته.

ثم زحف العادل إلى طرابلس واستولى في طريقه إليها على حصن القليعات ولكنه أطلق سراح حاكمه. وقد أدت حروب العادل هذه إلى أن يسرع بوهيمند الرابع صاحب طرابلس، إلى طلب الصلح فأجابه العادل إلى ذلك. كما أن الملك حنّا برين عقد معاهدة مع السلطان العادل مدتها ست سنوات من ١٢١١ – ١٢١٧ م ، ٦٠٨ – ٦١٤ هـ ، وإن كان حنّا هذا أخذ يدبر مع الصليبيين **حملة لغزو مصر** عقب انتهاء الهدنة مباشرة؛ فأخذ يراسل روما ويطلب إعداد هذه الحملة، وما إن انتهت الهدنة حتى كانت دعوة حنّا برين قد أثمرت، **وبدأت الجموع الصليبية تشق طريقاً نحو الشرق لحملة صليبية خامسة.**

الإسبتارية

بدأ ظهور فرسان مالطة عام ١٠٧٠م، كهيئة داعمة، أسسها بعض الإيطاليين، لرعاية مرضى النصارى، في مستشفى (قديس القدس يوحنا) قرب كنيسة القيامة ببيت المقدس، في فلسطين وظل هؤلاء يمارسون عملهم في ظل سيطرة الدولة الإسلامية، وقد أطلق عليهم اسم **فرسان المستشفى أو الإسبتارية** باللغة الايطالية تمييزاً لهم عن هيئات الفرسان التي كانت موجودة في القدس آنذاك مثل **فرسان المعبد (الداوية)** و"الفرسان التيوتون" وغيرهم، إلا أنهم ساعدوا الغزو الصليبي فيما بعد. وكان التزايد الكبير في أعداد الوافدين االنصارى إلى مدينة القدس قد زاد في بداية القرن الحادي عشر لاتجاه بعض الإيطاليين للحصول على حق إدارة الكنيسة اللاتينية من حكام المدينة المسلمين، وكان يلحق بهذه الكنيسة مستشفى للمرضى والحجاج يسمى مستشفى "قديس القدس يوحنّا" كذلك استطاع تجار مدينة "أما لفي" ١٠٧٠ م تأسيس جمعية داعمه في بيمارستان قرب كنيسة القيامة في بيت المقدس للعناية بالاجانب، ومن اسم المستشفى أطلق عليهم اسم فرسان الإسبتارية في اللغة العربية، ولم يلبث أولئك الإسبتاريين أن دخلوا تحت لواء النظام الديري البندكتي المعروف في غربي أوروبا، وصاروا يتبعون بابا روما مباشرة بعد أن اعترف البابا باسكال الثاني بتنظيمهم رسمياً في ١٥ فبراير ١١١٣ م، وهكذا أصبح نظامهم يلقى مساندة من جهتين: تجار أمالفي و حكام البروفانس في فرنسا . عندما قامت الحروب الصليبية الأولى ١٠٩٧ م وتم الاستيلاء على القدس أنشأ رئيس المستشفى (جيرارد دي مارتيز) تنظيماً منفصلاً أسماه "رهبان مستشفى قديس القدس يوحنا" وهؤلاء بحكم درايتهم بأحوال البلاد قدموا مساعدات قيمة للصليبيين وخاصة بعد أن تحولوا إلى نظام **فرسان عسكريين** بفضل ريموند دو بوي (خليفة مارتينز) الذي أعاد تشكيل التنظيم على أساس عسكري مسلح باركه البابا (أنوسنت الثاني) ١١٣٠، حتى قيل "إن الفضل في بقاء مدينة القدس في أيدي الصليبيين واستمرار الحيوية في الجيوش الصليبية يعود بالأساس إلى **فرسان الإسبتارية** بجانب **فرسان المعبد** وقد كان تشكيل تنظيم **الإسبتاريين** ينقسم إلى **ثلاث فئات**: فرسان العدل الذين هم من أصل نبيل (نبلاء) وأصبحوا فرساناً. القساوسة الذين يقومون على تلبية الإحتياجات الروحية للتنظيم. إخوان الخدمة وهم الذين ينفذون الأوامر الصادرة إليهم.



قلعة الحصن أو حصن الأكراد: هي قلعة تقع ضمن سلاسل جبال الساحل السوري غربي حمص بـ ٦٠ كم في سوريا ، في ١١٤٤م، قام ريموند الثاني أمير طرابلس بتسليمها إلى فرسان القديس يوحنا المعروفين بالاسبتارية أو فرسان المشفى ، و منذ ذلك الحين بدأ المكان يعرف باسم حصن الفرسان ، و قد أعاد الاسبتارية بناء الدفاعات الجديدة للقلعة، و قامو بترميمها بعد الزلزال الذي أصابها عام ١١٥٧م وتعد من أجمل القلاع الصليبية في الشرق .

قاعة الفرسان (الاسبتارية)

قلعة الحصن: قلعة لعبت دوراً ريادياً في أحداث الحروب الصليبية وكانت واحدة من أكثر المواقع الصليبية صموداً.

أنشئت قلعة الحصن في العام ١٠٣١م ، على يد أمير حمص حيث وضع حامية كردية في الموقع، وأسماه **حصن الأكراد** . سقط الموقع عام ١٠٩٩م، بيد الأمير الصليبي **ريموند دي صنجيل**، الذي شن الحملة الأولى على المسلمين قرب الموقع، واحتله لفترة وجيزة في ١١٠٣م، لكن أمير حمص استعاد الموقع من الصليبيين ١١١٠م، بيد أن تانكريد أمير أنطاكيا الصليبي احتل القلعة والحقها بكونتية **طرابلس**، ومنذ ذلك الحين باشر ببنائها على الطراز القائم حالياً. تمتاز القلعة بلون حجارتها الكلسية التي كانت تجلب من مسافة ٤ كم من بلدة مجاورة تدعى(عمار الحصن) وميزة الحجر الكلسي أنه طيع أثناء النحت وخفة الوزن.



برج القائد

لهذا الحصن ثلاثة أبواب مفتوحة على الخندق، ويمتاز بأبراجه العالية. ويتألف من طابقين. الأرضي ويضم فسحة سماوية تحيط بها الأقبية والعنابر وقاعة الاجتماعات، والكنسية والمطعم والحجرات والمعاصر. والعلوي ويحتوي على أسطح مكشوفة ومهاجع وأبراج. ويرى في هذه الصورة مؤلف ومصمم الكتاب أمام برج القائد في الدور العلوي .



الزحف الصليبي على دمياط (مصر)

دعـا **البابا** أنوسنت الثالث لحملة صليبيـة جديدة سنة ١٢١٣ م، وأعلن أن هـذه الحملة يجب أن تتجه نحو الشـام مباشـرة. ووصلت الحملة الصليبيـة إلى الشام في سنة ٦١٥ هـ، تحت زعامة ليبـود السادس (دوق النمسا) وأنديريه الثاني (ملك هنغاريا) ثم لحق بهما، بهمايهو (ملك قبرص). واجتمعوا في عكّا في شهر أكتوبر ١٢١٧ م، وقرروا البدء بمهاجمة **القلعة الجديدة** التي شيدها **العادل** على جبل الطور للسيطرة على إقليـم الجليـل واتجه إليهم **الملك العادل** ، ولكنـه آثر الانسحاب من وجههم فاستولـوا على بيسان، ثم عبروا الأردن وأوغلوا حتى وصلوا إلى نوى (وينسب إليها الإمام المحدث النووي، صاحب رياض الصالحين).

ووجـه العـادل اهتمامه إلى الدفاع عن **دمشـق وبيت المقدس**، واتجه **الصليبيـون** إلى قلعة الطور ولكنهم عجـزوا عن الاستيـلاء عليها ثم عاد ملك هنغاريا (المجر) إلى بلاده، ولم تحقق حملته مع ملك النمسا شيئاً سـوى هـدم حصن الطور الذي هدمه العادل بنفسه، لما رأى ما يجره عليه مـن عداء الصليبيين. أما دعوة حنّا بريـن، لمهاجمـة **مصر** لأنها عند الصليبيين هي مفتاح بيت المقدس لذلـك تدفقت جموع الصليبيين إلى الشام استجابـة لدعـوة البابا أنوسنت الثالث، والملك حنّا برين. وخرج **حنّـا برين** لمهاجمة مصر ومعه تلك الجموع والإسبتاريـة والداويـة والقبارصة قاصداً **دمياط** فـي ٦١٦ هـ ١٢١٨ م، وكان حنّا زعيـم الحملة، **ولم ينس الصليبيـون أن يتصلـوا بملك الحبشـة النصراني**، ليعاونهم في ضـرب المسلمين والإسلام **عن طريق غـزو الحجـاز وهـدم الكعبـة**. ووصلـت سفنهم دمياط، وعلم الملك **الكامل** ابن الملك العادل بوصولهم، فأسرع بالتحرك نحو جنوب دمياط.



هجوم الصليبيين على دمياط

بينمـا رسـا الصليبيون على الضفـة الغربية للنيل، وأخـذ الصليبيـون يهاجمون برج السلسلة ثلاثة أشهر ثم استولوا عليه فـي نهايتها، وقد حاول المسلمون إقامة العوائق في النيل حتى لا تدخله سفن الصليبيين ولكن الصليبيين أفسدوا هذه العوائق .

وانتظـر حنّـا بريـن في مواجهة الجيوش الإسـلامية حتى جـاءه مدد من أوروبا على رأسـه الكـاردينال (بلاجيوس) مندوب البابا والقائد الأعلى للصليبيين في حملتهم على مصر، وحاول **الملك المعظم** أن يشغل **الصليبيـين** عـن **مصر** فهاجم قيسارية واستولى عليها، لكنه لم يستطع المضي في الاستيلاء على ما يريد من القلاع والحصون، وتوفي الملك العادل في جمادى الثانية سـنة ٦١٥ هـ- ١٢١٨ م ، وخلفه **ابنه الكامل** في





هجوم الصليبيين على مصر

الحكم على مصر، وابنه الملك المعظم على دمشق.

وفي شهر رجب من نفس العام هاجم **الملك الكامل الصليبيين** في **دمياط** ولكن الصليبيين تغلبوا عليه، ولم يمض إلا قليل من الوقت حتى دبر الأكراد مؤامرة للإطاحة بالملك العادل ففر منهم، فلما رأى الجند فرار الملك تخاذلوا وانصرفوا فعبر الصليبيون النيل إلى الضفة الشرقية وأصبح سقوط دمياط مسألة وقت، لكن وصول الملك المعظم لنجدة أخيه أخرت الأمر بعض الشيء.

وصادف ذلك جيوش جنكيز خان للدولة الخوارزمية، فاضطرب الكامل وأحس أن حماية الجبهة الإسلامية الشرقية من المغول عمل ضروري فعرض الصلح على الصليبيين، فرفض الصليبيون وبخاصة **بلاجيوس** مندوب البابا هذا الصلح، وإن قبله حنّا برين. فهاجم الصليبيون معسكر الكامل، وفشلوا في ذلك ومنوا بهزيمة ولكنهم ظلوا محاصرين لدمياط، وجاءتهم نجدة من الإنجليز والفرنسيين في حين ساءت الأحوال في مصر وغلت الأسعار (وأصبحت قيمة البيضة بدينار من الذهب) **فسقطت دمياط في أيدي الصليبيين سنة ٦١٦ هـ - ١٢١٩ م**، وأعملوا القتل في أهلها والإفساد لكل ما فيها، ثم اتخذوا منها مركزاً وحصناً يهددون منه القاهرة ويتحكمون منه في شرق البحر المتوسط. وفي ذلك الوقت كانت جيوش التتار قد وصلت إلى قرب بغداد واستنجد الخليفة العباسي بالملك الأشرف أخي الملك الكامل، ولكن الأشرف اعتذر بأنه ذاهب لنجدة أخيه ضد الفرنج. وقد اغتر **الصليبيون** باستيلائهم على **دمياط** ورفضوا عروضاً من الملك الكامل كانت مغرية حقاً ليجلوا عن دمياط. فاتجهوا إلى مهاجمة **القاهرة** وتحركوا نحوها في أواخر يونيو١٢٢١ م، ٦١٩ هـ.



موقعة حصار دمياط سنة ٦١٦ هـ - ١٢١٩ م

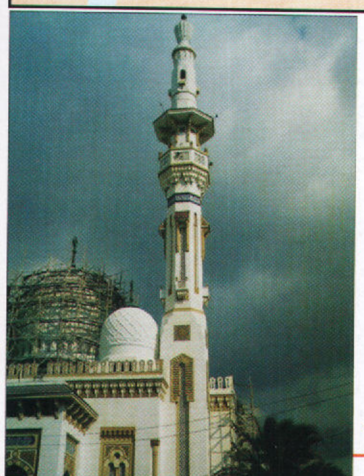
كان الملك الكامل الأيوبي؛ نقل معسكره إلى فارسكور حيث خيم بالمنزلة الجديدة التي شيدها على الشاطئ الشرقي للنيل (المنصورة) وجمع الملك الكامل وأخواه المعظم والأشرف كل قوة يمكنهم جمعها واستعدوا لمواجهة الصليبيين. **وعرض الملك الكامل على الصليبيين عرضه من جديد**، ولكنهم أبوا وشرعوا في التحرك نحو **القاهرة** وتقدموا وسط مثلث تحيط به المياه من ثلاث جهات: هي بحيرة المنزلة من الشرق، وفرع دمياط من الغرب، والبحر الصغير من الجنوب. ووقفت السفن الإسلامية في النيل لتسد الطريق عليهم وتمنعهم من الاتصال بمركزهم في دمياط وكان وقت الفيضان للنيل، فقطع المسلمون السدود فغرقت أكثر الأرض المحيطة بالصليبيين ولم يبق لهم للعودة إلى دمياط سوى طريق ضيق ملأه الملك الكامل بالقوات العسكرية التي أخذتهم وهم يحاولون العودة على دمياط .

وساء موقف الصليبيين وتجمدوا عند البرامون فلا يستطيعون المضي ولا العودة ولا يستطيعون القتال في الوحل؛ فطلبوا الصلح هم هذه المرة، خانعين طالبين النجاة بأنفسهم فقط؛ فأجابهم الملك الكامل إلى ذلك بشرط أن يرسلوا له **برهائن من الملوك** حتى يسلموا دمياط للمسلمين، وجلوا عن دمياط في رجب سنة ٦١٨ هـ - سبتمبر ١٢٢١ م، ودخلها الملك الكامل والمسلمون. **وهكذا فشلت الحملة الصليبية الخامسة التي دعا إليها حنّا برين، والبابا أنوسنت الثالث وعادت من غزو مصر بالخزي والمذلة والانسحاب .**



مخطط معركة المنصورة في الحملة الصليبية الخامسة

في ٣٠ مايو ١٢١٨م، وصلت طلائع الحملة الصليبية الخامسة بقيادة حنّا دي برين أمام **دمياط** واستطاعت الحملة الاستيلاء عليها، ونجحوا لمدة ١٦ شهراً، وبعد أن تم الاستيلاء على دمياط وتحصينها تقدموا لمنازلة جيش الملك الكامل الذي تجمع أمام **المنصورة** وكان يفصل بين الجيشين فرع دمياط وبحر أشمون، وقطع الملك الكامل الطريق بين الفرنجة ودمياط. وشيد تحصينات قوية على النيل جنوب دمياط، وطلب **الصليبيون** الصلح على أن يخرجوا من دمياط والبلاد كلها .. ورحل **الصليبيون** إلى بلادهم ودخل الملك الكامل دمياط و أرسلت البشائر بتحرير **دمياط** إلى جميع الدول الإسلامية.



جامع النصر بمدينة المنصورة



شاطئ مدينة دمياط



جامع محمد علي داخل قلعة صلاح الدين بالقاهرة

قلعة صلاح الدين الأيوبي بالقاهرة، مصر. بناها **صلاح الدين الأيوبي** في الفترة ١١٧٦م حتى ١١٨٣م، باستخدام أسرى نورمان. أضاف إليها محمد علي مسجده. كانت مقراً لحكم مصر **منذ عهد صلاح الدين الأيوبي** (١١٨٣) حتى نقل الخديوي إسماعيل مقر الحكم إلى قصر عابدين، الذي بناه لهذا الغرض في عقد ١٨٦٠م.

قلعة صلاح الدين الأيوبى تقع في حي "القلعة" - قسم الخليفة - وقد أقيمت على إحدى الربى المنفصلة عن جبل المقطم على مشارف مدينة القاهرة. وتعتبر قلعة صلاح الدين الأيوبى بالقاهرة من أفخم القلاع الحربية التى شيدت في العصور الوسطى فموقعها استراتيجي من الدرجة الأولى بما يوفره هذا الموقع من أهمية دفاعية لأنه يسيطر على مدينتي القاهرة والفسطاط، كما أنه يشكل حاجزاً طبيعياً مرتفعاً بين المدينتين كما أنه بهذا الموقع يمكن توفير الاتصال بين القلعة والمدينة في حالة الحصار كما أنها سوف تصبح المعقل الأخير للاعتصام بها في حالة إذا ما سقطت المدينة بيد العدو. ولقد مر بهذه القلعة الشامخة الكثير والعديد من الأحداث التاريخية حيث شهدت أسوارها أحداثاً تاريخية مختلفة خلال العصرين الأيوبي والمملوكي وزمن الحملة الفرنسية على مصر سنة ١٧٩٨م، وحتى تولى محمد على باشا حكم مصر حيث أعاد لها ازدهارها وعظمتها. ولقد كان السلطان الناصر **صلاح الدين يوسف بن أيوب** أول من فكر ببناء القلعة على ربوة الصوة في عام ٥٧٢هـ/١١٧٦م حيث قام وزيره بهاء الدين قراقوش الأسدي بهدم المساجد والقبور التي كانت موجودة على الصوة لكي يقوم ببناء القلعة عليها حيث قام العمال بنحت الصخر وإيجاد خندقاً اصطناعياً فصل جبل المقطم عن الصوة زيادة في مناعتها وقوتها. ويكبيديا، الموسوعة الحرة على النت .



حاول الصليبيون جاهدين بعد سقوط دمياط من الاتجاه نحو القاهرة عبر نهر النيل؛ لكن المصريين هزموهم في معركة المنصورة

كتب الدكتور جوزيف نسيم يوسف، أستاذ تاريخ العصور الوسطى بكلية الآداب بجامعة الإسكندرية عن الغزو الصليبي: أثبتت الأحداث التي كان مسرحها العالم العربي منذ القدم حتى يومنا هذا، أن الحروب الصليبية تمثل حلقة من حلقات الاستعمار ومرحلة من مراحله، وإن كان لها وضعها الخاص في تاريخ الاستعمار مما يتفق والظروف التي صاحبت قيامها. وقد اعترف عدد غير قليل من المؤرخين الغربيين الحديثين المعنيين بالعدوان الصليبي بحقيقة أبعاده ومراده .... دراسات في تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب، ص ٣٧



جامع عمرو بن العاص بمصر القديمة



أهم مصادر ومراجع الباب السابع

١ - مجلة التاريخ العربي ، أعداد مختلفة .

٢ - رنيه كروسيه، الحروب الصليبية صرع الشرق والغرب، ترجمه عن الفرنسية وعلق عليه ، أحمد ايبش ، دار قتيبة - دمشق - سوريا .

٣ - د . جوزيف نسيم يوسف، دراسات في تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى، مؤسسة شباب الجامعة للنشر والتوزيع، ١٩٨٣ م .

٤ - انتوني بردج، تاريخ الحروب الصليبية، نقلها إلى العربية، أحمد غسان سبانو ونبيل الجيرودي، نشر وتوزيع دار قتيبة، دمشق ، راجعه د . سهيل زكار.

٥ - موسوعة ويكبيديا على الشبكة العنكبوتية .

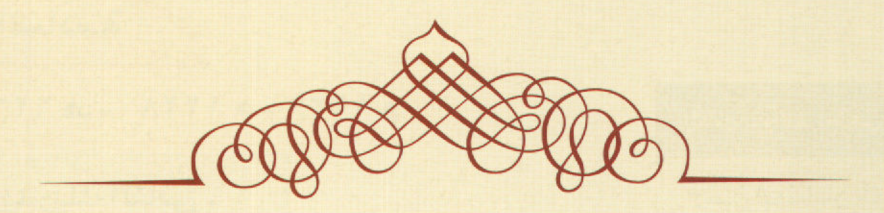
٦ - سامي بن عبد الله المغلوث، الحملات الصليبية على المشرق الإسلامي في العصور الوسطى . دار الوراق، طبع ونشر ١٤١٩ هـ .

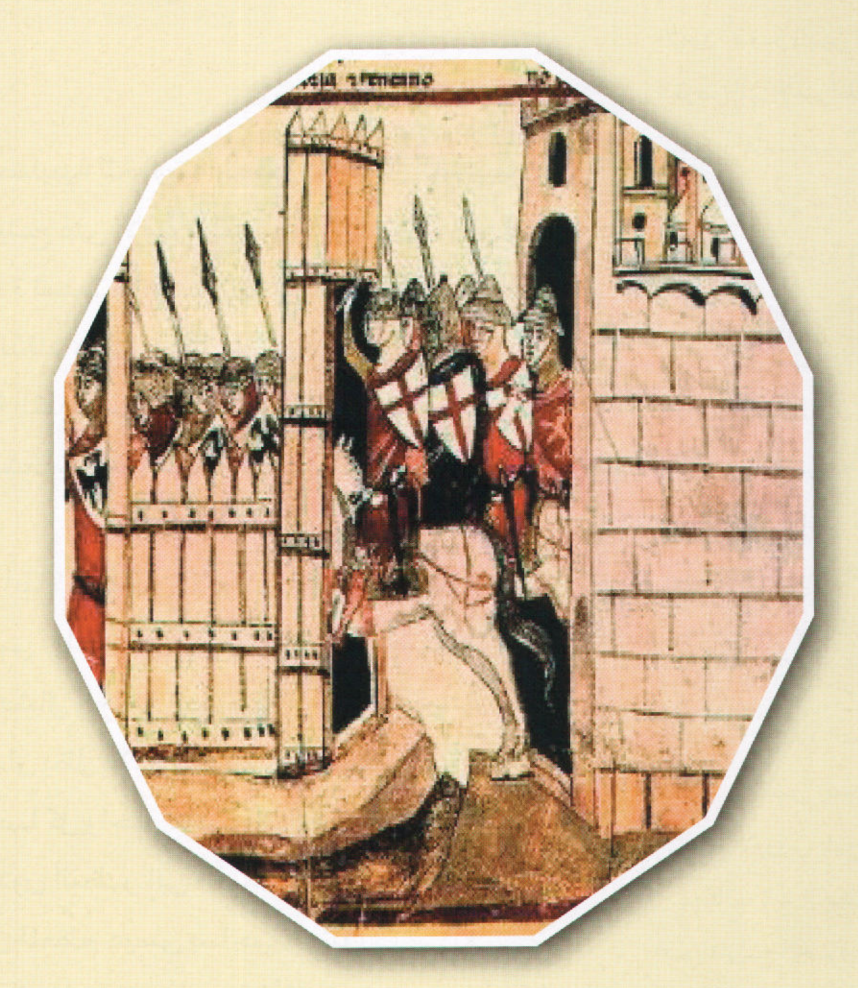
٧ - محمد العروسي المطوي،الحروب الصليبية في المشرق والمغرب .دار الغرب الإسلامي، ط . ١٩٨٢ م .

٨ - Google Earth



الباب الثامن





الحملة الصليبية السادسة

 اتفاقية يافا وتسليم بيت المقدس للصليبيين

☆ استرداد بيت المقدس مرة ثانية على يد الملك الصالح أيوب





الحملة الصليبية السادسة

سـنة ٦٢٥ هـ - ٦٢٦ هـ - ١٢٢٨ م - ١٢٢٩ م.

قادة الحملة : فريدريك الثاني .

سـبب الحملة :

بعد فشل الحملة الصليبية الخامسة؛ تدهورت أحوال الصليبيين في المشرق فأخذ **البابا** يلح على الإمبراطور **فريدريك الثاني** لإعداد حملة صليبية جديدة تستعيد هيبة الصليبيين والكنيسة الغربية فتقاعس الإمبراطور لذلك مما أدى إلى إصدار قرار كنيسي بحرمان الإمبراطور من رحمة الكنيسة، فخشي الإمبراطور غضب البابا فخرج ملبياً طلبه مستغلاً الانشقاق داخل البيت الأيوبي والفرصة الذهبية التي أتته من العادل ؟!.

لقد كان لتضامن أبناء السلطان الأيوبي (العادل) الثلاثة :الكامل محمد، والمعظم عيسى، والأشراف موسى؛ أثره الواضح في تحقيق النصر في دمياط، وإفشال الحملة الصليبية الخامسة بقيادة "حنّادي برين" ، وكان المأمول أن يظل هذا التحالف قوياً، لكن ذلك لم يحدث، فانفرط العقد، وانكفأ كل واحد منهم حول ذاته، يعظّم من شأن مصالحة ومكاسبه دون النظر إلى مصلحة أمته؛ فشبّ صراع بين الكامل وأخيه السلطان المعظّم عيسى صاحب دمشق .

واستعان كل واحد منهما بقوة خارجية لمؤازرته في مواجهة الأخر ، فأستنجد الملك المعظّم؛ بالسلطان جلال الدين بن خوارزم شاه سلطان الوله الخوارزمية، في حين استعان السلطان الكامل بالإمبراطور فريدريك الثاني صاحب صقلية وإمبراطور الدولة الرومانية المقدسة في غربي أوروبا. وكان الثمن الذي أعلنه السلطان الكامل للإمبراطور فريدريك هو تسليمه بيت المقدس وجميع فتوح صلاح الدين بالساحل الشامي، وذلك مقابل مساعدته في حربه ضد أخيه المعظّم ، وياله من

الكامل .. والتفريط في بيت المقدس

أرسل السلطان الكامل مبعوثه الأمير "فخر الدين يوسف" بهذا العرض إلى الإمبراطور فريد ريك الثاني، فأحسن فريدريك استقباله في صقلية. ورد على السلطان بسفارة مماثلة، وقد دعم هذا العرض السخي ما كان يعتمل في نفس الإمبراطور من القيام بحملة صليبية إلى الشام، وقطع تردده في النهوض بهذه المهمة التي كان يستحثه البابا جريجوري التاسع على النهوض بها: فغادر **صقلية** في (رجب ٦٢٥هـ=حزيران ١٢٢٨ م)قاصداً بلاد الشام، ممنياً نفسه بيت المقدس، وبمجد يحققه يظل التاريخ الأوروبي يلهج بذكره .

وكانت تلك الحملة التي عرفت في تاريخ الحروب الصليبية بالحملة الصليبية السادسة من أعجب الحملات : فلم يتجاوز أفرادها ستمائة فارس فقط ، وأسطول هزيل ، وكأن الإمبراطور فريدريك جاء إلى الشام ليفاوض لا ليحارب،أو أتى إلى الشرق في نزهة جميلة .





ثمن غالٍ في مقابل هدف غير نبيل .

وإذا كان السلطان الكامل قد عرض تسليم القدس للصليبيين مقابل الجلاء عن دمياط، فإنه قد يلتمس له البعض العذر فيما أقدم عليه؛ فإن هول المصيبة قد أطاش بلبّه، وأعجزه عن التفكير السليم، ولكن ليس له عذر في عرضه الثاني، فضلاً عن كونه لا يملك الحق في هذا التنازل أصلاً ، وهذا من أعجب ما يقابله الإنسان في تصفحه للتاريخ الإسلامي : تفريط دون حاجة، وتنازل مقابل أهداف غير نبيلة. وعندما وصل إلى "عكّا" وجد الأمور على غير ما يتمنى ، فالسبب الذي من أجله استدعاه السلطان الكامل قد زال وانتهى، فالملك المعظّم عيسى الذي كان يعمل على التوسع على حساب أخوته وأهل بيته قد توفي، فلم تعد هنالك حاجة تدعوا السلطان الكامل إلى الوفاء بوعده للإمبراطور فريدريك، بعد أن اقتسم الأخوان الكامل محمد والأشراف موسى ممتلكات أخيهما المعظّم عيسى مثير القلاقل، وعادت الأمور في البيت الأيوبي إلى الهدوء والاستقرار إلى حد ما .



الإمبراطور فريدريك الثاني



سلاح المفاوضات الاستعطافي وتسليم بيت المقدس



مرتسم أوروبي لفريدريك والكامل

ساء موقف الإمبراطور فريدريك الثاني من تغير الأوضاع، ولم يبق له سوى سلاح المفاوضة والاستعطاف، لتحقيق الهدف الغالي والأمل المنشود؛ فأرسل سفارة إلى السلطان الكامل تحمل له هدايا نفيسة، وتطلب منه الوفاء بما تعهّد به للإمبراطور، وتسليم بيت المقدس له، وكان طبيعياً أن يرفض السلطان الكامل هذا الطلب بعدما تبدلت الأحوال التي ألجأته إلى القيام بهذا العرض، غير أن رفض السلطان زاد من إصرار الإمبراطور على تكرار الطلب، والمبالغة في استمالة السلطان واستعطافه إلى حد التذلل والبكاء، وبلغ به الأمر إلى أنه كتب للسلطان الكامل في أثناء المفاوضات: "أنا مملوكك وعتيقك وليس لي عما تأمره خروج، وأنت تعلم أني أكبر ملوك البحر، وقد علم البابا والملوك باهتمامي وطلوعي، فإن رجعت خائباً انكسرت حرمتي بينهم !... فإن رأى السلطان أن ينعم عليّ بقبضة البلد والزيارة، فيكون صدقة منه، ويرتفع رأسي بين ملوك البحر".

أفلحت هذه السياسة وأثمرت استعطافات فريدريك في استمالة قلب السلطان الكامل، وكان رجلاً متسامحاً، ففرّط فيما لا يملكه، وتسامح فيما لا يجوز التسامح فيه، ووافق على تسليم بيت المقدس دون أن يبذل الإمبراطور في الاستيلاء عليه قطرة دم، أو ضربة سيف، أو طعنة رمح، وإنما فاز ببيت المقدس بدمعة عين، وخداع نفس، وحقق ما عجز عن تحقيقه ريتشارد قلب الأسد بجيوشه الضخمة وإمكانياته الكبيرة.

واتفق الفريقان على عقد اتفاقية يافا في (٢٢ من ربيع الأول ٦٢٦هـ = ١٨ من فبراير ١٢٢٩م) انظر المستند.

اتفاقية يافا

مستند اتفاقية يافا بين الملك الكامل وفريدريك الثاني

١ - الصلح بين الطرفين لمدة عشر سنوات، على أن يأخذ الصليبيون بيت المقدس وبيت لحم والناصرة وصيدا، وقسم من دائرة صيدا وطورون (تبنين حالياً).

٢ - أن تبقى مدينة القدس على ما هي عليه، فلا يُجدّد سورها، وأن يظل السور بما يضمه من المسجد الأقصى وقبة الصخرة بأيدي المسلمين، وتُقام فيه الشعائر، ولا يدخله الصليبيون إلا للزيارة فقط.



في ١٨ مارس ١٢٢٨ م ، توّج فريدريك الثاني نفسه بنفسه في كنيسة القيامة، فقد رفض رجال الدين تتويج الإمبراطور المحروم من الكنيسة، وفرضت البابوية منعاً لممارسة الطقوس الدينية في القدس ، ودفع البابا مواليه إلى ممتلكات فريدريك في إيطاليا، فأسرع فريدريك إلى المغادرة ونشب صراع مسلح ضد الحبر الأعظم، والحق الهزيمة بالبابا؛ وفي سنة ١٢٣٠ م، ألغى البابا الحظر عن فريدريك وصادق في السنة التالية على معاهداته مع المسلمين.

لقد تمكن الصليبيون من اغتصاب المدينة المقدسة نحو تسع وتسعين سنة، منذ اغتصابهم الأول لها حتى استردادها منهم من قبل الخوارزمية، وذلك في فترات متقطعة على النحو التالي:

... - من عام ١٠٩٩ - عام ١١٨٧ أي ٨٨ سنة وهي الفترة التي قامت فيها المملكة اللاتينية والتي انتهت بتحرير القدس على يد صلاح الدين الأيوبي.

... - من عام ١٢٢٩ - عام ١٢٣٩ أي ١٠ سنوات وهي مدة المعاهدة الفردريكية الكاملية (اتفاقية يافا).

موقف المسلمين من اتفاقية يافا!

استنكر المسلمون المعاهدة الكاملية - الفردريكية (اتفاقية يافا) التي قضت بتسليم **القدس الشريف** إلى الصليبيين ومن مظاهر ذلك الاستنكار ما حدث بدمشق فقد بكى الناس فيها على ما جرى في بيت المقدس وزاد سخطهم على الملك؛ بسبب تحريض ابن أخيه الملك الناصر صاحبها، وبسبب دروس الحافظ **شمس الدين سبط بن الجوزي** مؤلف كتاب (مرآة الزمان عن فضائل بيت المقدس) فاجتمع في الجامع الأموي بدمشق عدد من الناس وعلت أصواتهم. واشتد بكاؤهم وأنشد الحافظ شمس الدين قصيدة بلغت أبياتها ثلاثمائة بيت منها :

على قبة المعراج والصخرة التي ... تفاخر ما في الأرض من صخرات
مدارس آيات خلت من تلاوة ... ومنزل وحي مفقر العرصات

هكذا استقبل المسلمون نبأ تسليم المدينة المقدسة بالأسى والحزن، وعم السخط أرجاء العالم الإسلامي، ويصور المقريزي ما حل بالمسلمين من ألم بقوله: "فاشتد البكاء وعظم الصراخ والعويل، وحضر الأئمة والمؤذنون من القدس إلى مخيم الكامل، وأذّنوا على بابه في غير وقت الأذان.. واشتد الإنكار على الملك الكامل، وكثرت الشفاعات عليه في سائر الأقطار".

ولما أحس السلطان الكامل أنه تورط مع الإمبراطور الصليبي؛ أخذ يهوّن من أمر تسليم بيت المقدس، ويعلن أنه لم يعط الصليبيين إلا الكنائس والبيوت الخربة، على حين بقي المسجد الأقصى على حاله.. غير أن هذه المبررات لم تنطل على أحد من الناس.

وظل بيت المقدس أسيراً في أيدي الصليبيين يشكو إلى الله ظلم الحكام وسوء تصرفهم، حتى نجح الخوارزميون في تحريره في (٣ من صفر ٦٤٢هـ = ١١ من يوليو ١٢٤٤م) .



استرداد بيت المقدس على يد الملك الصالح أيوب

بعد وفاة السلطان الكامل محمد سنة (٦٣٥هـ= ١٢٣٨م) تعرضت الدولة الأيوبية في مصر والشام لخطر الانقسام والفوضى، فاستولى الصالح نجم الدين أيوب على **دمشق** سنة (٦٣٦هـ = ١٢٣٩م)، وكان هذا إيذاناً بدخوله في صراع مع أخيه السلطان العادل الصغير بن الكامل؛ الذي خلف أباه على حكم **مصر والشام**، واستعان كل منهما بأنصار من البيت الأيوبي للوقوف في وجه الآخر، وفي غمرة الصراع قفز عمهما الصالح إسماعيل على "دمشق" واستولى عليها، وطرد الصالح أيوب منها، الذي شاء له القدر أن يقع في قبضة الناصر داود صاحب الأردن والكرك، ثم لم يلبث أن أفرج عنه، واتفقا معاً على القيام بحملة عسكرية على مصر والاستيلاء عليها من قبضة العادل الصغير.

ولاية الصالح أيوب:

كانت الظروف مهيأة تماماً لنجاح حملة الصالح أيوب؛ فكبار أمراء العادل الصغير مستاءون منه لاحتجابه عنهم، وانشغاله باللهو واللعب عن تدبر شئون الدولة؛ فقبضوا على سلطانهم اللاهي، واستدعوا أخاه الصالح أيوب لتولي مقاليد البلاد والذي دخل القاهرة في (٢٥ ذي الحجة ٦٣٧هـ= ١٧ يوليو ١٢٣٨م) وجلس على عرشها، واستأثر بها دون الناصر داود.

ولم يرض هذا الموقف الصالح إسماعيل صاحب دمشق، واستشعر الخطر بعد أن نمى إليه أن الصالح أيوب أراد أن يرضي حليفه الناصر داود صاحب الكرك، فاتفق معه على أن يساعده في الحصول على دمشق من الصالح إسماعيل الذي لم يجد قوة تقف إلى جانبه، **فسارع إلى التحالف مع الصليبيين ضد الصالح أيوب** في مصر والناصر داود في الأردن، وكان ثمن هذا التحالف غالياً، تعهد فيه بأن يعيد بيت المقدس إلى الصليبيين، ورجوع مملكة بيت المقدس إلى ما كانت عليه قديماً قبل صلاح الدين.

ولم يضع الصالح إسماعيل وقتاً وقرن عرض الخيانة بالعمل، **فبادر إلى تسليم بيت المقدس إلى الصليبيين ومعها طبرية وعسقلان وعدد من قلاع الشام التي كانت بأيدي المسلمين**، وأثار هذا التصرف الأحمق غضب المسلمين ونقمتهم في مصر والشام وسائر أنحاء العالم الإسلامي ورفضت حاميات بعض القلاع تسليم الحصون والقلاع، وهو ما دفع الصالح إسماعيل إلى القيام بحملات لتأديب تلك الحاميات لرفضها تنفيذ أوامره، وكانت فرحة الصليبيين طاغية من هذا العمل الذي جاءهم دون أن يضربوا فيه سيفاً أو يخسروا نفساً، وحصنوا قلعتي طبرية وعسقلان، ورابطوا ما بين يافا وعسقلان.

ضرب تحالف الخيانة:

ولكي يغري الصالح إسماعيل جموع الصليبيين على الاستمرار في التحالف وعدهم أن يعطيهم جزءاً من مصر إن ملكها؛ فانطلقوا إلى غزة عازمين غزو مصر، وحضر لمعاونتهم في غزو مصر جيش الصالح إسماعيل،



جيش الملك المنصور إبراهيم الأيوبي صاحب حمص، غير أن القوات الإسلامية كان لها رأي آخر غير رأي قادتها السفهاء، فانضمت إلى الجيش المصري وأبت أن تقاتل إخوانها المسلمين، وكان لهذه الخطوة أثرها؛ فحلت الهزيمة بالصليبيين حين تقابل الفريقان، وقتل منهم أعداد كبيرة وسيق الأسرى إلى **القاهرة**. واضطر الصليبيون إلى عقد الصلح مع سلطان مصر، وإن ظلت بأيديهم بيت المقدس وبعض القلاع التي تنازل عنها الصالح إسماعيل.

استرداد بيت المقدس:

ثم لم يلبث أن نشب النزاع مرة أخرى بين الصالحين إسماعيل ونجم الدين أيوب، ووقف الناصر داود هذه المرة مع الصالح إسماعيل، واتفقا على الاستعانة بالصليبيين ضد إخوانهم المسلمين، ولم يجد الصالح أيوب قوة تقف إلى جواره غير "**الخوارزمية**" الذين تفرقت بهم السبل بعد انهيار دولتهم ومقتل سلطانهم جلال الدين خوارزم شاه، فاستجابوا لدعوته، وقدموا بأعداد كبيرة إلى الشام، واتجهوا إلى دمشق فوجدوها قوية التحصين فتركوها، واستولوا على طبرية ونابلس، وواصلوا سيرهم حتى دخلوا مدينة بيت المقدس في (٣ صفر ٦٤٢هـ= ١١ يوليو ١٢٤٤م) واستولوا عليها دون مقاومة، **وكانت هذه آخر مرة يسترد فيها المسلمون بيت المقدس في عصر الحروب الصليبية**، وظلت بأيدي المسلمين حتى سقطت في **قبضة اليهود في عصرنا الحديث**، وهي تنتظر الآن من يفك أسرها ويعيدها إلى حظيرة المسلمين، وندعو الله ألا يطول الانتظار ويعين من يعمل على عودتها.

حطّين الثانية:

وبعد أن استرد الخوارزميون بيت المقدس واصلوا سيرهم إلى "غزة" واجتمعوا مع الجيش المصري الذي أرسله الصالح أيوب لمحاربة قوات الشام ومن ناصرها من القوات الصليبية، وتقابل الفريقان في **معركة غزة** في (جمادى الأولى ٦٤٢هـ = أكتوبر ١٢٤٤م)، وكان اللقاء رهيباً، حلت الهزيمة بالصليبيين، وقدرت خسائرهم بثلاثين ألف قتيل وثمانمائة أسير، وكانت هذه الهزيمة أضخم كارثة حلت بالصليبيين بعد معركة حطّين سنة (٥٨٣هـ= ١١٨٧م)، وبلغ من أثرها أن أطلق عليها "حطّين الثانية".

ولم يلبث أن انفصل الجيش المصري عن الخوارزميين الذين سمح لهم "**الصالح أيوب**" بالاستقرار في الشام على حساب الصليبيين، وواصل سيره، فأخذ **القدس والخليل ودمشق** وغيرها، ثم نازل الصليبيين، ونجح في استرداد قلعة طبرية (٦٤٥هـ= ١٢٤٧م)، ثم استولى على عسقلان في العام نفسه، **وبذلك نجح الصالح أيوب في توحيد مصر والشام تحت سلطانه** بعد أن أصبحت القاهرة ودمشق وبيت المقدس في قبضة يده، ووفد عليه في دمشق ملوك البيت الأيوبي الشام لتقديم فروض الولاء والطاعة. أحمد تمام، موقع إسلام لاين.





خرائط متنوعة عن بيت المقدس في الأطالس الأوروبية القديمة



خرائط متنوعة عن بيت المقدس في الأطالس الأوروبية القديمة



THE
LAND OF
MORIAH
OR
JERUSALEM
and the
ADJACENT COUNTRY.

Jewish Cubits.
Roman Miles.
English Miles.

A Temple on Mount Moriah
B Zion, or City of David
C Salem, or the Lower Town
D Bezeta, or the New Town

a Fountain Gate
b Dung Gate
c Valley Gate
d Corner Gate
e Ephraim Gate
f Fish Gate
g Fish Market
h Benjamins Gate
i Wood Market
j Sheep Gate
k Beast Market
l Pool of Bethesda
m Ophel, Dwellings of the Nethinims
n Horse Gate
o Water Gate
p Queens House
q Solomons House
r Upper Market
s House of the Mighty
f Davids House
t Herods House
v Hippodrome
m Millo
w Fort of Anthony
x Theatre
y Helens House
z Fort of Antiochus

Ramah · Gallim · Chephar-haammonai · Gibeon · Migron · Gibeah · Eleph · Baal-tamar · Bethany · Bethphage · Gethsemane · Mount of Olives · Brook Kidron · Valley of Jehoshaphat · Mount Calvary or Golgotha · Gittaim · Bahurim · Anathoth or Nob · Taralah · Mount Gihon · En-rogel · Zoheleth · Brook Cedron or Kidron · Valley of Hinnom · Kings Garden · Potters Field · Valley of Rephaim or of Giants · Valley or Kings Dale or Shaveh · Absaloms Pillar · Waters of Nephtoah · Zelzah · Rachels Sepulchre · Rama · Valley or Vale of · Bethlehem or Ephratah · Asahels Tomb · Baal-perazim · Bezek · Chimham · BENJAMIN · JUDA

Longitude East from the Fortunate Isles



أهم مصادر ومراجع الباب الثامن

١ - مجلة التاريخ العربي ، أعداد مختلفة .

٢ - مجلة البيان الإسلامية ، أعداد مختلفة.

٣ - د . مفيد الزيدي، موسوعة تاريخ الحروب الصليبية،دار أسمة للنشر والتوزيع، الأردن، عمّان، ط . الأولى ٢٠٠٤ م.

٤ - د . علي عبد الحليم محمود، الغزو الصليبي والعالم الإسلامي، دار عكاظ للطباعة والنشر .

٥ - موسوعة ويكبيديا على الشبكة العنكبوتية .

٦ - سامي بن عبد الله المغلوث، الحملات الصليبية على المشرق الإسلامي في العصور الوسطى . دار الوراق، طبع ونشر ١٤١٩ هـ .

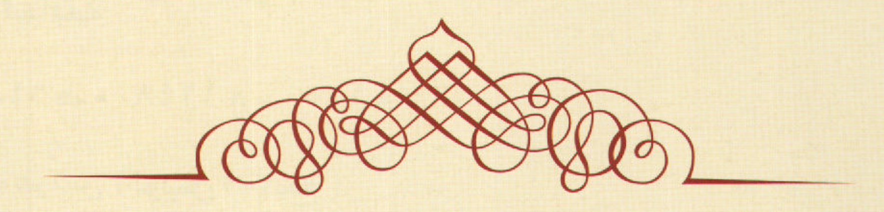
٧ - ابن تغري بردي، جمال الدين أبي المحاسن الأتابكي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة .

٨ - أحمد بن علي المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك .

٩ - موقع إسلام أون لاين على الشبكة العنكبوتية .



الباب التاسع





الحملة الصليبية السابعة




- لويس التاسع يغزو مصرا
- سقوط دمياط

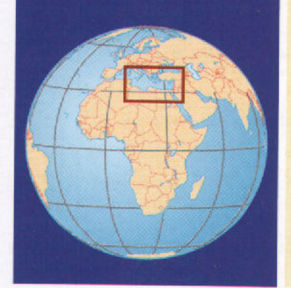




- معركة المنصورة الثانية
- وقوع لويس التاسع في الأسر




- الظاهر بيبرس
- موقعة عين جالوت





الحملة الصليبية السابعة

سنة ٦٤٦هـ - ٦٤٨هـ - ١٢٤٨م - ١٢٥٠م.

قادة الحملة : ملك فرنس (لويس التاسع)

سبب الحملة :



الملك الفرنسي (لويس التاسع)

كان لاسترجاع **بيت المقدس** من أيدي **الصليبيين** ردُّ فعل في أوروبا النصرانية تجلّى في الحملة الصليبية التي قام بها ملك فرنسا (لويس التاسع) فقد تجهز لحرب صليبية تجهيزاً عظيماً، واصطحب معه الكثير من الأمراء والأشراف بفرنسا.

وكان معه إخوته الثلاثة:

١ - روبرت دارتوا . ٢ - الفونس دو بواتييه . ٣ - شارل دانجو. كما كان معه المؤرخ الفرنسي لهذ الحملة (جوفرا دو سرجين) . وزوجته .

وكانت الفكرة السائدة في أوروبا منذ أواسط القرن الثاني عشر الميلادي؛ أن **مصر** ما دامت على قوتها وبأسها فلا سبيل إلى نجاح الحملات الصليبية واسترداد بيت المقدس من المسلمين؛ الذين نجحوا في استعادته من الصليبين مرة ثانية سنة (٦٤٢هـ= ١٢٤٤م) على يد الملك الصالح أيوب. إلا بشن حملة عليها، وتم التنسيق لذلك مع البابا أنوسنت الرابع والملك الفرنسي لويس التاسع، وشهد **مجمع ليون الديني** الدعوة لها سنة (٦٤٦هـ= ١٢٤٨م).

أبحر لويس من مارسيليا قاصداً الشرق ومعه زوجته وأخواه الثلاثة واتجهت الحملة إلى مصر مروراً بقبرص بجيش قوامه ٥٠ ألف مقاتل، ومنها تأخذ مسارها نحو بيت المقدس لاستردادها وهي هدف الحملة. ولم يكن هدف تلك الحلمة إعادة الاستيلاء على بيت المقدس، أو ضرب مصر باعتبارها قاعدة حربية هامة فحسب، وإنما استهدفت أيضاً هدفاً بعيد المنال، يتمثل في تكوين حلف نصراني وثني بين الصليبيين والمغول، يهدم الدولة الأيوبية في مصر والشام من ناحية، ويطوق العالم الإسلامي ويحيط به من الشرق والغرب من ناحية أخرى، أرسل البابا أنوسنت الرابع سفارتين إلى المغول لتحقيق هذا الغرض، غير أنهما لم يكللا بالنجاح .





شهدت مدينة ليون الفرنسية: مجمع ليون الكنسي سنة (٦٤٦هـ= ١٢٤٨م). والداعي إلى قيام حرب صليبية جديدة ضد المسلمين.



الصراع الأيوبي مع الحملة الصليبية السابعة على أرض مصر

١ علم الصالح أيوب بأنباء الحملة الصليبية السابعة وهو في بلاد الشام، وترامى إليه تجمع الحشود الصليبية في قبرص، واستعدادها لغزو مصر والاستيلاء عليها؛ فرجع إلى مصر على الرغم من مرضه، وبدأ في ترتيب أوضاعه العسكرية.

٢ وصول الأسطول الصليبي إلى المياه المصرية أمام دمياط (٢٠ من صفر ٦٤٧هـ= من يونيو ١٢٤٩م) وفي اليوم التالي؛ نزل الصليبيون إلى البر الغربي للنيل، ووقعت بينهم وبين المسلمين مناوشات انسحب بعدها الأمير فخر الدين وقواته المكلفة بحماية المدينة إلى المعسكر السلطاني .





استقبل الملك الصالح أيوب؛ أنباء سقوط **دمياط** بمزيج من الحزن والأسى، فأمر بنقل عدد من الفرسان الهاربين، وأنّب الأمير فخر الدين على تهاونه وضعفه، واضطر إلى نقل معسكره إلى مدينة **المنصورة**، ورابطت السفن الحربية في النيل تجاه المدينة، **وتوافد على المدينة أفواج من المجاهدين الذين نزحوا من بلاد الشام والمغرب الإسلامي.**



سفينتان عصريتان تمخران نهر النيل (فرع دمياط)



في الوقت الذي زحفت فيه الحملة الصليبية نحو القاهرة؛ توفي الملك الصالح أيوب في ليلة (النصف من شعبان سنة ٦٤٧هـ= ٢٢ من نوفمبر ١٢٤٩م) فقامت زوجته **شجرة الدر** بتدبير شئون الدولة بعد أن أخفت خبر موته؛ خوفاً من حدوث فتنة بين صفوف المسلمين. وفي الوقت نفسه أرسلت إلى توران شاه ابن زوجها وولي عهده تحثه على مغادرة حصن كيفا، بالقرب من حدود العراق، وعلى سرعة القدوم إلى مصر ليعتلي عرش البلاد خلفاً لأبيه.

تسربت أنباء وفاة الملك الصالح أيوب إلى الصليبيين فبدءوا في التحرك، وتركوا دمياط، وزحفوا جنوباً على شاطئ النيل الشرقي لفرع دمياط، وسفنهم تسير حذاءهم في النيل، حتى وصلوا إلى بحر أو قناة أشموم المعروف اليوم باسم "البحر الصغير"، فصار على يمينهم فرع النيل، وأمامهم قناة أشموم التي تفصلهم عن معسكرات المسلمين القائمة عند مدينة المنصورة. وتعين على الصليبيين لمواصلة الزحف أن يعبروا فرع دمياط أو قناة أشموم فاختار لويس التاسع القناة، فعبرها بمساعدة بعض الخونة، ولم يشعر المسلمون إلا والصليبيون يقتحمون معسكرهم، فانتشر الذعر بين الجند المصريين، واقتحم الصليبيون بقيادة "روبرت أرتوا" أحد أبواب المنصورة، ونجحوا في دخول المدينة وأخذوا يقتلون المصريين بكل قسوة، حتى وصلت طلائعهم إلى أبواب قصر السلطان نفسه، وانتشروا في أزقة المدينة، حيث أخذ الناس يرمونهم بالحجارة والطوب والسهام. وبينما هم على هذا الحال ضانين أن النصر صار بين أيديهم حقيقة لا خيالاً واطمأنت نفوسهم إلى هذا النجاح والظفر، انقض المماليك البحرية بقيادة "بيبرس البندقداري" على الصليبيين وهم في نشوتهم وغرورهم وذلك في (٤ من ذي القعدة ٦٤٧هـ= ٨ من فبراير ١٢٥٠م)، فانقلب نصرهم إلى هزيمة، وأوسعهم المماليك قتلاً حتى أهلكوهم عن آخرهم تقريباً بما في ذلك الكونت أرتوا نفسه.



مخطط معركة المنصورة في الحملة الصليبية السابعة

في اليوم التالي **لمعركة المنصورة**، عقد الأمير فارس الدين أقطاي القائد العام للجيش الإسلامي مجلس الحرب، عرض فيه على ضباطه معطف الكونت أرتوا ظناً منه أنها سترة الملك، وأعلن أن مقتل الملك يتطلب مهاجمة الصليبيين على الفور، مبرراً ذلك بقوله: "إن شعباً بدون ملك جسم بلا رأس، لا يُخشى منه خطر، وعلى ذلك أعلن أنه سيهاجم الجيش الصليبي بلا تردد". وفي فجر يوم الجمعة (٨ من ذي القعدة ٦٤٧هـ = ١١ من فبراير ١٢٥٠م) بدأ الجيش المصري هجومه على معسكر الصليبيين، لكن الملك لويس، تمكن من الثبات بعد أن تكبد خسائر فادحة، وبذلك انتهت **معركة المنصورة الثانية**، وهي المعركة التي أيقن الصليبيون بعدها أنهم لن يستطيعوا البقاء في مراكزهم، وأن عليهم الانسحاب إلى دمياط قبل فوات الأوان.

ش

نهر النيل (فرع دمياط)

بحر أشمون (أشموم)

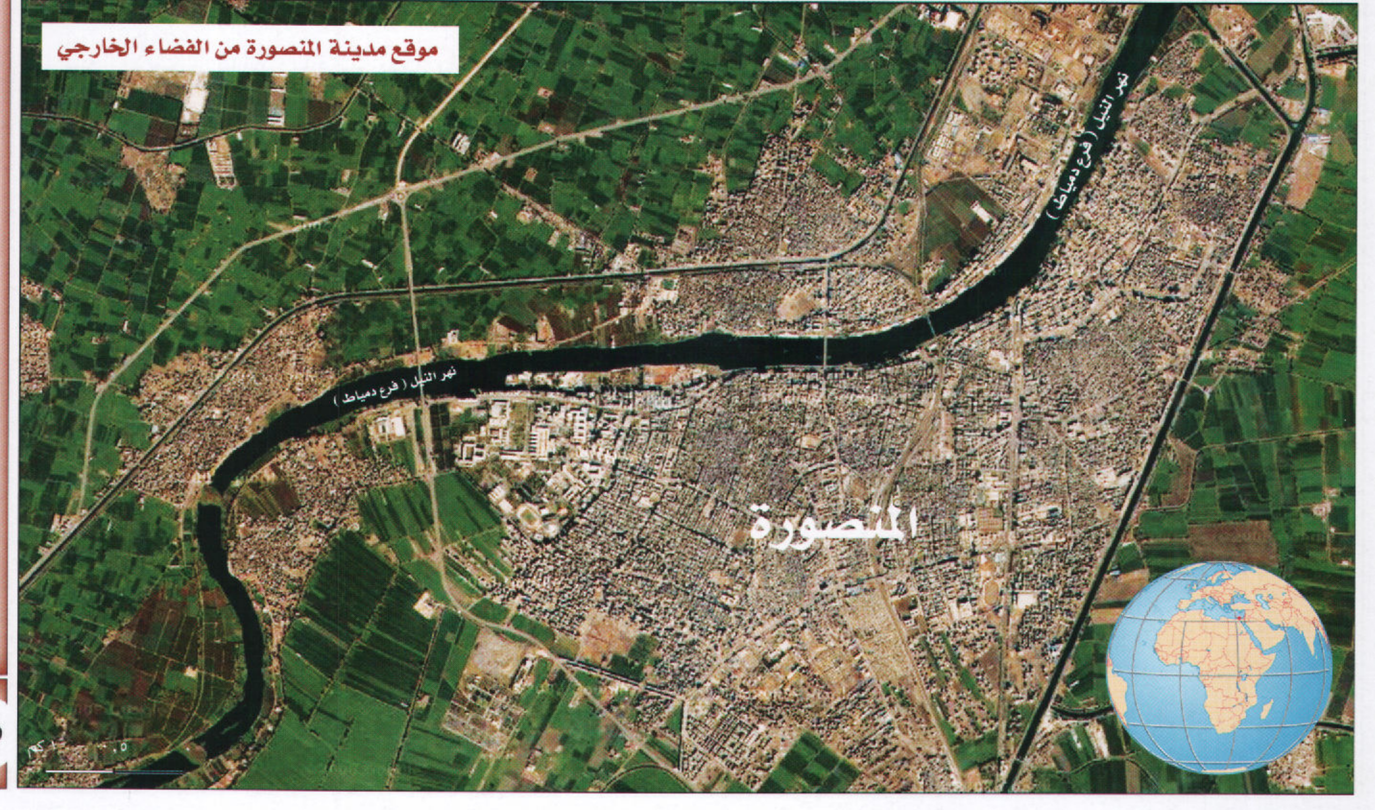
المنصورة

المشهد الثالث والأخير

الجيش الصليبي

الجيش الإسلامي

١٠ كم ٥ ٠

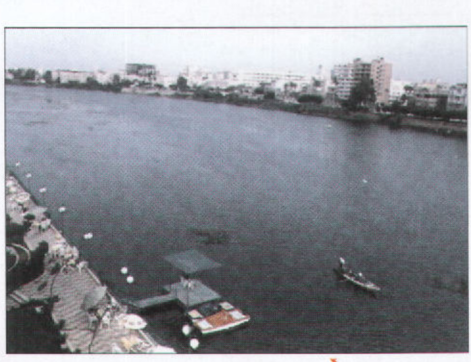


موقع مدينة المنصورة من الفضاء الخارجي



موقف الصليبيين بعد معركة المنصورة الثانية

استطاع المسلمون بقيادة الملك طوران (توران شاه) آخر ملوك الأيوبيين حصر الصليبيين الغزاة في مدينة المنصورة، فلقي كثير من الفرسان الصليبيين ممن لم يتسن لهم اللجوء إلى القلعة حتفهم، وبعد فترة اغرق المسلمون الأسطول الصليبي الراسي قرب المنصورة، وقطعوا اتصال الفرسان مع دمياط التي كانت قاعدة تموينهم، وتحت طائلة الموت جوعاً فر الصليبيون من المنصورة وفتكت بهم قوات المسلمين فزال جيشهم من الوجود كقوة مقاتلة، ووقع منهم الآلاف في الأسر، وكان ملك فرنسا (لويس التاسع) بين الأسرى، حيث أُسِر في قرية منية أبي عبد الله (حالياً ميت الخولي عبد الله) بمحافظة دمياط وسرعان ما انتشرت الأمراض بين الأسرى كالملاريا والدزنطاريا والإسقربوط ، حتى إن الملك أخذت أسنانه تسقط وتعين حمله لقضاء حاجته، وفي مايو ١٢٥٠م، أُخلي سبيل لويس مقابل فدية ضخمة ٨٠٠ ألف بيزنطي أو ٢٠٠ ألف ليرة شريطة أن يغادر الصليبيون دمياط، فوصلت بقاياهم إلى عكّا كيفما اتفق.



مدينة المنصورة

بقي لويس في عكّا أربع سنوات ، دعا فيها البارونات إلى حملة صليبية جديدة، ولكن الدوقات والكونتات والبارونات والفرسان تجاهلوا هذه الدعوة، فغادر لويس التاسع عكّا في إبريل ١٢٥٤ إلى فرنسا.



نهر النيل (فرع دمياط)

المماليك

ينقسم المماليك إلى قسمين:

١- **المماليك البحرية** وهم الذين أسكنهم الملك الصالح الأيوبي قلعة في جزيرة الروضة، ونسبوا إلى بحر النيل، أو سمّوا بذلك لأنهم قدموا من وراء البحار، وهؤلاء حكموا مصر من سنة (٦٤٨-٧٨٤هـ/ ١٢٥٠-١٣٨٢م) وتداول عرش مصر في عهدهم أربعة وعشرون سلطاناً .

٢- **المماليك البرُجية** أو الجراكسة، وسُمّوا بذلك لأن السلطان قلاوون أسكنهم أبراج قلعة الجبل، ولأن الجراكسة كانوا أكثر عدداً وهؤلاء حكموا مصر من سنة (٧٨٤-٩٢٣هـ/ ١٣٨٢-١٥١٧م) وهم ثلاثة وعشرون سلطاناً.

ويبدأ تاريخ المماليك، مع انتصار المماليك البحرية الذين أبلوا بلاء حسناً في مقاومة تلك الحملة أن يقيموا دولتهم **على أنقاض دولة الأيوبيين في مصر**؛ فلم يكد يمضي شهر من تحقيق هذا النصر حتى تخلص المماليك من توران شاه ، وأقاموا **شجرة الدر** سلطانة على مصر، وكان ذلك إيذاناً ببزوغ عصر دولة سلاطين المماليك في مصر والشام.

ولم يأخذ المماليك بمبدأ وراثة العرش، وإنما كان الطريق مفتوحاً أمام من أبدى شجاعة وإقداماً ومقدرة. هذه هي المؤهلات في دولة المماليك التي قامت على أنقاض دولة الأيوبيين، وبعد مقتل توران شاه آخر سلاطين الأيوبيين بمصر.

* * *



خروج لويس من مصر إلى عكّا بعد إطلاق سراحه بفدية

دار ابن لقمان الذي سجن فيه لويس التاسع

عملة لويس التاسع - متحف اللوفر (فرنسا)

١ بعـد انتصـار الجيش الإسلامي المصري، على جيش الحملة الصليبية السابعـة بقيادة لويس التاسع، أسر لويس واقتيد إلى شجرة الدر، فأمرت بسجنه في سجن المنصورة، فجعل لويس يفاوض على إطلاق سراحه، ويعرض لقاء ذلـك مبالـغ خيالية **تقدر بالملايين**، فوافقت أخـيراً شجرة الدر بشـرط أن يتم تسليم نصف المبلـغ قبل إطلاق سراحـه فأطلقتـه، وأقسم لشجرة الدر بعدم العودة إلى مصر مرة أخـرى، ولكنه ما إن وصل عكّا، حتى نكث عهده وقسمه، وبدأ يجهز جيشاً صليبياً لا ستعادة بيت المقدس .

٢ بقـي لويـس في عكّا أربع سنوات، دعا فيها البارونات إلى حملـة صليبية، ولكن الدوقات والكونتات والبارونات والفرسان تجاهلوا هذه الدعوة، فغادر لويس التاسع عكّا في إبريل ١٢٥٤م إلى فرنسا.



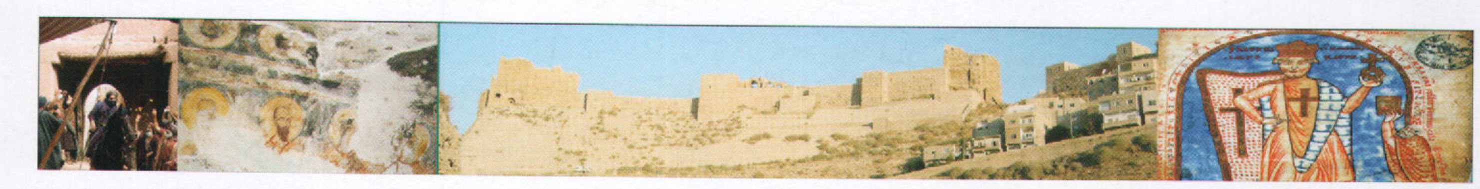
الظاهر بيبرس بطل المرحلة القادمة ضد الصليبيين والمغول

ولد **بيبرس** عام ٦٢٠ هـ/ ١٢٢٣ م. وهو تركي الأصل، اشتراه الأمير أيدكين البندقداري، ثم باعه للسلطان الأيوبي الصالح نجم الدين أيوب (ت. ٦٤٧ هـ/ ١٢٤٩ م)، فتدرج في الحلقة، وترقى في سلك الجندية، ليصبح من كبار أمراء المماليك الصالحية (نسبة إلى الصالح نجم الدين أيوب). ولما مات الملك الصالح، استمر بيبرس في خدمة ولده الملك المعظم توران شاه.

اشتهر بيبرس بمهارته العسكرية وببلائه الحسن في ساحات الوغى، وبخاصة في **معركة المنصورة**، عام ٦٤٨ هـ/ ١٢٥٠ م، التي هزم فيها الفرنج، وأسر قائدهم الملك الفرنسي لويس التاسع، (تقدم ذكرها). وبمقتل توران شاه عام ٦٤٨ هـ/ ١٢٥٠ م، تولت شجر الدر، زوج أبيه، مقاليد الحكم مكانه، فانتقلت السلطة في مصر، فعلياً، إلى **المماليك البحرية**. ثم أصبح المعز أيبك أول سلاطين الدولة الفتية بزواجه من شجر الدر التي تنازلت له عن العرش **بسبب احتجاج الخليفة على تولي امرأة تدبير شؤون المسلمين**. وبعد مقتل المعز عام ٦٥٥ هـ/ ١٢٥٧ م، بتدبير من شجر الدر، خلفه ابنه نور الدين علي، ثم المظفر قطز، فالظاهر بيبرس بعد أن وفاة سيده المظفر غداة معركة **عين جالوت** عام ٦٥٨ هـ/ ١٢٦٠ م.

يعود الفضل لله سبحانه وتعالى ثم للظاهر بيبرس في ترسيخ دعائم دولة المماليك البحرية وتنظيم شؤونها الداخلية، وإضفاء الشرعية الدينية عليها بإحيائه الخلافة العباسية في القاهرة عام ٦٥٩ هـ/ ١٢٦١ م، بعد أن دك المغول مركز الخلافة الإسلامية في بغداد، وقتلوا الخليفة المستعصم عام ٦٥٦ هـ/ ١٢٥٨ م. **ثم ما لبث بيبرس أن بسط سيادته على المدن المقدسة في الحجاز، مما جعل سلاطين المماليك، من بيبرس فصاعداً، يظهرون أمام العالم الإسلامي، المعروف آنذاك، حماة للخلافة ولأشخاص الخلفاء، والمؤتمنين على مقدسات المسلمين**. وفي الخارج، فرض السلطان بيبرس هيبة الدولة على أعدائه بكسر **شوكة المغول**، بعد تسع مواجهات ضارية معهم، بين عامي ٦٧٠ - ٦٧٥ هـ و ١٢٧١ - ١٢٧٦ م، كان آخرها المعركة التي جرت في عقر دارهم، حيث ألحق بهم الهزيمة في سهل هوفي في صحراء البلستين (آسيا الصغرى). **ونجح السلطان في زعزعة بنيان الكيانات الصليبية**، بعد إحدى وعشرين حملة عسكرية عليهم، أدت إلى سقوط **إمارة أنطاكية** في يده واستيلائه تباعاً على القلاع والحصون الاستراتيجية المحيطة **بكونتية طرابلس ومملكة عكّا**. كما قام بيبرس بخمس حملات على بلاد الأرمن في آسيا لصغرى وأخضعها لسيادته.

وإلى جانب منجزاته العسكرية الهامة، خط الظاهر بيبرس لدولته سياسة خارجية لافتة للانتباه تمثلت في إحاطة حروبه بسياج من المعاهدات والاتفاقيات الدولية لاكتساب الأعوان والحلفاء من جهة، والاستفراد بالأعداء من جهة أخرى. ومن ذلك: سعيه الحثيث للتحالف مع الإمبراطورية البيزنطية العدو التقليدي للاتين، وحرصه



على الاحتفاظ بسياسة الود مع **الجنوية** ومع كل من شارل دانجو ملك **صقلية وملك إشبيلية**، وكانت له صلات حسنة مع عز الدين كيكاووس سلطان **سلاجقة الروم**، كما حالف بركة خان زعيم مغول لقبجاق، وذلك لمواجهة عدوهما المشترك المتمثل بإيلخانات فارس من هولاكو وأولاده.

ومما زاد في شهرة بيبرس إشادة المصادر الإسلامية بخصاله، وشمائله، وشجاعته، وبمنجزاته في مجال العمارة الدينية وأوقافه المنتشرة في أرجاء سلطنته المترامية الأطراف، واهتم بسك العملة لبسط الهيمنة السياسية الاقتصادية على أرجاء العالم الإسلامي آنذاك (انظر نماذج لبعض عملاته النقدية)، الأمر الذي جعل للسلطان منزلة خاصة في مختلف الأوساط العربية والإسلامية على امتداد العصور، فاكتسبت صورته في ذاكرتهم الجماعية طابعاً عظيماً جعلته في مصاف أبطالهم الملهمين، مثل صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكبار التابعين ، وشرف الدولة مودود، وعماد الدين زنكي وابنه محمود، والناصر صلاح الدين، والمنصور قلاوون، وشيخ الإسلام ابن تيمية، وابن القيم الجوزية، ومحمد بن عبد الوهاب، وأحمد ياسين، والرنتيسي ... .

توفي الظاهر **بيبرس** يوم الخميس ٢٧ محرم من عام ٦٧٦ هجرية - ٢ مايو ١٢٧٧ ميلادية بعد أن أرسى اسمه ضمن قائمة أبرز سلاطين العصر المملوكي . وكان له عدة أولاد، منهم كمال الدين بيبرس الذي كان قائداً حربياً، وقد شارك والده في العديد من المعارك واستقر في ما بعد في بيت المقدس، ويعود له أصل عائلة كمال الموجودة حتى يومنا هذا في بيت المقدس من أرض فلسطين الحبيبة.





دراهم فضية وفلوس نحاسية تعود إلى عهد السلطان بيبرس



الغزو المغولي وسقوط بغداد سنة ٦٥٦ هـ ١٢٥٨ م

لم يكن سقوط بغداد (٦٥٦ هـ) ممكناً لولا خيانة الوزير ابن العلقمي ، لأن القوى الخارجية تبقى محدودة التأثير ما لم تتعاون معها قوى عميلة من الداخل . والعالم الإسلامي يقف متفرجاً كأنما أصيب بالشلل التام .

إنه أمر عجيب تحار فيه العقول !!

ما الذي دهى المسلمين حتى ضاعوا وأضاعوا رمز وحدتهم السياسية. فكيف كان هذا الذي حدث؟ وما قصة خروج **المغول** إلى بلاد الإسلام والمسلمين؟ وكيف تهاوت الخلافة على أيديهم بهذه الصورة المهينة؟!

إن المؤرخ الكبير "ابن الأثير" حين أراد أن يسجل تلك الأحداث في كتابه "الكامل" تمنى أن يكون قد مات قبل أن يسمع عنها أو يراها ، فيقول : "لقد بقيت عدة سنين مُعْرِضاً عن ذكر هذه الحادثة استعظاماً بها ، كارهاً لذكرها ، فأنا أقدم رِجْلاً وأؤخر أخرى ، فمن الذي يسهل عليه أن يكتب نعي الإسلام والمسلمين ، ومن الذي يهون عليه ذكر ذلك ، فيا ليت أمي لم تلدني ، ويا ليتني مت قبل هذا وكنت نسياً منسياً ، إلا أني حثني جماعة من الأصدقاء على تسطيرها ، وأنا متوقف ، ثم رأيت أنَّ ترك ذلك لا يجدي نفعاً ، فنقول: هذا الفعل يتضمن الحادثة العظمى والمصيبة الكبرى التى عقمت الأيام والليالي عن مثلها ، عمت الخلائق ، وخصت المسلمين ، فلو قال قائل: إن العالم منذ خلق الله -سبحانه وتعالى- آدم إلى الآن لم يُبتلَ بمثلها كان صادقاً ، فإن التواريخ لم تتضمن ما يقاربها ولا ما يدانيها" .

من هم المغول والتتار ؟

قبائل تركية آسيوية كانت تسكن في الجزء الشرقي من "بلاد التركستان" وما يليها شرقاً من "غرب بلاد الصين" ، وهم بدو رعاة يدينون بالوثنية ، ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ، ويبحثون عن الرزق أينما وجد ، وينتقلون وراءه حيث كان ، ويقتتلون من أجل الحصول عليه ، نساؤهم في هذا كرجالهم سواء بسواء.

وكانت بين "قبائل المغول" و"قبائل التتار" أواصر نسب وجوار ، ولكن على الرغم من هذا ، فإن محاولة الحصول على الرزق كانت تدفعهم إلى التنازع والتناحر والتقاتل ، وتسفر المواجهة بينها عن انتصار "التتار" وهزيمة "المغول" ، ويعود المغول فينتصرون على "التتار" ولكن الزعيم التتري "جنكيز خان" جمع شمل هذه القبائل لتصبح النقطة السوداء في التاريخ الإنساني بسبب ما أنزلوه به من الكوارث التي لم يحدث مثلها.

مر بنا خلال هذا **الأطلس** كيف كان الصليبيون يحتلون بلاد الشام ، وكيف كان المجاهدون المسلمون قد أنزلوا بهم في عهد عماد الدين زنكي ، ونور الدين محمود ، وصلاح الدين الأيوبي هزائم ساحقة ، ولولا ضعف المسلمين بعد موت صلاح الدين لكانت نهاية الصليبيين بالشام قد تحققت.. ولكن الصليبيين ظلوا يعانون الضعف البالغ ويصمدون رغم ذلك في مواجهة المسلمين حتى ظهرت قوة **المغول** ، وتأكَّد عداؤهم للإسلام وما أنزلوه بأهله من هزائم ومصائب في بلاد خراسان وفارس على أنقاض **دولة السلاجقة** هناك ، فاجتمعت مصالح الفريقين الصليبيين والمغول في عداء المسلمين وحربهم ، وبدأت الاتصالات بينهم لتنسيق الجهود في هذا الصراع.

وأعمل الصليبيون حيلهم الخبيثة ، فعرضوا على التتار النصرانية ، **فتنصَّر** منهم عدد كبير ، وجعلوا يزوجونهم من النصرانيات الحاقدات على الإسلام وأهله ، فاشتعل الحقد الصليبي والبوذي في الهمجية الشرسة ، وانطلقت جحافل التتار تدمر الخير في كل مكان. وكما صدرنا حديثنا عن الدور الخبيث الذي قام به **ابن العلقمي** ، يقول ابن كثير في تاريخه: ثم عاد إلى بغداد وفي صحبته خوجه نصير الدين **الطوسي** ، والوزير **ابن العلقمي** وغيرهما ،



والخليفة تحت الحوطة والمصادرة، فأحضر من دار الخلافة شيئاً كثيراً من الذهب والحلي والمصاغ والجواهر والأشياء النفيسة، وقد أشار أولئك الملأ من الرافضة وغيرهم من المنافقين على هولاكو أن لا يصالح الخليفة، وقال الوزير: متى وقع الصلح على المناصفة لا يستمر هذا إلا عاماً أو عامين ثم يعود الأمر إلى ما كان عليه قبل ذلك، وحسنوا له قتل الخليفة، فلما عاد **الخليفة** إلى السلطان **هولاكو** أمر بقتله، ويقال: **إن الذي أشار بقتله** الوزير ابن العلقمي، والمولى نصير الدين الطوسي، وكان النصير عند هولاكو قد استصحبه في خدمته لما فتح قلاع الالموت، وانتزعها من أيدي **الاسماعيلية**، وكان النصير وزيراً لشمس الشموس ولأبيه من قبله علاء الدين بن جلال الدين، وكانوا ينسبون إلى نزار بن المستنصر العبيدي، وانتخب هولاكو النصير ليكون في خدمته كالوزير المشير، فلما قدم هولاكو وتهيب من قتل الخليفة هون عليه الوزير ذلك فقتلوه رفساً، وهو في جوالق لئلا يقع على الأرض شيء من دمه، خافوا أن يؤخذ بثأره فيما قيل لهم، وقيل بل خنق، ويقال بل أغرق فالله أعلم، فباؤوا بإثمه وإثم من كان معه من سادات العلماء والقضاة والأكابر والرؤساء والأمراء وأولي الحل والعقد ببلاده ومالوا على البلد فقتلوا جميع من قدروا عليه من الرجال والنساء والولدان والمشايخ والكهول والشبان، ودخل كثير من الناس في الآبار وأماكن الحشوش، وقنى الوسخ، وكمنوا كذلك أياماً لا يظهرون، وكان الجماعة من الناس يجتمعون إلى الخانات ويغلقون عليهم الأبواب فتفتحها التتار إما بالكسر وإما بالنار، ثم يدخلون عليهم فيهربون منهم إلى أعالي الأمكنة فيقتلونهم بالأسطحة، حتى تجري الميازيب من الدماء في الأزقة، فإنا لله وإنا إليه راجعون.وكذلك في المساجد والجوامع والربط، **ولم ينج منهم أحد سوى أهل الذمة من اليهود والنصارى** ومن التجأ إليهم وإلى دار الوزير ابن العلقمي الرافضي وطائفة من التجار أخذوا لهم أماناً، بذلوا عليه أموالاً جزيلة حتى سلموا وسلمت أموالهم. وعادت بغداد بعد ما كانت آنس المدن كلها كأنها خراب ليس فيها إلا القليل من الناس، وهم في خوف وجوع وذلة وقلة، وكان الوزير ابن العلقمي قبل هذه الحادثة يجتهد في صرف الجيوش وإسقاط اسمهم من الديوان، فكانت العساكر في آخر أيام المستنصر قريباً من مائة ألف مقاتل، منهم من الأمراء من هو كالملوك الأكابر الأكاسر، فلم يزل يجتهد في تقليلهم إلى أن لم يبق سوى عشرة آلاف، ثم كاتب التتار وأطمعهم في أخذ البلاد، وسهل عليهم ذلك، وحكى لهم حقيقة الحال، وكشف لهم ضعف الرجال، وذلك كله طمعاً منه أن يزيل السنة بالكلية، وأن يظهر البدعة الرافضة وأن يقيم خليفة من الفاطميين، وأن يبيد العلماء والمفتيين، والله غالب على أمره، وقد رد كيده في نحره، وأذله بعد العزة القعساء، وجعله حوشكاشا للتتار بعد ما كان وزيراً للخلفاء، واكتسب إثم من قتل ببغداد من الرجال والنساء والاطفال، فالحكم لله العلي الكبير رب الارض والسماء. أ . هـ .

وهاهو التاريخ يعيد نفسه، فقد سقطت بغداد اليوم بخيانات الباطنيين أحفاد ابن العقمي، وليت الأمر وقف عند هذا الحد بل زاد واتسعت رقعته، حتى رأينا أعمالاً هوجاء وغوغاء، من تجن على أهل السنة هناك، وقاموا بقتل جماعي للبعض منهم، وتهجير البعض الآخر، واتهام من يدافع عن أرضه وعرضه بالإرهاب ومن قاومهم استعانوا بالغرباء من المحتل الأمريكي والبريطاني على قتله، ولم يصدق أولئك خبراً، فيسارعون بقتل المسلمين هناك قتلاً عظيماً.



الغزو المغولي للبلاد الإسلامية

جحافل المغول تصل إلى بلاد ماوراء النهر قادمة من أواسط آسيا .

جنكيز خان ٦١٦ هـ

جنكيز خان يسيطر على مدن ما وراء النهر ويقضي على المراكز الحضارية والعلمية فيها كبخارى وسمرقند ... .

هولاكو ٦٥٦ هـ

تمكن (هولاكو) من الزحف على عاصمة الخلافة العباسية (بغداد) سنة ٦٥٦ هـ، وقتل آخر خلفاء بني العباس (المستعصم بالله) ثم قام المغول بعد دخولهم بممارسة شتى صنوف التخريب والتعذيب، وبذلك سقطت الدولة العباسية .

واصل المغول اجتياحهم للبلاد الإسلامية بقيادة هولاكو حتى وصلت طلائعهم نحو حلب حيث عاثوا فيها فساداً ثم واصلوا سيرهم نحو دمشق واستولوا عليها وبذلك وقف المغول على حدود دولة المماليك .

بحر بنطس (البحر الأسود)
الدولة البيزنطية
سلاجقة الروم
جورجيا
أرمينيا
أذربيجان
بحر الخزر (قزوين)
خوارزم
بحر آرال
بلاد ماوراء النهر
بخارى
سمرقند
مرو
ترمذ
بلخ
نيسابور
الرّي
همذان
أصفهان
الموصل
بغداد
الدولة العباسية
نهر الفرات
نهر دجلة
البصرة
حلب
دمشق
عين جالوت
بحر الروم (البحر المتوسط)
القاهرة
المماليك
المدينة النبوية
مكة المكرمة
البحر الأحمر
خليج البحرين (الخليج العربي)
خليج عُمان
بحر العرب
بلاد السند
صفر ٢٠٠ ٤٠٠ ٦٠٠ ٨٠٠ ١٠٠٠ كم



بغداد (عاصمة الخلافة الإسلامية) من الفضاء الخارجي



كتيبة من الجيش المغولي



موقعة عين جالوت سنة ٦٥٨ هـ - ١٢٦٠ م

الجيش المغولي بقيادة كتيغا.

الجيش الإسلامي بقيادة بيبرس في عهد السلطان قطز

فلسطين

عكّا

حيفا

الناصرة

عين جالوت

نهر جالوت

بيسان

قيسارية

بحيرة طبرية

نهر اليرموك

نهر الأردن

بحر الروم (البحر المتوسط - البحر الشامي)

مستعمرات صليبية

٠ ١٠ ٢٠ كم

ش

رأى المؤرخون في انتصار المماليك انتصاراً عالميّاً؛ حيث عجزت الدولة الخُوارزمية، والدولة العباسية عن مقاومة الجيش المغولي أو مدافعته، وبعد انهيار القوى النصرانية أمام الزحف المغولي على أجزاء من "روسيا" و"بولندا" و"هنغاريا" كانت "موقعة عين جالوت" سنة ٦٥٨ هـ والتي تعتبر بحق أول صدمة في الشرق هزت جيوش المغول؛ فكانت درساً قوياً أماط اللثام عن طبيعة هذا الجيش الجديد؛ **أنهم المماليك**، والذين أعادوا للجيش الإسلامي هيبته ومن هنا كسبت سلطنة المماليك مركز الصدارة بين سلاطين المسلمين، كما استقامت لمصر زعامة جديدة في العالم الإسلامي على أيدي هؤلاء الخليط من الأتراك والروم والأوروبيين والشراكسة، لذلك سيكون لهم الدور البارز في القضاء على بقية المستعمرات الصليبية .





خوذة واقية ؛ تعود إلى عهد السلطان الظاهر بيبرس

أهم مصادر ومراجع الباب التاسع

١ - مجلة التاريخ العربي، أعداد مختلفة .

٢ - ستيفن رنسيمان. تاريخ الحروب الصليبية. ترجمة السيد الباز العريني. دار الثقافة. بيروت. ١٩٦٩م.

٣ - د . سعيد عبد الفتاح عاشور. الحركة الصليبية. مكتبة الأنجلو المصرية. القاهرة. ١٩٨٢م.

٤ - محمد مصطفى زياد. حملة لويس التاسع. المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب. القاهرة ١٣٨١ هـ. ١٩٦١ م.

٥ - موسوعة ويكبيديا على الشبكة العنكبوتية .

٦ - سامي بن عبد الله المغلوث، الحملات الصليبية على المشرق الإسلامي في العصور الوسطى . دار الوراق، طبع ونشر ١٤١٩ هـ .

٧ - أحمد بن علي المقريزي. السلوك لمعرفة دول الملوك. تحقيق محمد مصطفى زيادة. القاهرة. ١٣٦٠ هـ: ١٩٤١.

٨ - أ . أحمد تمام، في ذكرى سقوط دمياط .

٩ - موقع GOOGEL من الشبكة العنكبوتية .

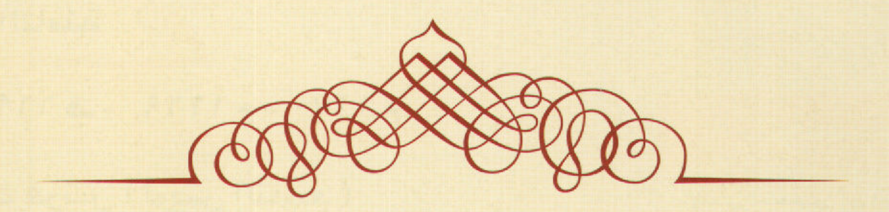
١٠ - جوزيف نسيم يوسف. العدوان الصليبي على مصر. دار الكتب الجامعية. الإسكندرية. ١٩٦٩م.

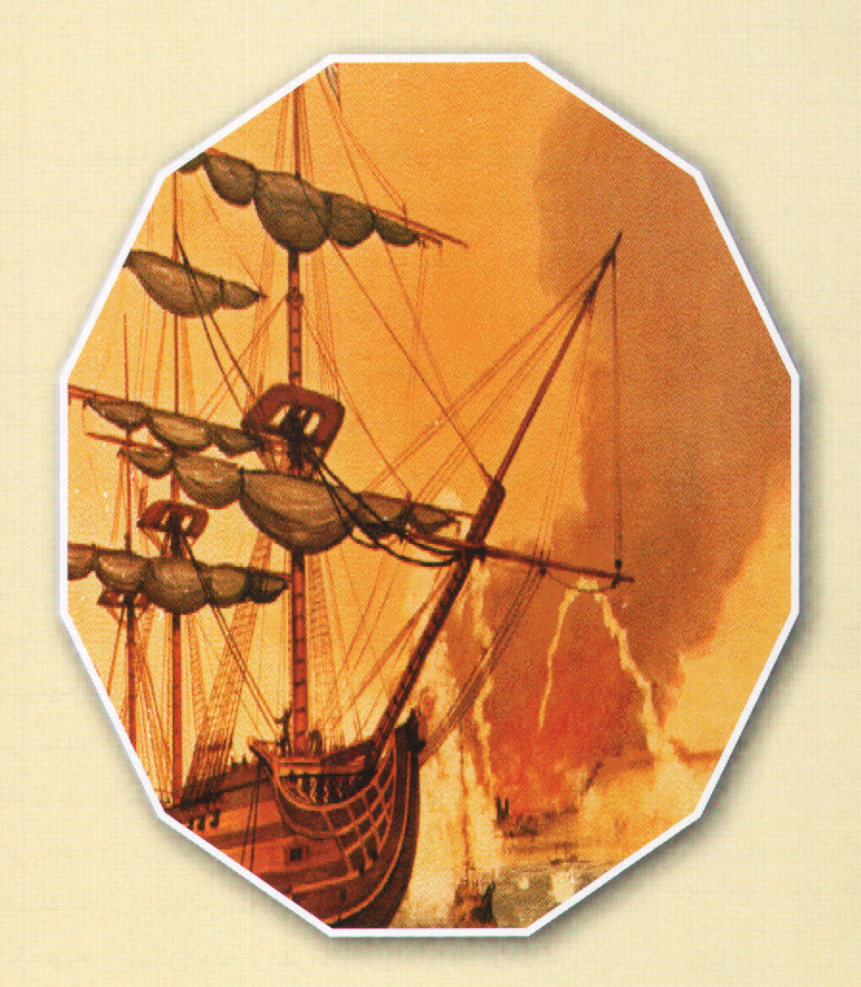
١١ - عز الدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد ابن عبد الكريم عبد الواحد الشيباني، الكامل في التاريخ، دار المعرفة، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م.

١٢ - ابن كثير، الحافظ عماد الدين ابن أبي الفداء إسماعيل ابن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، البداية والنهاية ، طبعات متعددة .



الباب العاشر





الحملة الصليبية الثامنة

- نزول الصليبيين بقيادة لويس التاسع إلى قرطاجنة التونسية



- وفاة لويس التاسع في تونس





الحملة الصليبية الثامنة

ســـنة ٦٦٨ هـ - ٦٦٩ هـ - ١٢٦٩ م - ١٢٧٠ م.

قادة الحملة : ملك فرنس (لويس التاسع)

ســبب الحملة :

بعـد الضربـات الموجعة التـي وجهها القائـد المملوكي **الظاهر بيبرس** وجيشه المسلـم ضد الغزاة الصليبييـن في الشام، نكث **لويس التاسع** بعهده فجهز حملة صليبية أخرى لقتال المسلمين إلا أنه لم يستطيع أن يتصدى للمماليك في بلاد الشام فما كان منه إلا أن وجه قواته نحو تونس. وتم خروجه من فرنسا يوم ١٥ مارس ١٢٧٠م والتحـق به أتباعه وبعد إتمام عدته، اتجه يـوم ٢ جويليه إلى مدينة كاغلياري وذلك علـى مـتن سفن جنوية. وفي هـذه المدينـة السردينيَّة اكتمل النصـاب بوصول بقية المساهمـين فـي الحملة. ومن الملاحظ إلى حـد الآن أن جميع أعضـاء الحملة كانوا متأكدين من تحولهم إلى المشرق الإسلامي نحو مصر أو فلسطين، لكن لويس التاسع جمـع قادته ومرافقيه على مـتن سفينته، وطلب منهم الموافقـة على تحويل وجهتهم نحـو تونس. ولا تذكـر المصادر ما هي المعطيـات والعناصر التي اعتمـد عليها الملك لإقناعهـم، لكن يبدو أن جميعهم بما فيهم رجال الدين وافقوا على مطلبه لكن كيف تم له ذلك؟ بينما يعلمنا ابن خلدون أن لويس التاسع كان عازماً على غزو تونس قبل خروجـه من فرنسا، وأن المستنصر الحفصـي كان عالماً بذلك: إذ أمر السلطان في سائر عمالاته بالاستكثار من العدة وأرسل في الثغور لذلك بإصلاح الأسوار واختزان الحبـوب. وبالرغـم مـن ذلـك، فقد بعـث برسـل إلى لويـس التاسع لاختبـار حاله ومشارطتـه على ما يكف عزمه ومن الممكن جداً أن عزمه على الاتجاه إلى تونس من الأول هـو الأرجح. فعند اتجاهه المـرة الأولى إلى المشرق سنة ١٢٤٨م تحول مباشرة عـن طريق قبرص إلى دمياط. أما بالنسبة لهذه الحملة الثانية، فقد قدم عن طريق سردينيا، كما يفيدنا ابن خلدون « أن الطاغية جمع حشده وركب أساطيله إلى تونس آخـر ذي القعدة سنة ثمان وستين بسردانيا وقيـل بصقلية ». إلا أن المصادر الغربية تؤكـد أن العملية تمت بسردينيا. هكـذا يمكن إذن الاستنتاج أن **لويس التاسع** كان مقراً العزم على الاتجاه إلى تونس قبل خروجه من فرنسا،أيضاً أنه لم يعلن ذلك من الأول حتى يتجنب انسلاخ القادة الآخرين عنه ولم يتم إعلامهم باتجاههم إلى تونس إلا في آخر لحظة حتى وضعهم أمام الأمر الواقع.الدكتور محمد الباجي بن مامي

الحفصيون

يَنتمي الحفصيـون إلى قبيلـة مصمـودة البربريـة، ومساكنهـا فـي جبـال الأطلس. استمـدت التسميـة مـن أبـي حفص عمر (١١٧٤-١١٩٥ م) أحـد أجداد الأسـرة ومن رجـالات ابن تومرت الأوفيـاء. أصبح ابنه من بعده من عمـال الموحدين على تونس. قام ابنه من بعده الأمير أبو زكريا يحيى (١٢٢٨-١٢٤٩ م) بالاستيـلاء على السلطـة و أعلن استقلاله واستطـاع أن يؤسـس دولـة استخلفت الدولة الموحدية في المنطقة. **قضى ابنه المستنصر (١٢٤٩-١٢٧٧ م) على الحملـــة الصليبيـة الثامنـة (سنـة ١٢٧٠)**، ثـم اتخـذ لقـب أمـير المؤمنـين. بعد وفاته تنازع أولاده الحكم. و جرت حروب طاحنة بينهم.

فـي أواخـر القرن الـ١٣ م انشق عن الأسرة فرعين، حكم أحدهما فـي بجاية، والآخر في قسنطينة. في منتصف القرن الـ١٤ م استولى المرينيـون علـى البلاد. بعـد جـلاء المرينيين استعادت الدولـة الحفصية حيويتها ونشاطها مـع حكـم كل مـن أبـي العباس أحمد (١٣٧٠-١٣٩٤ م)، أبـي فارس عبـد العزيز (١٣٩٤-١٤٣٤ م) ثـم أبـي عمـر يحيـى (١٤٣٥-١٤٨٨ م). عرفـت هـذه الفتـرة الاستقرار وعم الأمـن أرجاء الدولة. أصبحت العاصمة **تونس** مركزاً تجارياً مهماً.

ابتـداءاً مـن سنـة ١٤٩٤ م بـدأت مرحلـة السقـوط السريع، استقلـت العديد من المدن والمناطق. منذ ١٥٠٥ م، سيطر **العثمانيون** عـن طريـق قادتهـم **عروج و خير الدين بربروسة** على المنطقـة. حاصر الإمبراطور الجرمـاني كارل الخامـس (و ملـك إسبانيـا باسم كارلوس الأول) تونس سنة ١٥٣٥ م. آخر الحفصيين وقع بين الضغط المتزايد من القادة العثمانيون، والذيـن استقروا في الجزائر من جهة، والإسبان من جهة أخرى.

سنـة ١٥٧٤ م يفلح حاكم الجزائر في دخول تونس، ثـم خلع آخـر السلاطـين الحفصيين ودخلت بذلك تونس تحت سلطة العثمانيين.





قبـل وصـول الحملة الصليبية الثامنة إلى تونس، أصبح المستنصر رمزاً هاماً في العالم الإسلامي. فهو مع لقب الخليفـة الـذي تسمى به سنة ٦٥٠هـ/١٢٥٢م، اتخذ أيضاً لقب أمير المؤمنين، ولا يستبعد أن يكون هذا العامل من الأسبـاب التـي دفعت **لويس التاسع** إلى تغيير اتجاه الحملـة الصليبية الثامنـة إلى تونس. ومـن البديهي أن مهاجمـة هـذا الرمز الذي أصبح له كثير من الـدلالات ستشكل هزيمته انتصاراً روحيـاً ومعنوياً على بقية العالم الإسلامي. ومن الممكن جدا أن لويس التاسع أراد أيضاً من وراء حملته هذه إضعاف المستنصر وبالتالي منعه من إغاثـة الأندلس، التـي مثلت هي الأخرى حلقة من حلقـات صراع المسلمين مع القـوى النصرانية، وبالتالي يمكن تصـور موقـف الملك الفرنسي من قضية إخوانه في الدين، الذين كانـوا بصدد الاستيلاء على البقية المتبقية من الإمارات الإسلامية في الأندلس. وهكذا، فإن الهجوم على تونس ساعد بصفة فعلية في وقف أي مساعدة يمكن أن تصـل إلى مسلمـي الأندلس، وهـو بالطبع ما كان يصبو إليه كل الصليبيين، بمن فيهـم لويس التاسع. أما ابن خلـدون، فيفسـر مبادرة لويس التاسع، برجوعه إلى الفترات القديمة من تاريخ إفريقية التي كانت من أول البلاد التي دخلت الدين المسيحي وساندته إلى أن جاء الإسلام، وكان الفتح. فيوضح صاحب « المقدمة » أن ذلك هو ما يفسـر أنـه لم تزل في نفوسهم (أي النصارى) من ذلك ضغائن، فـكان يخالجهم الطمع في ارتجاع ما غلبوا عليه . وهـو -لعمري غير- مستبعد. فخلال فترة الحماية الفرنسية لتونس لاحظنا الكثير من المستشرقين الذين يميلون إلى هـذا النوع من التفكير. وقـد وجدت هذه الحملة هي الأخرى مساندة البابا أوربان الرابع، فلا غرابة إذن في قـرار سان لويس أن يقود **حملتين صليبيتين**، وهو ما يدفعنا إلى الاحتمال إلى أن دوافعه كانت في مرتبة أولى دينية حتى أنه سمي بالقديس لويس، ثم اقتصادياً واجتماعياً .



نزول الصليبيين بقرطاجنة وخطة المستنصر بالله الحفصي

جاءت الأخبار إلى المستنصر بالله تعلمه بتوجه **الصليبيين** إلى **تونس**، فعقد مجلسه الشورى الذي بحث فيه كيفية التعامل مع الحدث، هل يسمح للصليبيين بالنزول، أو يصدون عنه. وأخيراً استقر الرأي على أن يسمح لهم بالنزول مخافة أن ينزلوا في مكان آخر غير حصين. ولا مستعد لقتال، وبعث بالنفير على أطراف مملكته، فجاءت النجدات من مختلف الجهات.

وفي آخر ذي القعدة سنة ٦٦٨ هـ ١٢٧٠ م، أرست أساطيل **لويس التاسع** أما مدينة **قرطاجنة العتيقة**، وأنزلوا عساكرهم بالمدينة القديمة من قرطاجنة وكانت مائلة الجدران. ووصلوا ما فصله الخراب من أسوارها بألواح الخشب ونضدوا شرفاتها، وأداروا على السور خندقاً بعيد المهوى. وكانت عدتهم ستة آلاف فارس وثلاثين ألفاً من الرجَّالة، وكانت أساطيلهم ٣٠٠ مركب بين كبير وصغير، ولم يشرع **الصليبيون** في مهاجمة أو قتال جدّي؛ فقد كان لويس التاسع **يترقب وصول أخيه شارل دانجو من صقلية** .

وفي واقع الأمر أن **المستنصر بالله** لم يفكر في مهاجمة **الصليبيين**؛ فقد كانت خطته مبنية على مجرد الدفاع والمحاصرة. وكان جنده يتكون من جيشه، وقوات الموحدين، ومن المتطوعة. وملئت سواحل قرية رادس بالجند تحت قيادة محمد بن أبي الحسين، رئيس الدولة. وعقد ألوية سبعة تحت نظر يحيى بن ابي بكر ويحيى بن صالح الحصار الصليبيين من الناحية البرية، وخرج كثير من الصلحاء والفقهاء، والمرابطون لمباشرة القتال بأنفسهم. ولم تكن بين الفريقين معارك ذات أهمية سوى ما ذكره ابن خلدون من أنه في أول محرم سنة ٦٦٩ هـ **وقعت معركة كبيرة** قتل فيها كثير من الفريقين كما قام بعض الجند بمفاجأة للصليبيين عندما سلكوا طريق البحيرة حتى وصلوا إلى المعسكر الصليبي من طريق غير منتظر خروجهم منه وظفر هؤلاء المغامرون ببعض الشيء من الصليبين الذين تفطنوا لهذا، وأقاموا حراسة من جانب البحيرة. وطالت محاصرة الصليبيين حتى نالهم التعب والجوع، وتفشت فيهم الأمراض والأوبئة **ولم يسلم لويس التاسع منه، فمات بإصابة وبائية** في المحرم سنة ٦٩٩ هـ في نفس اليوم الذي وصل فيه **أخوه ملك صقلية** وبعد ساعات من موته، فباشر القيادة بنفسه؛ لكنه فضل الصلح مع المستنصر الحفصي.



بقايا لآثار لويس التاسع موجودة في اللوفر



موقع صقلية بالنسبة لقرطاجة التونسية

فرنسا

مكان إنطلاق الحملة الصليبية التاسعة

مرسيليا

فينيسيا (البندقية)

زغرب

بلغراد

زارا

سراييفو

بيزا

البحر الأدرياتيكي

كورسيكا

روما

تيرانا

إيطاليا

سردينيا

البحر التيراني

تحرك ملك صقلية لمؤازرة أخيه لويس التاسع على ساحل قرطاج.

البحر الأيوني

صقلية

البحر الأبيض المتوسط

قرطاج

تونس

تجمع المصادر على أن لويس التاسع قبع في تحصيناته **بقرطاج**.

إلا أن سكان البلاد الذين يعرفون بطريقة جيدة الطرقات المؤدية إلى قرطاج، استطاعوا في العديد من المرات التسلل عن طريق البحيرة ومباغتة جيوش العدو، إلاّ أن المصادر الغربية نسبت ذلك إلى تظاهر الأعراب بالدخول في الدين النصراني، وهذا افتراء محض. وعند اقترابهم من صفوف الصليبيين غدروا بهم وطعنوا البعض منهم. على كل هذه المناوشات لم تأت بأي نتيجة تذكر، إذ عرف الصليبيون الأماكن التي يصل منها المسلمون فحصنوها ووضعوا حراساً في البحيرة.

طوال المدة التي مكثها الصليبيون بقرطاج تقارب (أربعة أشهر)، في حين يرى ابن خلدون أنها ستة أشهر!.



مؤلف ومصمم الأطلس بين أطلال قرطاج الأثرية (تونس)



قال أحد الشعراء عند نزول لويس التاسع بتونس:

يا فرنصيص هذه أخت مصر   فتأهب لما إليه تصير

لك فيها دار لقمان قبر   وطواشيك منكر ونكير

باب البحر عند مدخل تونس القديمة المطل على شارع فرنسا

كان أهم ما اشتملت عليه **اتفاقية الصلح بين الصليبيين والمسلمين:** عقد هدنة بين الطرفين لمدة خمسة عشر عاماً تدفع أثناءها الغرامة الحربية التي التزم بها المستنصر بالله الحفصي للصليبيين، وأن يقع احترام مصالح الطرفين الدينية والتجارية، وألا يتعرض الصليبيون لجهة من جهات المسلمين التابعة لسلطان تونس حالاً أو مالاً . وتضمنت الاتفاقية فقرة خاصة **بملك صقلية** في شأن الأموال التي ادّعاها على الدولة الحفصية .

وكان الذي تولى كتابة عقد الصلح القاضي ابن زيتون . وكان حاضراً معه أبو الحسن علي بن عمرو، وأحمد بن الغماز، وأبو زيان بن محمد بن عبد القوي . وباتمام العقد على الصلح اتصل الفريقان اتصالاً سلمياً، ودخل المسلمون محلة النصارى وباعوا معهم واشتروا. وكانت مدة إقامتهم بتونس أربعة أشهر – كما ذكرنا ذلك على الصورة في الصفحة السابقة – **وأقلعت القوات الصليبية عن تونس** بعد مدة يسيرة من إتمام الصلح . وصادفتها – عرض البحر – عاصفة شديدة أتت على الكثير من سفنها ورجالها، ووصلت البقية إلى جزيرة صقلية القريبة من تونس سالمة .



اتكأ الصليبيون على التوسع الاستعماري لدولهم الصليبية، وأن ذلك التوسع قام - ولا يزال - على دعامتين هما: القوة العسكرية، ووسائل النشر والإعلام، ولا تزال هذه السمات واضحة للعيان، بل تزداد ضراوة مع تطور وسائل الحرب الأخرى وأسلحة الدمار، واتساع حقول الإعلام الغربي عبر أجهزة وأدوات غير مسبوقة في قوتها ومدى انتشارها وتأثيرها؛ لكن ظل المسجد ولا يزال المنبر الأقوى ضد الحملات المغرضة وهذا ما فعله الزيتونة؛ إبان الحروب الصليبية والاستعمار الحديث.

جامع الزيتونة التاريخي: أحد المعالم الإسلامية العظيمة في تونس العاصمة. والذي وقف سداً منيعاً ضد محاولات الصليبيين لتنصير هذا الشعب المسلم الأبي. هذا الشعب الذي كان له دور بارز في نشر الإسلام في الأندلس و القارة السمراء .. اللقطات بعدسة مصمم ومؤلف الأطلس.



أهم مصادر ومراجع الباب العاشر

١ - الدكتور محمد الباجي بن مامي، حملة لويس التاسع على تونس (فصل من الحروب الصليبية)، مجلة التاريخ العربي، أعداد مختلفة .

٢ - ستيفن رنسيمان. تاريخ الحروب الصليبية. ترجمة السيد الباز العريني. دار الثقافة. بيروت. ١٩٦٩م.

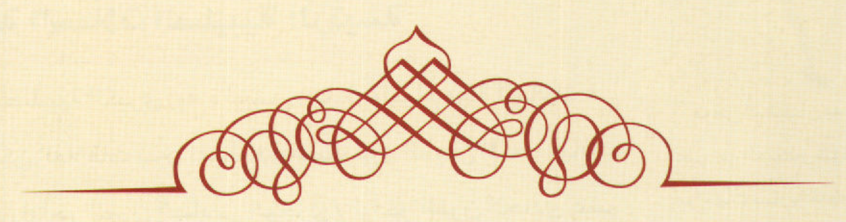
٣ - د . سعيد عبد الفتاح عاشور. الحركة الصليبية. مكتبة الأنجلو المصرية. القاهرة. ١٩٨٢م.

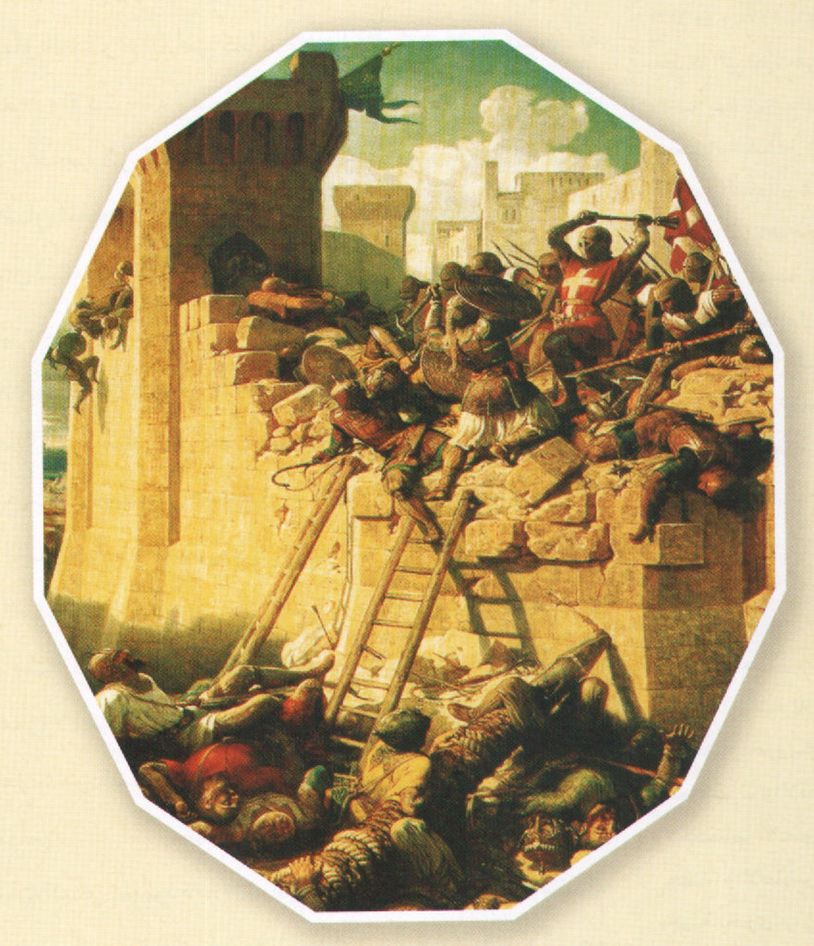
٤ - محمد مصطفى زياد. حملة لويس التاسع. المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب. القاهرة ١٣٨١ هـ. ١٩٦١ م.

٥ - موسوعة ويكيبيديا على الشبكة العنكبوتية .

٦ - سامي بن عبد الله المغلوث، الحملات الصليبية على المشرق الإسلامي في العصور الوسطى . دار الوراق، طبع ونشر ١٤١٩ هـ .

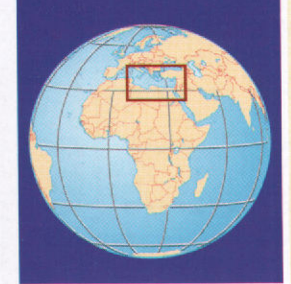
الباب الحادي عشر





تصفية الوجود الصليبي (الفرنجة) من بلاد الشام

- في عهد السلطان الظاهر بيبرس
- في عهد السلطان محمد بن قلاوون
- تحرير عكّا في عهد الأشرف خليل
- تطهير آخر معاقل الصليبيين (الفرنجة)





الوضع العام بعد نهاية الحملات الصليبية الرئيسة

انتهت بالفعل الحملات الصليبية الكبرى بوفاة لويس التاسع وبقيام دولة المماليك في مصر والشام، لذلك لم تكن العلاقات بين المماليك والصليبيين الذين أقاموا كيانات سياسية في الشرق. بدءاً من أواخر القرن السادس الهجري/ أواخر القرن الحادي عشر الميلادي. محكومة دائماً بمساق الصراع الدامي كما يتخيله الكثيرون، بل تخللت حالة المواجهة بينهم فترات من الهدوء والاسترخاء العسكري، ضمنتها **اتفاقيات هُدن** سعى إليها غالباً أمراء الصليبيين، وبخاصة في أيام السلطان **الظاهر بيبرس** (٦٥٨ ـ ٦٧٦ هـ/ ١٢٦٠ ـ ١٢٧٧ م). والسلطان **المنصور قلاوون** (٦٧٨ ـ ٦٨٩ هـ/ ١٢٧٩ ـ ١٢٩٠ م). تنوعت محتويات هذه الهُدن لتشمل ضمان ممتلكات الطرفين، وسلامة الحكام الشخصية، وسلامة رعاياهم، وحرية حركة التجارة، وتنظيم جباية الرسوم والضرائب من المكلفين، من تجار ومسافرين ومقيمين.

عكست اتفاقيات الهُدن حالة التجزئة، التي كانت تعاني منها السنيوريات الصليبية القائمة على ساحل الشام، حيث كان يستحيل عليها أن تتواصل فيما بينها دون المرور بالمناطق الخاضعة للسيادة الإسلامية، أو اجتياز معابر ملامسة لهذه المناطق، أو واقعة على مقربة منها. فكانت هذه السنيوريات بمثابة جزر سياسية منعزلة في محيط إسلامي واسع: كان معبر إسكندرونة، مثلاً، يعزل سنيورية عكّا عن سنيورية صور. وكان القسم الجنوبي من سنيورية صيدا معزولاً تماماً عن سنيورية صور. كما أُجبر أسياد بيروت على التنازل للتنوخيين أمراء العرب عن قسم من بلدة الدامور التي شكلت، آنذاك الحد الفاصل بين سنيوريتي بيروت وصيدا. د. أحمد حطيط، الجامعة اللبنانية.

لم تصل إلينا نصوص اتفاقيات الهُدن المعقودة بين المماليك والصليبيين كاملة، باستثناء عدد قليل منها نقع عليه لدى مصنفي سيرتي بيبرس وقلاوون (السير الشعبية). هذا، مع الإشارة إلى أن ما عُقد منها أيام قلاوون جاء موجزاً وعامّاً، وكان بمثابة تجديد لما سبق أن تعاهد عليه بيبرس مع أمراء الفرنج، مكتفياً، في كثير من الأحيان، باستعادة مضمون الهدنات السابقة دون أية إضافات أخرى. وعليه، فإن من أكثر اتفاقيات الهدن أهمية، نظراً لاكتمالها، تلك المعقودة بين المنصور قلاوون وحكام عكّا عام ٦٨٢ هـ/ ١٢٨٣ م، لمدة عشر سنين كوامل وعشرة أشهر وعشرة أيام وعشر ساعات، مؤرخة بالتقويم الهجري وما يقابله بالتقويم الإسكندري (المقدوني)، وهو ما كان يعتمده النصارى الشرقيون والصليبيون الأوروبيون، عندما كان هؤلاء يكتبون مراسلاتهم بالعربية.

فرض السلطان **بيبرس** هيبة الدولة على أعدائه بكسر شوكة **المغول**، بعد تسع مواجهات ضارية معهم، بين عامي ٦٧٠ ـ ٦٧٥ هـ و ١٢٧١ ـ ١٢٧٦ م، كان آخرها المعركة التي جرت في عقر دارهم، حيث ألحق بهم الهزيمة في سهل **هوفي** في صحراء البلستين (آسيا الصغرى). **ونجح السلطان في زعزعة بنيان الكيانات الإفرنجية، بعد إحدى وعشرين حملة عسكرية عليهم،** أدت إلى سقوط إمارة **أنطاكية** في يده واستيلائه تباعاً على القلاع والحصون الاستراتيجية المحيطة **بكونتية طرابلس ومملكة عكّا**.

كما قام بيبرس بخمس حملات على بلاد الأرمن في آسيا الصغرى وأخضعها لسيادته.

وإلى جانب منجزاته العسكرية الهامة، خط الظاهر بيبرس لدولته سياسة خارجية لافتة للانتباه تمثلت **في إحاطة حروبه بسياج من المعاهدات والاتفاقيات الدولية لاكتساب الأعوان والحلفاء من جهة، والاستفراد بالأعداء من جهة أخرى.** ومن ذلك: سعيه الحثيث للتحالف مع الإمبراطورية البيزنطية العدو التقليدي للاتين، وحرصه على الاحتفاظ بسياسة الود مع الجنوية ومع كل من شارل دانجو ملك صقلية وملك إشبيلية، وكانت له صلات حسنة مع عز الدين كيكاووس سلطان سلاجقة الروم، كما حالف بركة خان زعيم مغول القبجاق، وذلك لمواجهة عدوهما المشترك المتمثل بإيلخانات فارس من هولاكو وأولاده.



بداية تصفية التجمعات الصليبية في بلاد الشام في عهد بيبرس

مستعمرات صليبية
إمارة أرمينية
مستعمرات بيزنطية
مناطق تحت سلطان المسلمين

نجح السلطان بيبرس في زعزعة بنيان الكيانات الصليبية، بعد إحدى وعشرين حملة عسكرية عليهم، أدت إلى سقوط إمارة **أنطاكية** في يده واستيلائه تباعاً على القلاع والحصون الاستراتيجية المحيطة **بكونتية طرابلس ومملكة عكّا.**

مملكة بيت المقدس (عكّا)

بعد استرداد بيت المقدس من الصليبيين أصبحت عكّا تحمل اسم مملكة بيت المقدس.

هاجم **بيبرس** إمارة إنطاكية سنة (٦٦٠هـ= ١٢٦٢م) وكاد يفتحها، ثم بدأ حربه الشاملة ضد الصليبيين منذ عام (٦٦٣هـ= ١٢٦٥م) ودخل في عمليات حربية ضد إمارات الساحل الصليبي، وتوج أعماله العظيمة بفتح مدينة إنطاكية سنة (٦٦٦هـ= ١٢٦٨م)، بعد أن ظلت رهينة الأسر الصليبي على مدى أكثر من مائة وخمسين عاماً، وكان ذلك أكبر انتصار حققه المسلمون على الصليبيين منذ أيام حطين واسترداد بيت المقدس.

فقد سارع هوغ الثالث ملك قبرص إلى عقد هدنة مع بيبرس نصت على ضمان السلطان لسلامة أراضي الجزيرة مع احتفاظ عاهلها بحق نقض الهدنة في حال وصول صليبية جديدة إلى الشام.

وفي عام ٦٦٩/ ١٢٧٠، أرسل **الظاهر بيبرس** حملة بحرية **لغزو قبرص.** وكان السبب في ذلك إلقاء القبض على رسل السلطان المملوكي في الجزيرة، وهم في طريقهم عبرها، إلى بلاد الروم في آسيا الصغرى. وتذكر المصادر أن الحملة باءت بالفشل، إذ تحطمت معظم سفنها قبالة شواطئ ليماسول على الساحل الجنوبي للجزيرة، بسبب العواصف المدمرة التي داهمتها، ووقع عدد كبير من بحارتها في الأسر.

وعلى الرغم من حرص **بيبرس** على إعادة بناء أسطوله، وقد تم إنجازه بالفعل في أقل من سنتين؛ فإن السلطان بيبرس لم يعاود **غزو قبرص** لانشغاله بمواجهة الخطر المغولي، ولتيقنه من تفوق الأسطول القبرصي. وهو ما صرح به في رسالة بعث بها إلى الملك هوغ الثالث، على أثر انتزاعه حصن القرين المنيع من الفرنج عام ٦٦٩/ ١٢٧١م.



الوجود الصليبي في عهد السلطان المنصور (محمد بن قلاوون)

كان من الطبيعي أن يركز المماليك جهودهم للاستيلاء على عكّا، منذ بدأ الظاهر بيبرس نشاطه العسكري في بلاد الشام. فسقوطها سيؤدي بالضرورة إلى تهاوي المناطق الصليبية الواقعة في دائرة نفوذها، **ولا سيما الشريط الساحلي بين بيروت وصور**. وقد أسفرت العمليات العسكرية عن عقد السلطان اتفاقية **هدنة مع أسياد عكّا** عام ٦٦٦ هـ/ ١٢٦٨ م، مدتها عشر سنوات .

أما المنصور **قلاوون**، فقد سعى حثيثاً لمنع التقارب بين **الصليبيين والتتار**، وهذا ما يعلل تعهده بضمان سلامة أملاك أسياد عكّا من أي اعتداء كي يتفرغ لجبهة غزوات التتار لبلاد الشام. فأعاد السلطان للصليبيين بعض الأراضي التي سبق أن استولى عليها، ومنه ضمانات للحجاج النصارى القاصدين من بلاد عكّا زيارة **كنيسة الناصرة**. وتشير بعض نصوص هدنة عكّا إلى حالة القلق التي كانت تراود السلطان قلاوون من شيوع أخبار مشاريع التحالف بين الصليبيين والتتار، وهي مشاريع عمل اللاتين على تحقيقها جدّياً، لضمان سلامة مستعمراتهم في فلسطين. لذا حرص السلطان على تضمين الهدنة نصاً يلزم أسياد عكّا بإنذاره بعزمهم على فسخ الهدنة قبل شهرين على الأقل من قدوم صليبية جديدة إلى الشرق. أما إذا علم أحد الطرفين بحركة التتار، أو أية شعوب أخرى آتية من سهوب آسيا باتجاه الشام، فيتوجب عليه أن يخطر الطرف الآخر بذلك كي يتدبر أمره ويستعد لمواجهة الخطر الداهم. ولأن خطر **التتار** يستهدف **المسلمين** أساساً، فقد تعهد أسياد عكّا بتوفير الحماية لهؤلاء إذا ما أرغموا على الانهزام أمام التتار إلى بلاد مملكته .

لقد كانت الحالة التي سادت بلاد الشام على أهبة الاستعداد من تكرار هجمات التتار، وترقب المماليك الدائم لحركة المدد الأوروبية إلى الشرق، فضلاً عن التنافس الحاد بين أمراء اللاتين أنفسهم، قد دفع المماليك والصليبيين إلى تجديد الهُدن، فإن ثمة عاملاً كان له أهمية أبعد مدى في الزمان أفسد كل جهد ممكن ذلك بأن المماليك المطعون في مشروعيتهم من أنصار الأيوبية ومن بقايا الدولة العبيدية في مصر والشام، وجدوا في إحياء خلافة بني العباس في القاهرة، بعد سقوطها في بغداد على يد التتار عام ٦٥٦ هـ/ ١٢٥٨ م، فرصة لإضفاء صفة الشرعية الدينية على حكمهم، **ورأوا في متابعة حركة الجهاد ضد الصليبيين والتتار ما يعزز مكانتهم لدى المسلمين كافة، ويجعل سلاطين المماليك في مرتبة أعلى من حكام البلاد الإسلامية الآخرين باعتبارهم حماة الإسلام والخلافة الإسلامية**. لذا لم يكن بوسع المماليك أن يرضوا باستمرار وجود دولة أجنبية دخيلة على بلاد المسلمين، بالرغم من "علاقات حسن الجوار" التي ضمنتها اتفاقيات الهدن، ولو إلى حين. د.أحمد حطيط، تاريخ لبنان الوسيط، دراسة في مرحلة الصراع المملوكي- الصليبي.

السلطان المنصور (محمد بن قلاوون)

هو ثالث سلطان من المماليك حكم من ١٦ محرم ٦٩٣هـ/١٨ ديسمبر ١٢٩٣م، ويعتبر العصر الذهبي لدولة المماليك. أصبح سلطاناً على مصر بعد مقتل أخيه؛ فجلس على العرش وهو لا يزال في التاسعة من عمره في ١٨ ديسمبر ١٢٩٣. واختير الأمير "كتبغا" نائباً له وكان النائب الحاكم الفعلي للبلاد. حقق محمد بن قلاوون إنتصارات عسكرية على جيشي المغول و الصليبيين كما شهدت البلاد في عهد بن قلاوون نهضة حضارية وعمرانية فشيد "القصر الأبلق" و"مسجد القلعة" في يونيو ١٣٤١، مرض السلطان الناصر مرضاً شديداً حتى توفي بعد أحد عشر يوماً عن عمر بلغ سبعة وخمسين عاماً.

تعد مدرسة و جامع الناصر محمد ابن قلاوون من أهم آثار العصر المملوكي و أبدعها.

أعيد البناء الحالي لباب المغاربة و هو أحد بوابات القدس. سمي بباب المغاربة نظرا لأن القادمين من المغرب كانوا يعبرون منه لزيارة المسجد الأقصى في عهد السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون في سنة ٧١٣ هجرية/ ١٣١٣ ميلادية.

توفي **السلطان قلاوون** بقلعة الجبل بالقاهرة في السابع والعشرين من ذي القعدة سنة ٦٨٩هـ، وفيها غُسّل وكفن، ثم حُمل إلى تربته الملحقة بمدرسة العظيمة بين القصرين (شارع المعز) فدُفن فيها، ولا تزال المدرسة شامخة شاهدة على عظمة هذا السلطان وازدهار عهده.



تصفية التجمعات الصليبية في بلاد الشام في عهد قلاوون

مستعمرات صليبية
إمارة أرمينية
مستعمرات بيزنطية
مناطق تحت سلطان المسلمين

واصل **المماليك** جهادهم ضد **الصليبيين** في عهد السلطان "**المنصور قلاوون**"، الذي تولى السلطنة في سنة (٦٧٨هـ= ١٢٧٩م)، فاستولى على "**حصن المرقب**" سنة (٦٨٤هـ= ١٢٨٥م)، واسترد "**اللاذقية**" سنة (٦٨٦هـ= ١٢٨٧م)، وفتح "طرابلس" بعد حصار دام شهرين في (٦٨٨هـ= ١٢٨٩م) ثم تلتها "بيروت" و"جبلة"، **ولم يبق للصليبيين في الشام سوى "عكا" و"صيدا" و"عثليت" وبعض المدن الصغيرة**، وتجهز لفتح "عكّا"، غير أن المنية كانت أسبق من إنجاز أمله؛ فتوفي في (ذي القعدة ٦٨٩هـ= نوفمبر ١٢٩٠م).

لقد اندرجت اتفاقيات الهُدن المعقودة مع الصليبيين في سياق استراتيجية عمادها إقامة الأحلاف واستفراد الأعداء، أرسى قواعدها السلطان المظفر قطز (٦٥٧-٦٥٨هـ/ ١٢٥٩-١٢٦٠م)، حين نجح عشية معركة عين جالوت (٦٥٨هـ/ ١٢٦٠م)، في عقد اتفاقية مع بارونات **عكّا** قضت بالتزامهم الحياد من الصراع المملوكي- التتاري، والسماح لجيشه باجتياز أراضي عكّا، وهو في طريقه إلى ساحة المعركة. وتابع سلاطين المماليك سياسة سلفهم قطز، ونقضوا عهودهم مع الصليبيين حينما يشتمون منهم رائحة الغدر والخيانة، أثناء مجيء تعزيزات صليبية ضد المسلمين؟!.

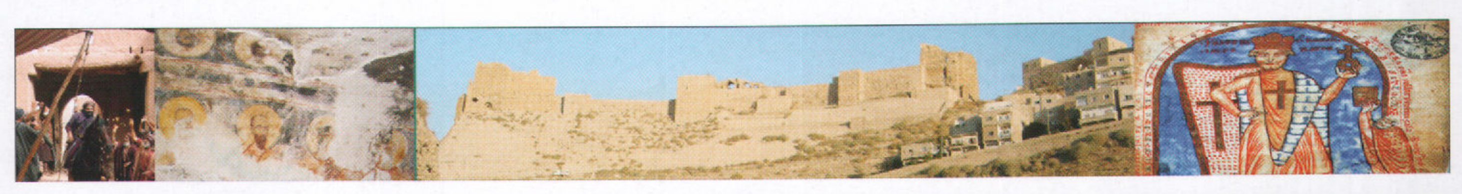


مؤلف ومصمم الأطلس أمام مدخل قلعة المرقب في شمال غربي سوريا

قلعة (حصن) المرقب: حصن يقع على بعد ٥ كم جنوب شرقي بانياس (محافظة طرطوس). بناها العرب عام ١٠٦٢م. احتلها الصليبيون عام ١١١٧م، وأصبحت من أهم مواقعهم الحصينة في المنطقة. استعادها **السلطان قلاوون** في العام ١٢٨٥م، بعد قتال عنيف وحصار استمر ٣٨ يوماً، وتم جلاء حامية القلعة إلى إمارة عكّا. **كانت هزيمة الصليبيين في المرقب إيذاناً بانتهاء وجودهم في الشرق**. أمر قلاوون بتحصين القلعة وترك فيها فرقته من المماليك البحرية. يحيط بالقلعة سوران، داخلي وخارجي، يحتوي الأخير على ١٤ برجاً دفاعياً، لعل أهمها البرج الجنوبي، **وهو برج ضخم تزينه أحجار بيضاء نقش عليها تاريخ فتح القلعة على يد قلاوون**. من أجزاء القلعة الهامة أيضاً قاعة الفرسان والقاعة الكبيرة وكنيسة تعود للقرن الثاني عشر.



قلعة المرقب من الداخل



اتجاه القبلة

المكان الذي حوله السلطان قلاوون إلى مسجد بعد تحريره من الصليبيين





شاطئ اللاذقية على البحر المتوسط

وقعت **اللاذقية** تحت **الاحتلال الصليبي** في عام ١٠٩٧م وألحقوها بولاية أنطاكية. استطاع صلاح الدين الأيوبي أن يحررها في عام ١١٨٨م بيد أن الصليبيين أخضعوها مرة ثانية تحت حكم ولاية طرابلس في عام ١٢٦٠م، وتخلصت نهائياً من الاحتلال الصليبي في عهد السلطان **المنصور قلاوون** سنة ١٢٨٧م.



ميدان اللاذقية الرئيس



بعد هزيمة الصليبيين في موقعة حطين عام ١١٨٧ م على يد صلاح الدين الأيوبي هرب الفرسان الصليبيون إلى البلاد الأوروبية. وبسقوط عكّا ١٢٩١ م وطرد الصليبيين نهائياً من الشام اتجهت هيئات الفرسان إلى نقل نشاطها إلى ميادين أخرى:

- اتجه الفرسان التيوتون نحو شمال أوروبا حيث ركزوا نشاطهم الديني والسياسي قرب شواطئ البحر البلطيكي.
- نزح (الداوية) أو فرسان المعبد إلى بلدان جنوبي أوروبا وخاصة فرنسا حيث قضى عليهم فيليب الرابع فيما بعد (١٣٠٧: ١٣١٤ م).
- فرسان الاسبتارية (المستشفى) الذين ظل وجودهم حتى اليوم، فقد اتجهوا في البداية إلى مدينة صور ثم إلى المرج (في ليبيا حالياً) ومنها إلى عكّا ثم ليماسول في قبرص ١٢٩١م.



قلعة صلاح الدين الأيوبي في اللاذقية

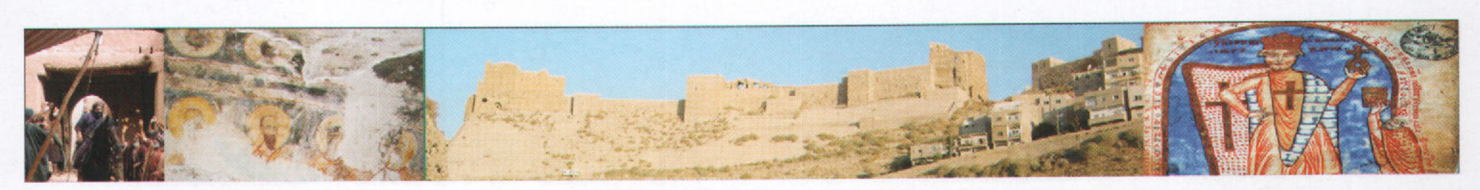


قلعة طرابلس من الداخل

حوالي العام ١١٠٠م، أخذ الصليبيون يشددون حملاتهم على سواحل المنطقة قصد التوغّل إلى بيت المقدس في فلسطين، وكان ريمون دي صنجيل يحلم بإنشاء إمارة له ولأولاده في طرابلس وقد حاول أكثر من مرة بمساعدة الأساطيل الجنوية الإيطالية خلال عدة سنوات فلم يفلح وقد تابع خلفه محاصرة طرابلس وتمكنوا من الاستيلاء عليها عام ١١٠٩م، وظل يحكمون فيها ومن بعده أولاد وأحفاد ريموند دي صنجيل حتى العام ١٢٨٩م.



مدخل قلعة طرابلس الأثرية



أحد الجوامع الحديثة في طرابلس



مؤلف ومصمم الأطلس أمام الجزيرة المقابلة لطرابلس

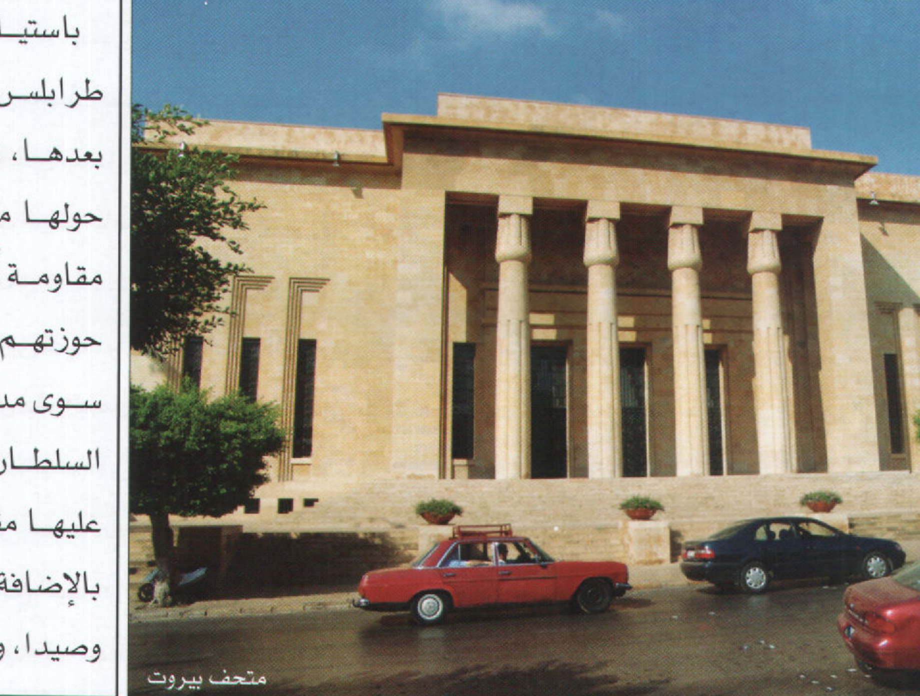
كان التنافس بين الأمراء الصليبيين على الحكم على أشدّه، مما أضعف قوتهم وشتت شملهم، وهنا وجد المماليك في مصر الفرصة سانحة أيام **حكم السلطان قلاوون** الذي جهز حملة عسكرية كبيرة من ٤٠ ألف فارس، و١٠٠ ألف جندي من المشاة، حيث حاصر **طرابلس** في أول آذار من عام ١٢٨٩م، وظل يهاجمها حتى ٢٦ نيسان أي لمدة ٣٤ يوماً، واستولى عليها وقتل كل من غدر فيها من الصليبيين، والذين تمكنوا من النجاة الغادرين **ولجأوا إلى جزيرة صغيرة قبالة ساحل طرابلس** حيث كان يوجد فيها كنيسة، لحقت بهم **جيوش السلطان قلاوون** وقتلت الغادرين منهم. وبعد **استيلاء المماليك على طرابلس**، أمر السلطان **قلاوون** بهدمها ولم يبق فيها حجر على حجر، ثم أمر ببناء مدينة "طرابلس" من جديد على ضفتي النهر. بقيت طرابلس تحت حكم المماليك قرنين وربع قرن، حين دخلت قوات السلطان سليم العثماني البلاد العربية وانهت حكم المماليك فيها واستمر حكم العثمانيين أربعة قرون إلى أن اندلعت الحرب العالمية الأولى ودخل الحلفاء منطقة الشرق الأوسط؛ وكان لبنان من نصيب الفرنسيين، ثم استقلال لبنان.





أحد المداخل الرئيسة إلى بيروت العاصمة اللبنانية

باستيلاء المسلمين على طرابلس، فقد **الصليبيون** بعدها، **بيروت** وجبلة وما حولها من الحصون بدون مقاومة تُذكر، ولم يبق في حوزتهم بالسواحل الشامية سوى مدينة **جبيل** التي أقر السلطان **قلاوون**، صاحبها عليها مقابل مبلغ من المال، بالإضافة إلى مدن عكّا وصور وصيدا، وحصن عتليت .



متحف بيروت



أحد جوامع لبنان الحديثة :جامع فوزية الرفاعي من دولة الكويت





الطبيعة الخلابة في محيط بيروت





القضاء نهائياً على الوجود الصليبي الفرنجي في عهد السلطان (الأشرف خليل)

بعد أن فتح **المنصور قلاوون** (٦٧٩- ٦٨٩ هـ) طرابلس وعزم على حصار **عكّا** ولكن المنية عاجلته. خلفه ابنه **الأشرف خليل** (٦٨٩- ٦٩٣ هـ) والذي توجه بقواته نحو عكّا، واجتمعت إليه جيوش مصر والشام سنة ٦٩٠ هـ (١٢٩١م) فقام بمحاصرتها مدة أربعة وأربعين يوماً، ورماها بالمنجنيق، حتى فتحها في جمادى الأول من عام ٦٩٠ هـ (١٢٩١م)، رغم المقاومة العنيدة التي أبدتها حاميتها، وإمدادات قبرص لها - حيث أن الصليبيين كانوا يعلمون أنها آخر أمل لهم في البقاء في الشام- وقد فر بعض سكانها إلى عرض البحر المتوسط وتكدسوا في السفن التي غرق بعضها لكثرة من كانوا على ظهرها .

وبعد ذلك قام **الأشرف خليل** بالاستيلاء بسهولة على **بقية ما تبقى بأيدي الصليبين** مثل: **صور وحيفا** اللتين قاومتا مقاومة كبيرة، ثم اضطرتا للتسليم فنجتا بذلك من التخريب، ثم استولى الأشرف خليل على **عتليت وصيدا وانطرسوس**، وبهذا تم القضاء نهائياً على الوجود الصليبي في الشام، وإن كان الصليبيون في **جزيرة إرواد** المقابلة للساحل الشرقي قد ظلوا يغيرون على السواحل بين الفينة والأخرى ويقطعون الطرق، مما أزعج نائب السلطنة المملوكية على الشام، وجعله يطلب معونة السلطان الناصر محمد ابن قلاوون، فجهز أسطولاً ووجهه نحو هذه الجزيرة بعد أن ضم إليه جيش **طرابلس** ففتحها وملكها وقتل من أهلها خمسمائة وذلك عام ٧٠٢ هـ (١٣٠٢م).

وهكذا بالقضاء على **الصليبين** في عام ٦٩٠ هـ (١٢٩١م) وبزوال **الخطر المغولي** عن **الشام ومصر**، أصبح **لدولة المماليك** شأن عظيم في السياسة الدولية خصوصاً في عهد سلطانها الناصر محمد ابن قلاوون في سلطنته الثالثة.

أدرك **الصليبيون** في **أوروبا** فشل محاولاتهم المتلاحقة للعدوان على **بلاد الإسلام** في الشام ومصر، ورأوا زوال آخر إماراتهم بعد قرنين من تأسيسها، رغم ما بذل في سبيل إقامتها من جهود مادية ومعنوية، ومن سفك في سبيلها من دماء، كما لمسوا فتور الحماس الصليبي، بعد فشل حملتي لويس التاسع السابعة والثامنة على مصر وتونس، لذلك اضطروا إلى تقبيل اليد التي حاولوا قطعها فلجأوا إلى الدبلوماسية والمراسلات والسفراء والهدايا، علهم يحققون عن طريقها ما فشلوا في تحقيقه بالتعصب والسيف.

انهال سفراء الدول الأوروبية على بلاط الملك الناصر محمد بن قلاوون في القاهرة، محملين بالهدايا والرسائل التي تلح في طلب الصداقة والموادعة، وتوثيق عرى الصداقة، في حين كان غرضها الأساسي هو استدرار عطف الناصر على النصارى في دولته، سواء من كان منهم من الأقباط في مصر أو من أهل الشام، فأرسل البابا يوحنا الثاني والعشرين في عام ٧٢٧ هـ (١٣٢٦م) رسالة إلى الناصر طالباً منه أن يعامل نصارى الشرق معاملة عادلة، مقابل معاملة مماثلة للمسلمين، فرد عليه الناصر مجيباً طلبه .

مراسلات الأوروبيين للأشرف خليل

في نفس السنة التي حرر المسلمون عكّا أرسل شارل الرابع ملك فرنسا رسالة بالعطف على نصارى المشرق فرد عليه الناصر أيضاً مجيباً طلبه، كما أرسل إليه إمبراطور بيزنطة سفراء محملين بالهدايا راجياً إياه معاملة النصارى الملكانيين لديه بالرعاية والعدل، فقبل الناصر طلبه، وعقد معه حلفاً لصد الأتراك العثمانيين.

وبلغت العلاقات بين الناصر ويعقوب ملك أرغونة شأواً كبيراً بسبب المراسلات بينهما ما بين سنتي٧٠٣ - ٧٢٨ هـ (١٣٠٣-١٣٢٧ م)، التي كان هدفها إيجاد علاقة صداقة بينهما، والحصول على ميزات تجارية لأرغونة في مصر، وتسهيل الحج للأراضي المقدسة، وإطلاق سراح النصارى المسجونين في مصر، وضمان حسن معاملة الأقباط والنصارى عامة في الشرق.

وقد رأى الناصر محمد- الذي كان ملكاً مستنيراً محنكاً، يميل إلى المسالمة - رأى ذلك فرصة لتوثيق العلاقات بين دولته والآخرين في الشرق والغرب، يحقق بها مصالح مشتركة وخاصة حماية المسلمين في أسبانيا التي كانت خاضعة لحاكم أرغونة، بالإضافة إلى المصالح التجارية والعسكرية في الوقوف أمام الأخطار المحدقة بدولته في قادم الأيام.



تصفية الوجود الصليبي في بلاد الشام في عهد الأشرف خليل

الشمال

مستعمرات صليبية
إمارة أرمينية
مستعمرات بيزنطية
مناطق تحت سلطان المسلمين

سلاجقة الروم
مملكة الأرمن (كليكيا)
الإمبراطورية البيزنطية
سلطنة المماليك
المماليك
سوريا
بلاد الشام
الأردن
بحر الروم (البحر الأبيض المتوسط)
قبرص
مملكة بيت المقدس (عكّا)

خرج الأمير "حسام الدين لاجين" نائب الشام بجيشه من "دمشق"، وخرج الملك المظفر بجيشه من "حماة"، وخرج الأمير "سيف الدين بلبان" بجيشه من "طرابلس"، وخرج الأمير "بيبرس الدوادار" بجيشه من "الكرك"، وتجمعت كل هذه الجيوش الجرارة عند أسوار **عكّا**، وقدر عددها بنحو ستين ألف فارس، ومائة وستين ألفاً من المشاة؛ مجهزين بالأسلحة وعدد كبير من آلات الحصار، وبدأت في فرض حصارها على "عكّا" في (ربيع الآخر ٦٩٠هـ= ٥ من إبريل ١٢٩١م)، ومهاجمة أسوارها وضربها بالمجانيق؛ وهو ما مكنهم من إحداث ثقوب في سور المدينة.

حملة صليبية شعبية من إيطاليا الوسطى ولومبارديا، وصلت عن طريق قبرص، ثم **عكّا** في منتصف ١٢٩٠م، وكانت تضم بين ظهرانيها عصابات أشبه بعصابات بطرس الناسك ووالتر المفلس ورفاقهما، والتي تشكلت في سنة ١٠٩٦ م، أي في بدء الحملة الصليبية الأولى: فراحت تعبث بالنظام، وتعيث فساداً في المدينة، فناصبها الأهالي العداء، فأقدم بعضها في أحد الأيام من شهر آب سنة ١٢٩٠ م، على ارتكاب مجازر بحق الفلاحين والتجار المسلمين الآمنين، والعزّل من السلاح، وقتلوا معهم بعض السريان الملكانيين خطأً بسبب تركهم لحاهم كالمسلمين؛ ثم أخذوا يخرجون إلى ضواحي عكّا لترقب مرور القوافل التجارية الإسلامية لنهبها وقتل أصحابها، ولما ترامت الأخبار للسلطان الأشرف قلاوون، بما فعله هؤلاء الصليبيون من أعمال بربرية، طلب من سلطات عكّا، تسليمه المجرمين المسؤولين عنها، فلم تستجب سلطات عكّا لذلك، بل أرسل نائب المملكة (مملكة بيت المقدس عكّا) يعتذر له عنهم؛ فما كان من **قلاوون** إلا أن اعتبر الهدنة منقوضة .

بدأ السلطان (قلاوون) بتجهيز حملة عسكرية لذلك، ولكن قبل أن ينتهي من إعدادها، وافته المنية، فتوفي بعد خروجه من الديار المصرية، وكانت وفاته بالقرب من المطرية في ٦ ذي القعدة ٦٨٩ هـ وتولى **ابنه الأشرف صلاح الدين خليل** سدة السلطنة بعده، وخرج من مصر بجيش كان والده قد هيأه له لفتح عكّا.

العساكر الشامية تخرج من مدن شامية متعددة لملاقاة العساكر المصرية، بناء لطلبه؛ ولما التقى الجمعان (الشامي والمصري) ألقى المسلمون الحصار على مدينة عكّا أول جمادى الأولى سنة ٦٩٠ هـ ٥ نيسان ١٢٩١ م، وضاق الخناق عليها، لدرجة أن كل محاولة كانت تجري من قبل الصليبيين لفكه تنتهي بالفشل الذريع .



تحرير عكّا من أيدي الصليبيين

١

ملك قبرص (هنري الثاني) يصل بـ ٤٠ سفينة حربية، تنقل ٢٠٠ من الفرسان، و ٥٠٠ من المشاة لمساعدة صليبي عكّا في ٤ أيار سنة ١٢٩١ م..

٢

معسكر الجيش الإسلامي بقيادة الأشرف خليل ، يتعرض معسكره لضرب متعمد من أحد منجنيقات الصليبيين؛ مما أغضب السلطان، وأوقف المفاوضات، وعادت المناوشات تشتد بين المحاصرين والمحاصَرين الذين أبدوا مقاومة قوية بعد مجيء قوات ملك قبرص .

٣

الداوية والاسبتارية ، وجان دي غرايي قائد الفرقة الفرنسية، وأوت دي غرانسون قائد الفرقة الإنجليزية، وهو فارس سويسري إضافة إلى ملك قبرص (هنري الثاني).

٤

دمشق وطرابلس وحماة والكرك [منطلق الجيش الشامي لحصار عكا] .



مدينة عكّا من الفضاء الخارجي

البحر الأبيض المتوسط (بحر الروم)

المدينة القديمة

١كم ٠,٥ ٠

سـور مدينة عكّا الفلسطينية على شاطئ البحر الأبيض المتوسط

مكرر للأهمية



ميناء عكّا من الفضاء الخارجي

اشتد **الحصار الإسلامي** على **الصليبيين** في **عكّا** والذي دام ثلاثة وأربعين يوماً، وعجز **الصليبيون** عن الاستمرار في المقاومة، ودب اليأس في قلوبهم؛ فخارت قواهم، **وشق المسلمون طريقهم إلى القلعة**، وأجبروا حاميتها على التراجع؛ فدخلوا المدينة التي استسلمت، وشاعت الفوضى في المدينة، بعد أن زلزلت صيحات جنود المماليك (**الله أكبر. الله أكبر. الله أكبر**) جنبات المدينة، وهز الرعب والفزع قلوب الجنود والسكان؛ فاندفعوا إلى **الميناء** في غير نظام يطلبون النجاة بقواربهم إلى السفن الراسية قبالة الشاطئ؛ فغرق بعضهم بسبب التدافع وثقل حمولة القوارب وانهارت المدينة ووقع عدد كبير من سكانها أسرى في قبضة المماليك، وسقطت في يد الأشرف خليل في (١٧ من جمادى الأولى ٦٩٠هـ= ١٨ مايو ١٢٩١م)، ثم واصل سعيه لإسقاط بقية المعاقل الصليبية في الشام كما سيتضح لنا في الصفحات القادمة إن شاء الله تعالى .





مرتسم تخيلي لتحرير عكا من أيدي الصليبيين



الاجهاز على البقية الباقية من الصليبيين (الفرنجة) في بلاد الشام



قال أبو الفداء: وخرج الفرنج (الصليبيون) في أثناء مدة الحصار بالليل، وكبسوا العسكر، وهزموا اليزكية، واتصلوا إلى الخيام، وتعلقوا بالأطناب، ووقع منهم فارس في جورة مستراح بعض الأمراء فقتل هناك، وتكاثرت عليهم العساكر فولى الفرنج منهزمين إلى البلد، وقتل عسكر حماة عدة منهم، فلما أصبح الصباح، علق الملك المظفر صاحب حماة، عدة من رؤوس الفرنج في رقاب خيلهم التي كسبها العسكر منهم، وأحضر ذلك إلى السلطان الملك الأشرف، واشتدت مضايقة العسكر لعكا حتى فتحها الله تعالى لهم، في يوم الجمعة السابع عشر من جمادى الآخرة بالسيف، ولما هاجمها المسلمون، هرب جماعة من أهلها في المراكب، وكان في داخل البلد عدة أبرجة عاصية، بمنزلة قلاع، دخلها عالم عظيم من الفرنج وتحصنوا بها، وقتل المسلمون وغنموا من عكا شيئاً يفوت الحصر من كثرته، ثم استنزل السلطان جميع من عصى بالأبرجة، ولم يتأخر منهم أحد، فأمر بهم فضربت أعناقهم عن آخرهم حول عكا، ثم أمر بمدينة عكا فهدمت إلى الأرض، ودكت دكاً، ومن عجائب الاتفاق. **أن الفرنج استولوا على عكا وأخذوها من صلاح الدين، ظهر يوم الجمعة سابع عشر جمادى الآخرة، سنة سبع وثمانين وخمسمائة، واستولوا على من بها من المسلمين، ثم قتلوهم، فقدر الله عز وجل في سابق علمه، أنها تفتح في هذه السنة في يوم الجمعة سابع عشر جمادى الآخرة على يد السلطان الملك الأشرف صلاح الدين، فكان فتوحها مثل اليوم الذي ملكها الفرنج فيه، وكذلك لقب السلطانين.**

ذكر فتوح عدة حصون ومدن:

لما فتحت عكا، ألقى الله تعالى الرعب في قلوب الفرنج الذين بساحل الشام، فأخلوا صيدا وبيروت، وتسلمها الشجاعي في أواخر رجب، وكذلك هرب أهل مدينة صور، فأرسل السلطان وتسلمها، ثم تسلم عثليث في مستهل شعبان، ثم تسلم أنطرطرس في خامس شعبان. جميع ذلك في هذه السنة، أعني سنة تسعين وستمائة. واتفق لهذا السلطان من السعادة، ما لم يتفق لغيره، من فتح هذه البلاد العظيمة، الحصينة، بغير قتال ولا تعب، وأمر بها فخربت عن آخرها، وتكاملت بهذه الفتوحات، جميع البلاد الساحلية الإسلامية، وكان أمراً لا يطمع فيه ولا يرام، وتطهر الشام والسواحل من الفرنج (الصليبيين)، بعد أن كانوا قد أشرفوا على أخذ الديار المصرية، وعلى ملك دمشق، وغيرها من الشام، فلله الحمد والمنّة على ذلك، ولما تكاملت هذه الفتوحات العظيمة، رحل السلطان الملك الأشرف، ودخل دمشق وأقام مدة، ثم عاد إلى الديار المصرية ودخلها في هذه السنة. المختصر في أخبار البشر - (ج ١ / ص ٤٧٨).

واصل السلطان الأشرف خليل سعيه لإسقاط بقية المعاقل الصليبية في الشام؛ فاسترد مدينة "صور" دون مقاومة، و"صيدا" ودمرت قواته قلعتها، وفتح "حيفا" دون مقاومة، و"طرسوس" في (٥ من شعبان ٦٩٠هـ= ٣ من أغسطس ١٢٩١ م)، و"عثليث" في (١٦ من شعبان ٦٩٠هـ).

ظلت الجيوش المملوكية تجوب الساحل الشامي بعد جلاء الصليبيين من أقصاه إلى أقصاه بضعة أشهر تدمر كل ما تعتبره صالحاً لنزول الصليبيين إلى البر مرة أخرى، **وبهذا وضع "الأشرف خليل" بشجاعته وإقدامه خاتمة الحروب الصليبية.**

فرار الصليبيين من عكّا ثم نحو صور ثم اتجاه جزيرة أرواد السورية

٠ ٢٥ ٥٠ كم



تحرير آخر معاقل الصليبيين (الفرنجة)

حلب
أنطاكية
ش
سلطنة المماليك
اللاذقية
قبرص
٣
حماة
طرطوس
ج. أرواد
حمص
طرابلس
بحر الروم (البحر الشامي - البحر الأبيض المتوسط)
١
بيروت
صيدا
دمشق
صور
سلطنة المماليك
عكّا
حيفا
أربد
عمّان
بيت المقدس
بيت لحم
بحيرة لوط
الكرك
٠ ٢٥ ٥٠ ٧٥ ١٠٠ كم

١

بسقوط مدينة عـكّا ، تخاذلت قوى الصليبيين في المدن الباقيـة لهم في بلاد الشام، وكما ذكرنا في الخريطـة السابقـة، سقطت صور وصيـدا وحيفا، ولم يعـد هنـاك للداوية، إلا **طرطوس** وجزيرتها أرواد و**عثليث**، وهمـا آخـر معقلين مـن معاقلهم سقطا بيد المسلمين في الثالث والرابع عشر من آب سنة ١٢٩١ م، مستهل شهر شعبان سنة ٦٩٠ هـ .

٢ قصيدة القاضي محيي الدين عبد الظاهر:

يابني الأصفر قد حل بكم
نقمة الله التي لاتنفصل
نزل الأشرف في ساحتكم
فابشروا منه بصفع متصل

٣

خروج الفرنج (الصليبيين) النهائي من بلاد الشام ولجوؤهم إلى جزيرة قبرص .



بلاد الشام بعد جلاء الصليبيين (الفرنجة) منها سنة ٦٩٠ هـ ١٢٩١ م

الشمال

مستعمرة صليبية
إمارة أرمينية
مستعمرات بيزنطية
مناطق تحت سلطان المسلمين

سلاجقة الروم
مملكة الأرمن (كليكيا)
سيس
أضنة
طرسوس
مارسين
الإمبراطورية البيزنطية
اسكندرون
أنطاكية
ميناء سمعان
مرعش
بهسنا
كركر
سميساط
الرُّها
رانكولا
سروج
عينتاب
راوندم
عزاز
حلب
كفر طاب
سلطنة المماليك
ن. الفرات
ن. الخابور
ن. العاصي
قبرص
نيقوسيا
ليماسول
اللاذقية
جبلة
فالانيا
مرقلية (المرقب)
طرطوس
أرواد
مصياف
قيصرية
حماة
كفرنان
حصن الأكراد
حمص
طرابلس
بترون
جبيل
بعلبك
بيروت
سوريا
ن. الليطاني
صيدا
دمشق
صور
بلاد الشام
بحر الروم (البحر الشامي - البحر الأبيض المتوسط)
عكا
صفد
حيفا
طبرية
قيسارية
نابلس
أرسوف
الأردن
ن. الأردن
يافا
بيت المقدس
السلط
عسقلان
غزة
الخليل
داروم
ب. لوط
الكرك
سيجور
الشوبك
أيلة
سلطنة المماليك
٥٠ كم ٢٥

نظم شعراء كثيرون في فتح السلطان الأشرف بقايا قلاع وحصون الصليبيين في بلاد الشام، فمن ذلك ما نظمه شهاب الدين محمود:

الحمد لله زالت دولة الصلب ... وعز بالترك دين المصطفى العربي
هذا الذي كانت الآمال لو طلبت ... رؤياه في اليوم لاستحيت من الطلب
ما بعد عكّا وقد هدت قواعدها ... في البحر للشرك عند الدين من أرب
كم رامها ورماها قبله ملكٌ ... جم الجيوش فلم يظفر ولم يصب
لم ترض همته إلا الذي قصدت ... هجر عنها ملوك العجم والعرب
فأصبحت وهي في بحرين مائلة ... ما بين مضطرم النار ومضطرب
جيشٌ من الترك ترك الحرب عندهم ... عارٌ وراحتهم ضربٌ من الوصب
وأطلع الله جيش النصر فانتشرت ... طلائع النصر بين السمر والقضب
أجرت إلى البحر بحراً من دمائهم ... فراح كالراح إذ عرفاه كالحبب
بشراك يا ملك الدنيا لقد شرفت ... بك الممالك واستعلت على الرتب
لقيتها يا صلاح الدين الدين معتقداً ... فإن ظن صلاح الدين لم يخب
أدركت ثأر صلاح الدين إذ عصيت ... عنه لسر طواه الله في الكتب

وأنشد أبي غانم بيتين عند فتح عكا في هذا المعنى وهما:

مليكان قد لقبا بالصلاح ... فهذا خليل وهذا يوسف
فيوسف لا شك في فضله ... ولكن خليلٌ هو الأشرف

ومن نظم شمس الدين ابن الصائغ:

يا أشرف الدنيا تهن فإنه ... فتحٌ سواك بمثله لم يحلم
أشبهت معتصم الخلافة همةً ... فالروم منك ديارها لم تعصم
قاتلت بلق جيوشهم بسوابق ... غر عليها الريح لم تتقدم
كم رعتها بسواد ليل أليل ... وصدمتها ببياض يوم أيوم
وأعدتها للمسلمين ولم يكن ... منهم يرى التطهير إلا بالدم
فالجمعة الغراء كان صباحها ... وجه الزمان بمثله لم يرقم

قوس النصر: بناء من العصر الروماني في مدينة صور اللبنانية





مدينة صيدا اللبنانية من خلال قلعتها التاريخية







لقطات متنوعة لقلعة صـــيدا، والذي تركها الصليبيون بعد هزيمة حصار عكّا .



مدينة طرطوس

السورية

البحر الأبيض المتوسط

جزيرة أرواد

لجوء بقايا الصليبيين بعد هزيمة حصار عكّا إلى طرطوس وجزيرة أرواد

ميناء طرطوس السوري وجزيرة أرواد من الفضاء الخارجي



جزيرة أرواد

قام **الأشرف خليل** بالاستيلاء بسهولة على بقية ما تبقى بأيدي الصليبيين مثل صور وحيفا اللتين قاومتا مقاومة كبيرة، ثم اضطرتا للتسليم فنجتا بذلك من التخريب، ثم استولى الأشرف خليل على عتليت وصيدا وطرسوس، وبهذا تم القضاء نهائياً على الوجود الصليبي في الشام، وإن كان **الصليبيون** في **جزيرة إرواد** المقابلة للساحل الشرقي؛ قد ظلوا يغيرون على السواحل بين الفينة والأخرى ويقطعون الطرق، مما أزعج نائب السلطنة المملوكية على الشام، وجعله يطلب معونة السلطان الناصر محمد بن قلاوون، فجهز أسطولاً ووجهه نحو هذه **الجزيرة** بعد أن ضم إليه **جيش طرابلس** ففتحها وملكها وقتل من أهلها خمسمائة وذلك عام ٧٠٢هـ (١٣٠٢م).



بقايا الصليبيين

نيقوسيا

قبـــرص

ليماسول

مدينة طرطوس

جزيرة أرواد

سوريــــا

البحر الأبيض المتوسط

الجيش المملوكي

فرقة الداوية: (منظمة دينية عسكرية أخذت على عاتقها حماية الحجاج النصارى والدفاع عنهم وعن الأرض المقدسة)، وكانوا يقطعون الطرقات على قوافل المسلمين.

٠ ٢٥ ٥٠ ٧٥ ١٠٠ كم

فرار بقايا اللاجئين الصليبيين إلى جزيرة قبرص بعد مطاردة الجيش المملوكي لهم

جزيـرة قبـرص: بحكم موقعها الجغرافي، تصلها، من كل حدب وصوب، منتجات المناطق التي حباها الله تعالى بالتنوع الغذائي. فهي على مسافة يومين بحراً من مصر، وعلى عدة ساعات من سواحل الشام وآسيا الصغرى. ومع ذلك، فإن البحر يفصلها عن هذه المناطق، ممـا يحفظ لهـا استقلالها. على أن الجبال العالية والوعرة المسالك المحيطة بها من الشمـال والشرق تقيها خطر الهجمات المحتملة من جهة آسيا الصغرى وبلاد الشام؛ لجأ إليها الكثير من **الصليبيين** إبان حصار أنطاكية، وبخاصة فرسان **الداوية**، واستقروا فيها؛ كما ارتـادت مرافئهـا سفن التجار اللاتـين، منذ النصف الأول من القرن الثـاني عشر الميلادي، وهي في طريقهـا إلى القسطنطينية أو إلى الإسكندرية، وكذلك سفن الحجاج الأوروبيين القاصدين زيارة الديار المقدسة في فلسطين بعد تحرير **صلاح الدين لبيت المقدس** على أثـر معركة حطين عـام ١١٨٧م، نزحت أعداد غفيرة من اللاتين عن الشرق **قاصدة قبرص**، لتقـع الجزيرة البيزنطية الطابع في قبضة اللاتـين، عـام ١١٩١م، حـين انتزعهـا ريتشـارد قلـب الأسـد (Richard Cœur de Lion)، ملـك أنكَلـترا، مـن إسحق كومنـين (Isaac Comnène) المتمـرد علـى السيـادة البيزنطية، وباعها **لفرسـان الداويـة** ثم انتقلت بالشراء، بعـد أقل من سنـة، إلى أسرة لوزينيان (Lusignan) اللاتينيـة، بعد أن ثار السكان علـى الداوية وبطل البيع، فأقامت فيها مملكة استمرت نحو ثلاثة قرون، كان أمراً محتماً أن يحظـى **الدور العسكري لجزيرة قبرص بتعاطف البابوية التي رأت فيه فرصـة جديدة لمعاودة الاسـتيلاء على بيت المقدس**، وخاصة بعد أن أحسن القبارصة استقبال فلول **الاسبتارية** الهاربين من الشام، وساعدوهم على انتزاع **رودوس** من السيادة البيزنطية عام ١٣٠٩ م، فاتخذها هؤلاء قاعدة صليبية شاركت قبرص في سياستها الحربية والاقتصادية ضد المسلمين.



أهم مصادر ومراجع الباب الحادي عشر

١ - د . أحمد حطيط ، تاريخ لبنان الوسيط (دراسة في مرحلة الصراع المملوكي الصليبي) .

الجامعة اللبنانية

٢ - د . أحمد حطيط ، دور قبرص في العلاقات بين المماليك والغرب الأوروبي في أواخر القرون

الوسطى ، الجامعة اللبنانية .

٣ -أبو الفداء، المختصر في أخبار البشر .

٤ - Google Earth .

٥ - موسوعة ويكبيديا على الشبكة العنكبوتية .

٦ - سامي بن عبد الله المغلوث، الحملات الصليبية على المشرق الإسلامي في العصور الوسطى .

دار الوراق، طبع ونشر ١٤١٩ هـ .

٧ - ابن تغري بردي، جمال الدين أبي المحاسن الأتابكي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر

والقاهرة .

٨ - أحمد بن علي المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك .

٩ - موقع إسلام أون لاين على الشبكة العنكبوتية .



الباب الثاني عشر



من نتائج الحملات الصليبية

- الحملات الصليبية معبر من معابر الحضارة الإسلامية إلى أوروبا
- الاعتذار المسيحي عن الحروب الصليبية في العصر الحديث





من نتائج الحملات الصليبية

اتجهت أوروبا في العصور الوسطى إلى الزهد في الدنيا بطريقة مخالفة للأوامر الإلهية السماوية (لا إفراط ولا تفريط) ، وذلك نتيجة هيمنة رجال الكنيسة على مختلف شؤون الحياة، باعتبارهم علماء في الدين وفلاسفة في القانون الروماني، فحاربوا المفكرين، وحاكموهم بقسوة، احتكروا زعامة المجتمع، فتفشت فيه الخرافات وعم الجهل، فلم ينتفع الجمهور باللغة اللاتينية، لأنها كانت محتكرة لدى طائفة من رجال الكنيسة، ولهذا كان المجتمع الأوروبي متخلفاً ويئن تحت وطأة الإقطاع، ويعاني من ويلات الحروب الإقطاعية والتجزئة السياسية.

وبعد إعلان البابوات الحرب المقدسة لتخليص المقدسات من قبضة المسلمين طيلة فترة الحروب الصليبية، حيث بدأها أوربان الثاني في مجمع كليرمونت الشهير سنة ١٠٩٥ م، ثم تتابعت الحملات بعد ذلك، من هنا وجد المجتمع الأوروبي ضالته للخروج من نير القهر والذل والتخلف إلى ميدان الحضارة والرقي آنذاك (العالم الإسلامي) ، وحدث من جراء ذلك احتكاك مباشر عن طريق احتلالهم للبلاد الشامية، حتى تم طردهم نهائياً على يد الأشرف خليل ابن قلاوون سنة ١٠٩٦ م. ولا شك أن هذه الفترة أفرزت الكثير والكثير من وشائج الاحتكاك والتأثر على شتى الأصعدة لعل من أهمها:

إضعاف نظام الإقطاع السائد في المجتمع الأوروبي آنذاك، حيث كانت الحروب الصليبية فرصة للعبيد للهروب من عناء الإقطاع، ولم يكن السادة قادرين على منعهم من المشاركة في تلك الحروب الدينية؛ لأن الكنيسة باركتها ومن يشارك فيها، ولقد أدى ذلك إلى أن يبحث أصحاب الإقطاع عن عمال من الأحرار الذين يأخذون على عملهم أجراً ويشترطون حقوقاً ولا يعملون مسخرين مقهورين، وأدى ذلك إلى تصدع نظام الإقطاع وانقراضه فيما بعد، ولقد أدت الحروب الصليبية إلى تقوية السلطة المركزية لملوك أوروبا، لكن الأهم في ذلك هو التحليق في آفاق النهضة العلمية والحضارية الإسلامية إبّان الحروب الصليبية حيث تعرفت دول غرب أوروبا على الحضارة الإسلامية بشكل أعمق وأعرض، وتركت في حضارة أوروبا في عصر النهضة سمات ودلائل تشير إلى التأثر بالحضارة الإسلامية والنقل عنها.

النهضة الأوروبية الحديثة

استفاد الأوروبيون في فترة الحروب الصليبية من معين الشرق على مختلف المستويات، لا سيما الجانب الفكري والعلمي، حيث كان الشرق هو المتفوق علمياً وحضارياً، ما جعل هذا التفاعل يشكل إحدى ركائز نهضة الغرب الحديثة. وسنشير إلى بعض تلك الجوانب:

أولاً: الطب: في الوقت الذي كانت الكنيسة تحرم صناعة الطب لاعتقادها أن المرض عقاب إلهي لا ينبغي للإنسان أن يصرفه عمن يستحقه، في هذا الوقت كان المسلمون يمارسون الطب منذ زمن مبكر عن ذلك، فقد توسع المسلمون فيه وترجموا موسوعات فارسية ويونانية وهندية في الطب إلى اللغة العربية، وألفوا موسوعات لم يوضع لها نظير في الضخامة والتمحيص، وكانت بعض أمهات هذه الكتب تدرس في جامعات أوروبا لمدى زمني طويل.

ثانياً: الرياضيات: أما سائر العلوم كالرياضيات والفلك وعلوم الطبيعة كالكيمياء والنبات والحيوان والمعادن والصيدلة، فقد تفوق فيها المسلمون قبل عصر النهضة بوقت كبير، فأخذوا يترجمون الذخائر العلمية وينقلون إلى العربية علوم الإغريق والرومان والفرس والهنود، وأقيمت دور الكتب والمكتبات، وفتح الخلفاء والأمراء قصورهم للعلم والعلماء وتنافسوا في رعاية العلم وأهله، وأضاف العلماء كثيراً من الآراء والنظريات التي نسبت لغيرهم.

وبرزت أسماء كبيرة مثل: ابن مسكويه، والخازن، وابن خلدون، وابن النفيس، وابن الهيثم، والبتاني، والفرغاني،والكندي، والخوارزمي، والبيروني، والغافقي، والقزويني، وجابر بن حيان، وابن البيطار، وداود الأنطاكي... . قراءة مشرقية في الحروب الصليبية؛ نورة بنت أحمد حامد الحارثي



الحملات الصليبية على المشرق الإسلامي (إبّان الحروب الصليبية)

حملة ثانوية

حملة رئيسة

١٢

٨

عدد الحملات	حملة ثانوية	حملة رئيسة
١٢	حملة نقولا الرابع	
١١	الحملة الأرغونية	
١٠	الحملة الإنكليزية (حملتان)	
٩	الحملة الفرنسية	
٨	حملة الصبيان	الحملة الثامنة
٧	الحملة الألمانية	الحملة السابعة
٦	الحملة الفلمندية	الحملة السادسة
٥	الحملة الأكيتانية - البافارية	الحملة الخامسة
٤	الحملة النيفرنية	الحملة الرابعة
٣	الحملة اللومباردية	الحملة الثالثة
٢	الحملة البيزنية	الحملة الثانية
١	الحملة الشعبية	الحملة الأولى

مسمّى الحملة



الراي الأول في بناء هذه الكنيسة

هـذه الكنيسة تقع في جمهوريـة التشيك في مقاطعة سيدليك و تعرف بـ Sedlec Ossuary.

وفـي عام ١٢٧٨م، بعث أحد ملـوك البوهيميا، رئيس رهبـان سيدليـك و يسمـى "هـنري" إلى الأراضـي المقدسـة "فلسطـين". و حينمـا عاد الراهـب كان قد أحضر معه بعضاً مـن التراب من مكان، يعتقدون بأن المسيـح عليه السلام، قـد صلب فيـه و يعـرف هـذا المكان عندهم بـGolgotha. انظـر كتابنا الموسـوم (أطلس الأديـان لتقـف مـن خلالـه على مكان الجلجثة في الديانة النصرانية).

و قـد قـام الراهـب بعد عودتـه؛ بنثر الـتراب حول المقـبرة الخاصة بالكنيسة كي ينالـوا البركة و المغفرة من التربة التي إرتوت بدم المسيح عليه السلام كما يظنون. لإننا نحن المسلمين نؤمن بان الله تعالى رفعه إليه.

وبعـد هذا الحـدث انتشر خبر الكنيسـة في أنحاء أوروبا. فبدأ الناس يتوافدون عليها لدفن موتاهم ظناً منهـم إن المقـبرة أصبحـت مقدسـة بعـد مـا رُشّت بالتربة.

وازداد عدد المتوافدين على هذه المقبرة و خصوصاً بعـد وفـاة الكثيرين جـراء استفحـال وبـاء الطاعون الأسـود في منتصـف القـرن الرابع عشر الميـلادي و جـراء الحـرب الهوسية فـي بداية القـرن الخامس عشر، أدى هذا لعدم توفر الأماكن للدفن و شغل جميع أنحـاء المقـبرة قـرروا توسيـع المقـبرة... و بسبب الازدحام اضطـروا لنبـش القبـور و تكويم العظـام و الجماجـم أثنـاء إعـادة ترميـم الكنيسـة... و هنا ظهـرت فكـرة تزيـين الكنيسة بعظـام الموتـى الذين أغلبهـم قديسيـن و رهبـان نصـارى... و تم تجديد الديكـور فـي الفترة مـا بـين ١٧٠٣-١٧١٠م بمساعدة مهندس معماري.

إمـا الديكور الحـالي للكنيسة ففكرته يعـود إلى حفار خشب يدعى František RINT عام ١٨٧٠م.

الرأي الثاني في بناء الكنيسة

فـي ١٢١٨م، قـام رئيس دير الرهبان **هنري** خلال رحلـة الحج إلى الأراضـي المقدسـة (فلسطين) أثناء الحروب الصليبية؛ بأحضـار عظام قتلى المسلمين في بيـت المقدس من الذيـن قتلوا أثنـاء الحـرب معهم؛ لوضعها فـي الكنيسة لتكون لهم يقظة مستمرة. وتدل علـى أولئـك المحاربـين العظـام الذيـن شاركـوا في الحروب الصليبية .





لقطات مختارة من داخل كنيسة الجماجم (العظام) براغ (تشيكيا)

لقطات مختارة من داخل كنيسة الجماجم (العظام) براغ (تشيكيا)

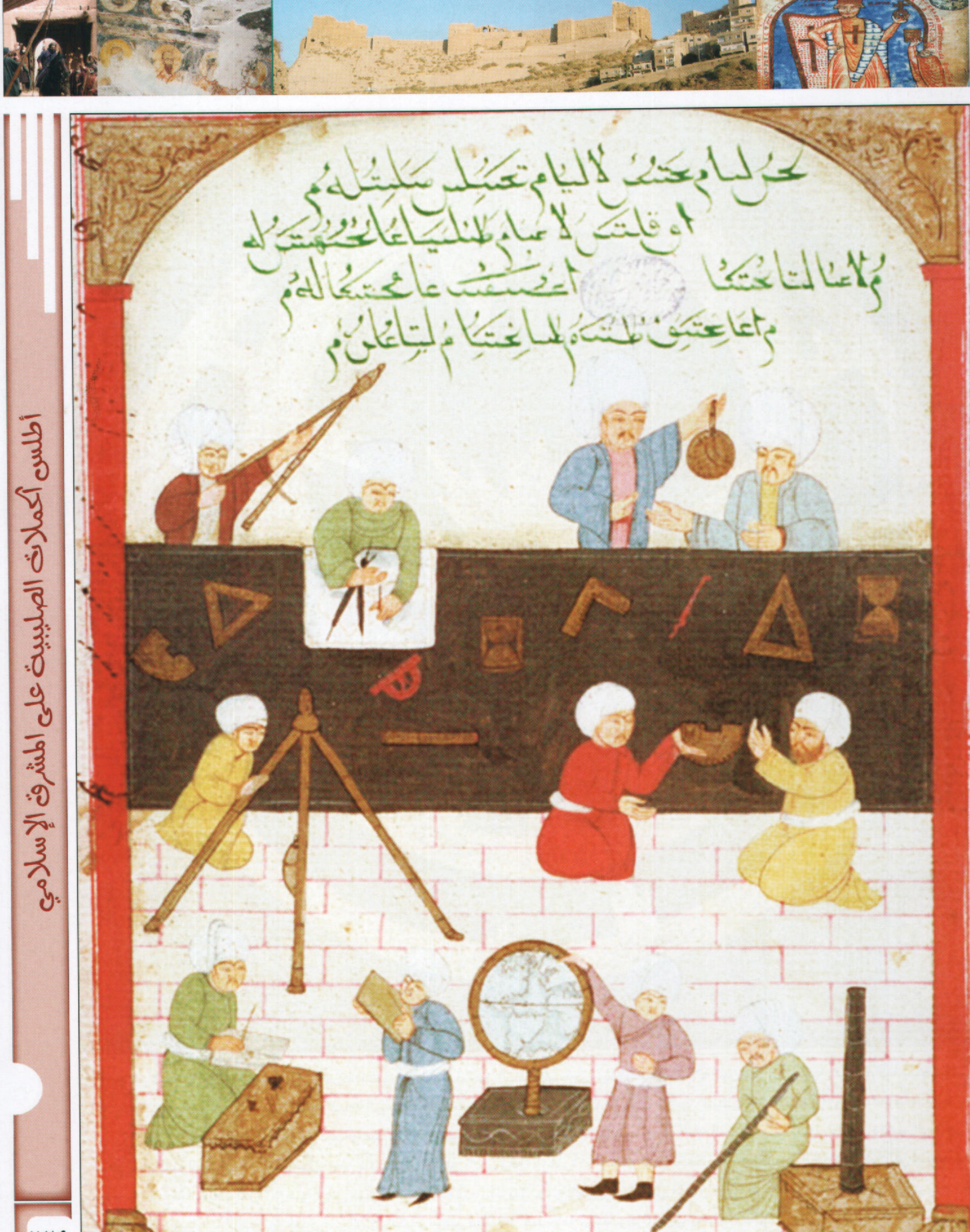


كنيسة الجماجم (العظام)



الحضارة الإسلامية : نشأت في بيئة عذراء، ومن قبائل هي أقرب للفطرة من الشعوب المجاورة لها، ثم صاغها الوحي فخرجت زرعاً « يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ» الفتح ٢٩ ، هذه النبتة الأصيلة زاد عطاؤها ونما خيرها حينما وجدت الأبناء الأوفياء الذين رعوها حق رعايتها، حتى تفيأ العالم بأسره ظلها الوارف وخيرها المتدفق. فقد كانت العصور الوسطى عصور جهل وظلام، باستثناء البلاد الإسلامية التي نعمت بهذه الحضارة الزاهية؛ فالحضارة الإسلامية؛ حضارة قامت على التوحيد والإيمان بالله وكتبه واليوم الآخر، وتتمثل الأخلاق وتنتهج الوضوح والصدق وهي أمور انسلخت منها الحضارات الأخرى فتعرّت من الفضائل التي لا تقوم بغير هاتيك المقومات وغدت منها مفلسة. لذلك رأت أوروبا في عصورها المظلمة الخروج من هذا الظلام الدامس بالتعرف على هذه الحضارة الزاهية والنهل منها، فأصبحت بغداد ودمشق وبيت المقدس والقيروان وفاس وقرطبة وصقلية؛ قبلة طلاب العلم ورواد المعرفة من كل أرجاء الدنيا. إن هذا النور الذي استمر شعاعه أكثر من ألف سنة، يدعونا إلى التساؤل المنطقي: **ما الذي تغير حتى عاد المسلمون فانتكسوا ؟ وكيف حط التخلف رحاله في ديارنا بعد أن ظلت الحضارة الإسلامية أولى الحضارات تقدماً ورقياً على مدى قرون عديدة؟** إن الإجابة على ذلك يكمن في "البعد عن منهج الله تعالى".

الحقيقة المرة: أننا ما زلنا نعيش في مرحلة ما بعد الحضارة الإسلامية ولم ندخل بقوة مرة ثانية لصنع هذه الحضارة. هذه المرحلة يصفها مالك بن نبي بقوله: "ولو أردنا أن نسمي هذه المرحلة الخالية من الروح والعقل لكل حضارة لأطلقنا عليها بلا تردد اسم المرحلة "السياسية" بالمعنى السطحي لكلمة سياسة" ويبدو أننا نفهم السياسة كما يصفها أحد الغربيين "بارتيلمي سانتهيلر" : "إن السياسة وهي مستغرقة في مشاكل الساعة لا يسعها أن تسمو إلى المبادئ" .



منمنمة لمرصد فلكي إسلامي



الأسطرلاب: آلـة دقيقة تُصوَّر عليها حركة النجوم في السمـاء حول القطب السماوي. وتُستخـدم هذه الآلة لحل مشكلات فلكية عديـدة، كما تستخدم في الملاحة وفي مجالات المساحة. وتُستخدم - إضافة إلى ذلك - في تحديد الوقت بدقة ليلاً ونهاراً. وقد اهتم بها المسلمون اهتماماً كبيراً، واستخدموها في تحديد مواقيت الصلاة، كما استخدموها في تحديد مواعيد فصول السنة. ووجه الأسطرلاب يحتوي على خريطة القبة السماوية،كما يحتوي على أداة تشير إلى الجزء المنظور من القبة السماوية في وقت معيّن. وقد رسمت القبة المنظورة على وجه الأسطرلاب المسطح بطريقة حسابية دقيقة، وهي الطريقة ذاتها التي استخدِمت في رسم خريطة العالم (الكرة الأرضية) على مساحة مسطحة. وهذه الطريقة تسمح بتحوُّل الدوائر من أشكال كُروِيَّة إلى أشكال مسطحة دون أي تغيير للقيمة الحقيقيـة للزاويـة التي تُرسم بين خطين على الشكل الكُروي. وعلى هذا، فإن خط الأفق، وخطـوط المدارات، وخط الاستواء، والخطوط السماوية تظل في شكل دوائر، أو في شكل أجزاء من دوائر. (انظر نماذج مختلفة من الأسطرلاب الإسلامي في هاتين الصفحتين).







صـــــورة الأرض للشريف الإدريسي (٥٦٠ هـ - ١١٦٤ م) وقد أبقيت الخارطة على الطريقة القديمة وهو وضع اتجاه الشمال في أسفل الخارطة .

هـو العـالم العربي؛ الشريف الإدريسي و إسمه أبو عبد الله محمد بن محمد ابن عبد الله بـن إدريـس الصقلي ، وينتهي نسبه إلى الحسن بن علي بن أبي طالب وأمه فاطمه الزهـراء بنت سيدنا محمـد بن عبـد الله صلى الله عليـه وسلم، ومن هنـا جاء لقبه بالشريف لنسبه لرسول الله ﷺ .

أحد كبار الجغرافيين في علم التاريخ وأحد المؤسسين لعلم الجغرافيا، كما أنه كتب في الأدب ، والشعر ، والنبات ودرس الفلسفة ، والطب ، والنجوم ،في قرطبة.

استخدمت مصوراته و خرائطه في سائر كشوف عصر النهضة الأوربية . حيث لجأ إلى تحديد اتجاهات الأنهار والمرتفعات والبحيرات، وضمنها أيضاً معلومات عن المدن الرئيسية بالإضافة إلى حدود الدول. اختار الإدريسي الانتقال إلى **صقلية** بعد سقوط الدولة الإسلامية . لأن الملك النورماني في ذلك الوقت "روجر الثاني" كان محباً للمعرفة . شرح الإدريسي لروجر موقع الأرض في الفضاء، مستخدماً في ذلك البيضة لتمثيل الأرض . شبه الإدريسي الأرض بصفار البيضة المحاط ببياضها تماماً كما تهيم الأرض في السماء محاطة بالمجرّات . أمر الملك الصقلي روجر الثاني له بالمال لينقش عمله خارطة العالم والمعروف باسم "لوح الترسيم" على دائرة من الفضة. في إحدى المرات قدم وصفاً عن وضع السودان . وعن حالة مدن مثل: "المواقع بدقة متناهية تماماً . كما هي على أرض الواقع ، مع أنها كانت فقط من خلال الاستماع إلى بعض القصص والكلمات . استخدم الإدريسي خطوط العرض أو الخطوط الأفقية على الخريطة والكرة الأرضية التي صنعها . استخدمت خطوط الطول من قبله إلا أن الإدريسي أعاد تدقيقها لشرح اختلاف الفصول بين الدول . دُمّرت تلك الكرة خلال اضطرابات مدنية في صقلية بعد وفاة الملك "روجر الثاني" .





خريطة العالم للشريف الإدريسي كما كونها ميللر من الخرائط الجزئية التي عملها الإدريسي ووجدت في مخطوطات كتابه في صور يختلف بعضها عن بعض اختلافاً يسيراً وقد جمعها ونشرها ميللر في كتابه الخرائط العربية . وقد استفاد منها البحارة الإيطاليون استفادة كبيرة .

المحيط

جبل قاف

جبل قاف

خريطة العالم للقزويني (٦٠٠ - ٦٨٢ هـ م١٢٠٣ - ١٢٨٣ م) .

المحيط

المحيط

جبل قاف

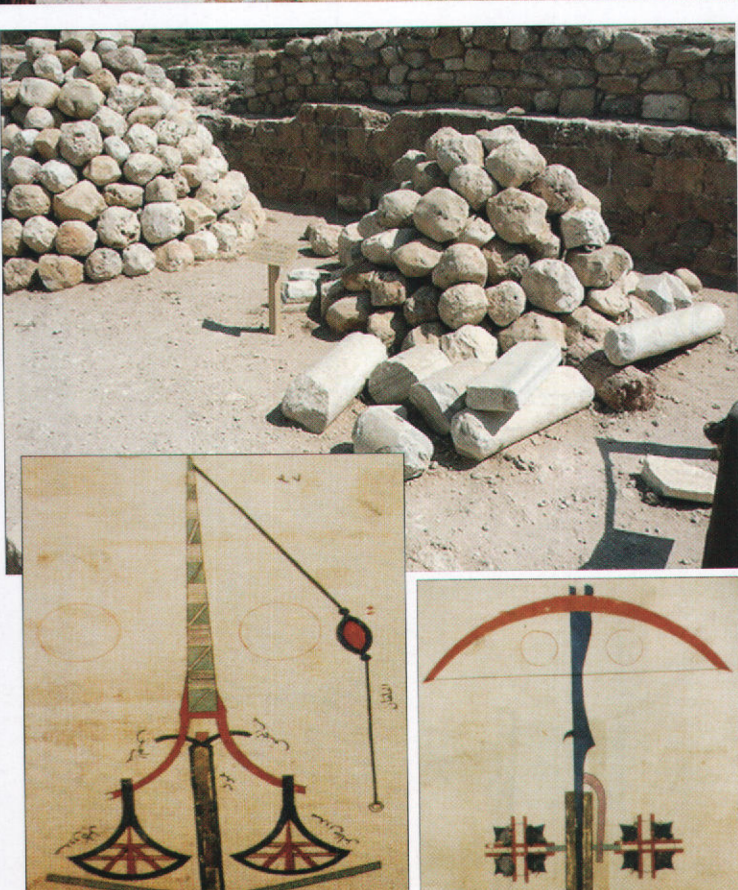
جبل قاف

المحيط



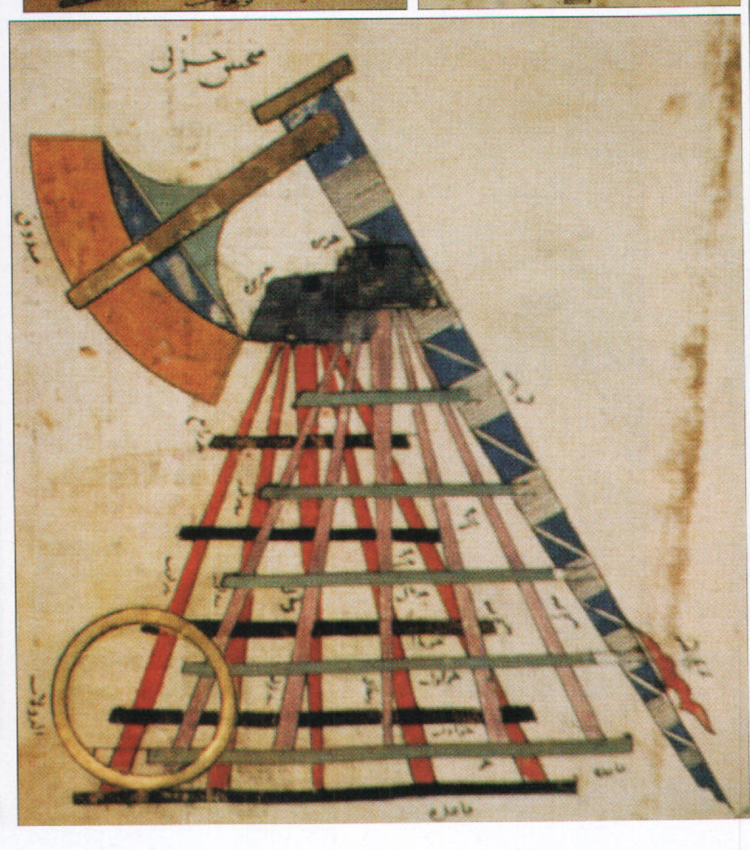
خريطة تاريخية للقسم الغربي من أوروبا وإفريقيا والمواجه للأمريكتين. عليها كتابات عربية تعود إلى بداية الكشوفات الجغرافية.







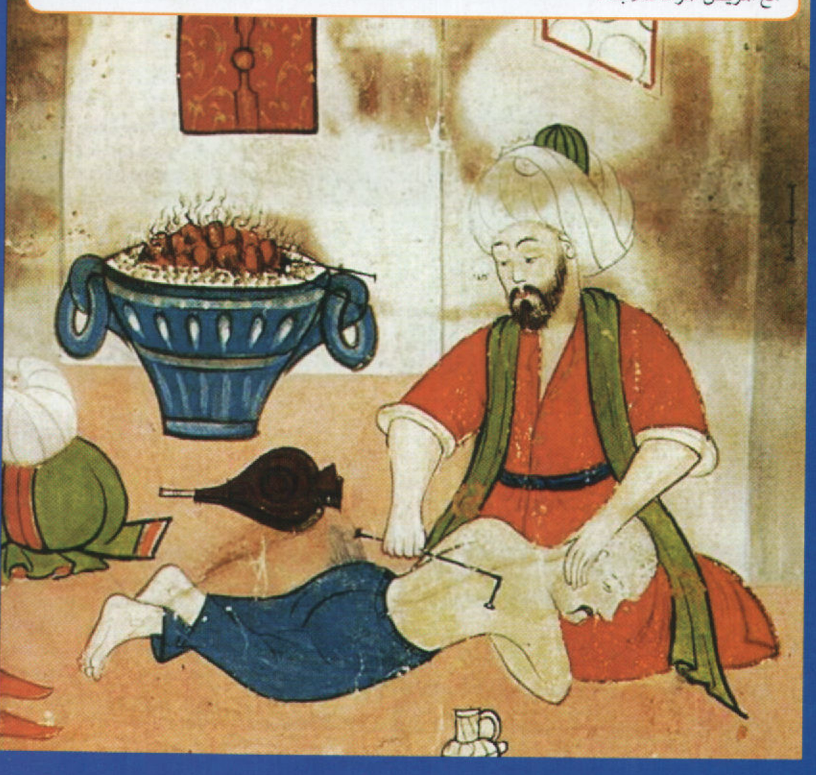
نماذج لبعض الأسلحة التقليدية التي استخدمها المسلمون في دك القلاع والحصون الصليبية .







في الأعلى مخطوط لكتاب طبي يشرح الطريقة المثلى للكي، وفي الأسفل مخطوط مصور لطريقة التعامل مع المريض المراد علاجه .



وضع الأطباء المسلمون خرائط لجسم الإنسان ، استطاعوا من خلالها معرفة مواضع المرض، وحددوا فيها مواضع الكي بالنسبة لكل مريض، وقد يكون الكي في أكثر من موضع للمرض الواحد، وابتكر الأطباء المسلمون أنواعاً من الآلات المحمّاة، من بينها الإبر الدقيقة ذات السن الواحد أو شعبتين أو ثلاثة، وصنعوها من الحديد أو النحاس أو الذهب أو الفضة وحددوا درجة الحرارة المناسبة للعلاج عند كل مريض، وقد استفاد الصليبيون خلال احتلالهم لبلاد المشرق الإسلامي من هذه الخبرات الكبيرة، فكانت مناهجهم في المراكز العلمية معتمدة على الكثير من المصنفات الإسلامية في هذا الشأن .



صندوق خشبي أمر بصنعه الظاهر بيبرس - رحمه الله تعالى - سنة ٦٦١ هـ؛ لضريح خالد بن الوليد رضي الله عنه




في
هاتين الصفحتين
نماذج متنوعة من العهدين
الأيوبي والمملوكي بمتحف دمشق
الفيحاء، التقطتها بعد أخذ الإذن من
المسؤولين عن المتحف في صيف ١٤٢٦ هـ .







الاعتذار عن الحروب الصليبية

حقيقة أم مجاملات؟


حوار سابق بين الأديان في قطر

جاء ذلك في رسالة بعنوان "حب الله وحب الجار"، تم كشف النقاب عنها في العاصمة الإماراتية أبوظبي الأثنين ٢٦-١١-٢٠٠٧م، والتي تعتبر كردّ من رجال الدين النصارى على رسالة سابقة وقعها ١٣٨ عالم ومفكر مسلم للقادة النصارى، وفق ما نقلت صحيفة الشرق الأوسط .

وبحسب الرسالة المسيحية، قال رجال الدين النصارى: "نود البدء بالإقرار بأن العديد من المسيحيين في الماضي، في **الحروب الصليبية** مثلاً، وفي الحاضر، في تجاوزات ما يسمى الحرب على الإرهاب مثلاً، أذنبوا بارتكابهم آثاماً ضد جيراننا المسلمين فقبل إن نصافحكم رداً على رسالتكم؛ نطلب مغفرة الله الرحيم وصفح الأمة الإسلامية من جميع أنحاء العالم" .

وبالرغم من الاعتذار الذي أبدوه في رسالتهم هذه، إلا أن قسماً مهماً من رجال الدين غابوا عن التوقيع عن هذا الرد !!!!!، في حين أن ٣٠٠ عالم ورجل دين نصراني في مختلف بلدان العالم أيدوا الاعتذار غير المسبوق، **إلا أن الفاتيكان وإحدى الكنائس الأرثوذكسية لم يشاركا في هذا الرد، الذي يعتبر خطوة مهمة باتجاه التعايش بين المسلمين والمسيحيين.**


خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز مع بابا الفاتيكان البابا بيندكتس السادس عشر

ومن أجل التعايش السلمي بين أرباب الديانات كافة والسماوية على وجه الخصوص دعا خادم الحرمين الشريفين ملك المملكة العربية السعودية (عبد الله ابن عبد العزيز آل سعود) سلمه الله، إلى عقد حوار بين الإسلام والمسيحية واليهودية، وقال حفظه الله: لدى استقباله المشاركين في ندوة بالرياض حول حوار الحضارات بين العالم الإسلامي واليابان إن هذه الخطوة تأتي في ظل أزمة "تتعرض



لهـا البشرية أخلت بموازين العقل والأخلاق والإنسانيـة". وأضاف أنه عرض هذا الأمر على العلماء في المملكة وقد وافقوا على ذلك وأنه بصدد عقد مؤتمرات لأخذ رأي المسلمين في جميع أنحاء العالم حول فكرة "الاجتماع مع إخوانهم في إيمان وإخلاص لكل الأديان لأننا نتجه إلى رب واحد". وأشار الملك عبد الله إلى أن من دواعي هذه اللقاءات مواجهة التفكك الأسري وتفشي الإلحاد "وهذا لا يجوز من جميع الأديان (الكتب) السماوية لا من القـرآن ولا التـوراة ولا من الإنجيـل". وأكد على ضرورة الوصول لاتفاق "على شـيء يكفل صيانة الإنسانية من العبث الذي يعبث بها".



شعار رابطة العالم الإسلامي

ونتيجـة لهـذه الدعـوة الكريمة من قبـل خادم الحرمـين الشريفـين الملـك « عبدالله بن عبدالعزيـز » للحوار بين الأديان؛ لقيت هذه الدعوة المباركـة ترحيباً عالمياً واسعاً، إذ رحبت المراكـز الثقافيـة والمؤسسـات الإسلامية المنتشـرة في العـالم بالمؤتمر الإسلامـي العالمي للحـوار، وشاركـت في فعالياته، والذي عقدتـه « رابطة العالم الإسلامـي » في رحاب البلد الحـرام فـي الفترة من ١ إلى ٣ حزيـران (يونيو) سنة ٢٠٠٨ م، وخـرج المؤتمرون بوصايا جيدة نافعة كان من أبرزها؛ إقامة (مركز الحوار بين الأديان).

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ المائدة

سجـل الأب الأرشمندريت المطـران عطـا الله حنّا، موقفاً مشرفـاً لبعض نصارى فلسطـين حينما رفض استقبـال الرئيـس الأمريكي جورج بوش في كنيسـة المهد ببيت لحم الفلسطينية، أثنـاء زيارة الأخير لأرض فلسطـين المغتصبـة. وقد أثار امتناع المطران عطـا الله حنّا من استقبال بوش ارتياحـاً كبيراً في الأوساط الشعبيـة الفلسطينية، ولا سيما المسيحية؛ نظراً لدور الرئيس الأمريكي بوش ببث الروح العدائية على الأرض العربيـة والإسلاميـة بين المسلمين والنصارى مـن خلال احتلال أفغانستان والعـراق، وتسمية ذلك بالحرب الصليبية !!.

وقـال أحـد المواطنـين المسيحيين في بيت لحـم: « رفض استقبال مطـران القدس عطـا الله حنّا للرئيس الأمريكـي جورج بوش في مكان مقدسـ لنا رفع معنوياتنا » وأضـاف « من العار استقبال صانع الحروب في عهد المسيح صانع السلام ».


المطران عطا الله حنّا

وكان حنّا قد صرح في لقاء مع اللاجئين الفلسطينيين في مخيم البقعة في الأردن، بأن « الرئيـس الأمريكـي جـورج بوش ومـا يقوم به لا علاقـة لـه بالمسيحيـة، ولا علاقـة له بالأخلاق المسيحية، ولا بالقيم المسيحية، وبالتالي نحن نرفض أيضاً السياسات الأمريكية ودعمها المطلق لإسرائيل واحتلالها للعراق ».



أهم مصادر ومراجع الباب الثاني عشر

١ - أ . محمد العروسي المطوي، الحروب الصليبية في المشرق والمغرب، دار الغرب الإسلامي، ط ١٩٨٢ م .

٢ - أ . زكريا هاشم، أثر الحضارة الإسلامية العربية على العالم .

٣ -أ . نورة بنت محمد الحارثي، قراءة مشرقية في الحروب الصليبية.

٤ - موقع إسلام أون لاين على الشبكة العنكبوتية .

٥ - موسوعة ويكبيديا على الشبكة العنكبوتية .

٦ - سامي بن عبد الله المغلوث، أطلس الأديان، طبع ونشر مكتبة العبيكان، ١٤٢٨ هـ .

٧ - أ . سعيد أحمد برجاوي، الحروب الصليبية في المشرق، منشرات دار الافاق الجديدة، بيروت لبنان .

٩ - أ . الحسيني الحسيني معدّي، حروب الغرب المقدسة على الإسلام، دار الكتاب العربي،، ط . الأولى ٢٠٠٧ م، دمشق - سوريا .

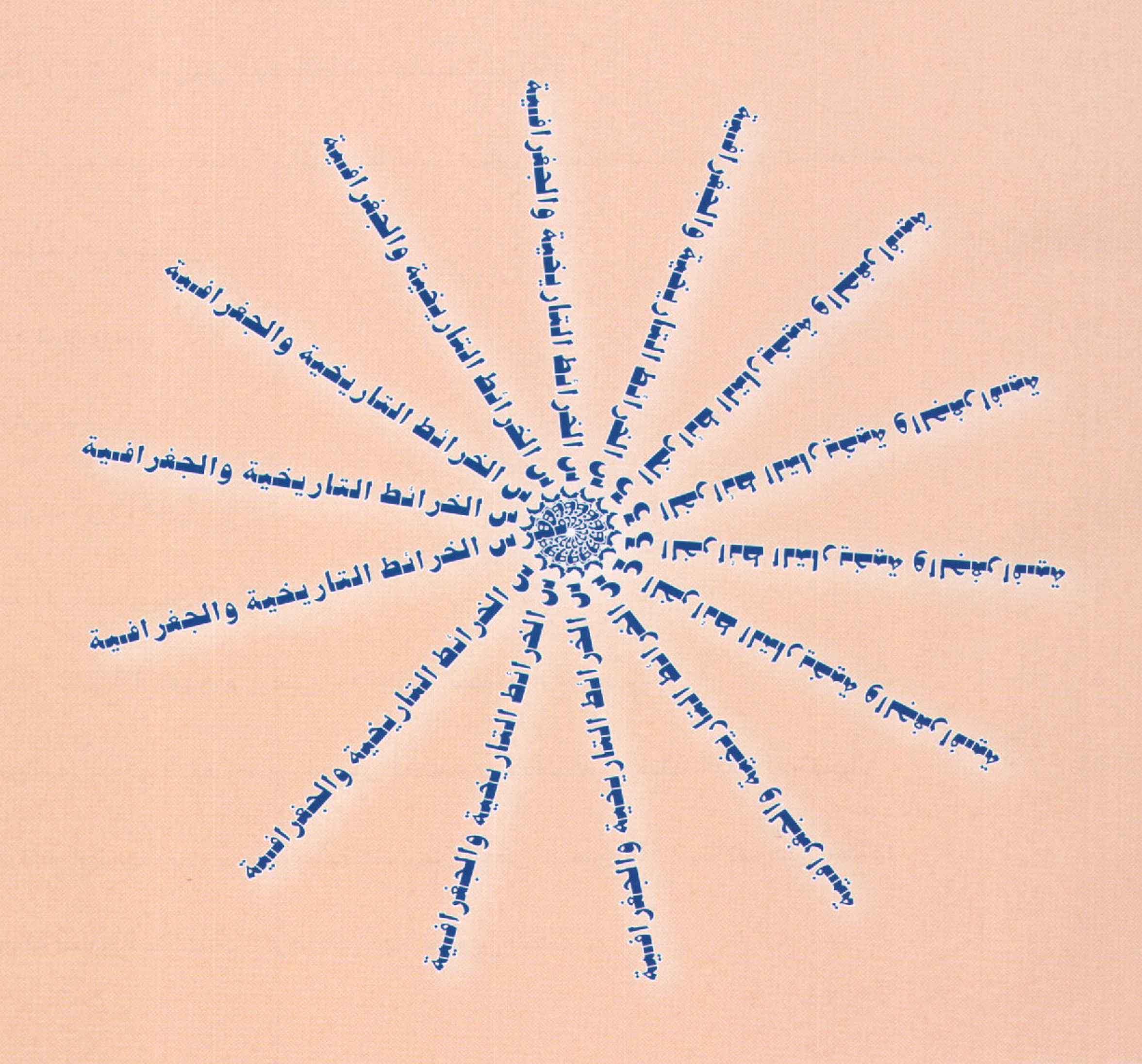
١٠ - salim t s al - hassani. muslim heritage in our world

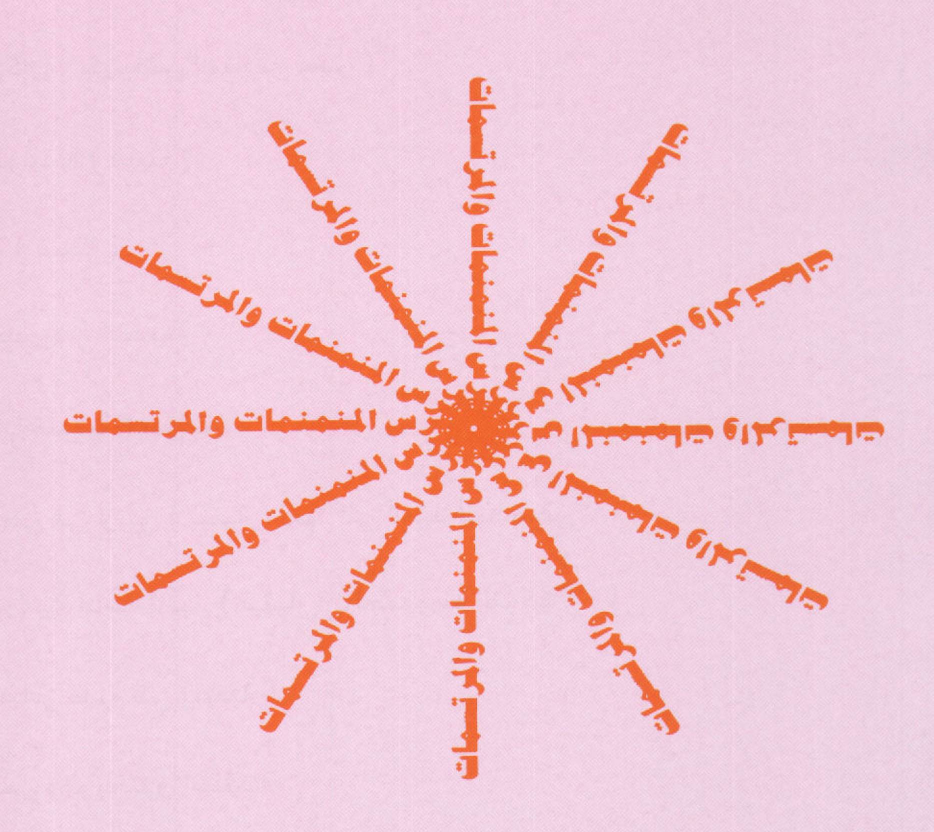
١١ - john whitney hall. history of the world




الفهارس

مقدمة الكتاب


فهرس الخرائط التاريخية والجغرافية


فهرس المنمنمات والمرتسمات

تم بحمد الله وتوفيقه